مكتبة ديدات

أحمد ديدات

المجموعة الرابعة

- الرسول الأعظم محمد ﷺ
- محمد ﷺ المثال الأسمى
- أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح
- القرآن معجزة المعجزات
- سر الحجر
- حوار مع مبشر

ترجمة

- محمد مختار
- على عثمان



كتاب المختار
أسسه حسين عاشور عام ١٩٧٩
٣ حارة الجمل - ميدان السيدة زينب - تليفون ٣٩٢٢١٥١ - فاكس ٣٩٢٢١٥١ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد ﷺ هو الأعظم

إنه بحق الأعظم كيف لا وقد اصطفاه الله على بنى آدم وهو خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله ربه رحمه للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

إنه الأعظم فإذا كان في البشرية من يستحق العظمة فهو محمد ، هذا كلام علماء الغرب المنصفين ، والمسلمين يؤمنون به ويحترمونه ويوقرونه ويبجلونه . فهو قدوتنا العليا وهو شفيعنا يوم القيامة وقائدنا إلى الجنة .

إن محمدًا ﷺ يستحق العظمة . كيف لا وقد أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى صراط مستقيم .

هذا الكتاب واحد من أروع كتب ديدات بل أروعها على الإطلاق لما فيه من كلمة صادقة ومجهود جاد لإثبات عظمة رسولنا الكريم فهو بحق يستحق أن تفخر به المكتبة العربية والإسلامية .

إن هذا الكتاب ينم عن شخصية ديدات وعمقه العلمى والثقافى وتفانيه فى خدمة الإسلام .

وديدات رجل من رجال الدعوة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد تحمل العبء الأكبر فى مواجهة تيارات الباطل الجارفة وفى مناقشة النصارى ودحض حججهم ورد الحق إلى نصابه .

فإذا قلنا إن من بين من ناقش النصارى يوجد منهم علماء يستحقون التوقير فهو ديدات لما له من مكانة مرموقة فى قلب كل مسلم فى شتى أنحاء العالم .

وديدات غنى عن التعريف بل إن كتبه خير دليل على شخصيته وهو غنى عن التعريف فلا يكاد يوجد مسلم إلا وهو يعرف من هو ديدات لما له من باع كبير فى سير الدعوة الإسلامية .

وهذا الكتاب يقع فى ثلاثة فصول هامة .. ويناقش ديدات فى هذا الكتاب موضوع محمد ﷺ الأعظم ويعطيه حقه ويدفع عنه الشبهات التى تتردد فى الغرب الكافر وتهدف إلى النيل من الإسلام ومن نبى الإسلام .

إن هذا الكتاب بحق شهادة تستحق أن يحوزها كل مسلم .

فهو يضم بين طياته جوانب عظمة الرسول عليه الصلاة والسلام . من كلامهم هم أنفسهم من كلمات علماء الغرب وشهادتهم لخاتم الأنبياء والمرسلين فهو ينقل آراء مايكل هارت ولامارتين الفرنسى وكارلايل فى الدفاع عن رسول الإسلام وإثبات جوانب عظمته .

الفصل الأول : ويتكون من نبذة عن سبب تأليف الكتاب ثم الإشارة إلى جوانب عظمة الرسول والإشارة إلى تأليف مايكل هارت لكتابه العظماء مائة وأعظمهم محمد ﷺ وصدى اختيار هارت لنبينا محمد ﷺ أول العظماء حتى قبل موسى وعيسى عليهما السلام مما أثار غضب الغرب الكافر فهى شهادة نبعت من نقاء نفسى بعيدًا عن روح التعصب حتى لدينه .

ولا أحاول فى هذه النبذة التعرض لآراء المفكرين الغربيين حتى يتسنى لك عزيزى القارئ مطالعتها بتأنٍ فى ثنايا هذا الكتاب فهو زاخر بأقوال علماء الغرب غير المسلمين فى حق محمد ، وكيف قاموا بترشيحه لينال فقط العظمة على سائر أبطال العالم .

ولقد وضع بعض المفكرين والسياسيين مقاييس للعظمة والبطولة .. هذه المقاييس لم تتوفر فى أحد من البشر إلا فى نبى الله محمد ﷺ فهو بحق حاز كل صفات العظمة فلا يوجد على سطح الأرض من هو أعظم منه على الإطلاق .

والفصل الثانى : يغلب فيه التحدث عن كتاب كارلايل هذا الرجل المنصف الذى اتخذ من محمد ﷺ نبيًا له يدافع عنه ويذب عنه كل الافتراءات التى حاول أن يلصقها به أعداؤه .

لقد ناقش كارلايل مواضيع من أخطر المشكلات التى يثيرها الغرب وقام بالذّب عن الإسلام حتى كأننا إذ قرأنا الكلام بدون اسمه فكأننا بداعية إسلامى كبير يدافع عن الإسلام ويذب عنه كيد الأعداء، ومن أبرز التهم التى يذب عنها كارلايل تهمة حد السيف وتهمة الخداع .

ولقد أجاد كارلايل وديدات فى إقناع هؤلاء المتعصبين بأن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يظنون بل انتشر بسيف العقل .

الفصل الثالث : يحمل عنوان أسرع الأديان نموًا اليوم ويتناول هذا الفصل الأسباب الدافعة للنمو المطرد فى الإسلام والمسلمين فهو بحق الدين المثالى الذى يكثر معتنقوه فى شتى بقاع العالم .

لقد أصبح اليوم أكثر من ألف مليون مسلم فى العالم يؤمنون بهذا الدين .

إن الأسلوب المتبع فى الدعوة والسمات الرفيعة والأخلاق الحميدة التى يتحلى بها الدعاة إلى الله كان لها أكبر الأثر فى نجاح هذا الدين وانتشاره .

إن الدين الإسلامى أكثر الأديان انتشارًا بالرغم من أن الإسلام جاء بعد المسيحية بنحو ٦٠٠ سنة إلا أنه أكثر اضطرادًا فى النمو من المسيحية .

إن الأرقام فقط تدل على أن تعداد مسيحيى العالم أكثر من المسلمين ولكن بحق إذا تناولناها من الناحية العملية فإن المسلمين أكثر تعدادًا من المسيحيين . إن المسلمين العاملين بدينهم يزدادون يومًا بعد يوم .

أما المسيحيون فمعظمهم ينتمون إلى المسيحية اسمًا ولا يحبونها ولا يعملون بها ، وإذا ما قارنا بين المسلمين الملتزمين بدينهم والمسيحيين الملتزمين بدينهم فإن الكفة فى صالح المسلمين حيث إن أعداد المسلمين الملتزمين بدينهم أكبر بكثير من أعداد المسيحيين المطبقين لدينهم .

إن الأخلاق الحميدة والصفات السامية النبيلة والسمات الرفيعة التى كان يتصف بها نبى الإسلام جعلته أجدر بكل تعظيم وتبجيل فإن هذه الصفات لم تخلع على أحد قبله أو بعده وكان له دور كبير فى نشر الدين الإسلامى .

إن صفة الرحمة فى تعامله مع المسلمين وحتى مع زوجاته فى المنزل لها الأثر الأكبر فى نشر الإسلام . إن أبرز موقف يصف رحمته ﷺ هو عند فتح مكة حيث قال لقومه الذين عذبوه وأخرجوه من بلده وناصبوه العداء وكان الزمان فى يده ويستطيع أن يقتل كل من تسبب فى إيذائه ووقف فى طريق الدين الناشئ ، فقال قولته المشهورة التى يتداولها التاريخ بكل تقدير وإعزاز : « **ماذا تظنون إنى فاعل بكم** » .

قالوا « أخ كريم وابن أخ كريم » . يقصدون استعطافه لما يعرفون عنه من الرحمة والأخلاق الرفيعة إنهم يعرفون منذ نشأته فلم يعهدوا منه غدرًا ولا خيانة .. إن هذا الموقف هو الذى يوضح الأبطال على حقيقتهم وهو الذى يبرز صفات القائد المحنك .

لم ينتصر لنفسه لما وجد من تعذيب فى بداية الدعوة .

ولم ينتصر لأصحابه الذين بُطِشَ ونُكِّلَ بهم لكى يفارقوا دينهم . وإنما قال قولته العظيمة الخالدة التى وجلت القلوب إجلالًا لها :

« **إذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

وكانت لهذه الكلمات النبيلة والموقف الإنسانى الرائع أكبر الأثر فى دخول الناس فى دين الله أفواجًا بدون حرب وبدون إراقة دم واحدة فقال تعالى :

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ (النصر : ١- ٣) .

فدخل الناس فى دين الله بدون حرب فكيف يزعم أحد إذن أنه نشر الدين بالسيف .

إنه ثمة سبب آخر سأتعرض له فى هذه المقدمة الموجزة لانتشار الإسلام وهو عدم التفريق بين أتباعه ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب .

قال ﷺ : « **لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى** » .

وقال ﷺ : « **لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى** » .

فلم يفرق رسول الإسلام بين الناس لمجرد لونهم ولمجرد مكانتهم فى المجتمع . فالوزير والخفير سواء أمام الله والفارق الجوهرى الوحيد هو التقوى .

إن التقوى هى اللباس الذى يميز بين عباد الله ومقياس أفضليتهم عند الله .. أما خلاف ذلك فلا . قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣] .

إن الإسلام جاء بأسمى الشرائع وبأسمى التشريعات الاجتماعية فلقد فعلت المسيحية بأهلها الويلات وقد شردتهم ومزقت بينهم حسب بيئتهم حتى أنه يوجد فى أمريكا أبشع أنواع التفرقة العنصرية بين البيض والسود حتى وإن كانوا أبناء دين واحد هو المسيحية ، فالفرق بينهم فى اللون أدى إلى فرق فى المكانة الاجتماعية .

كما أن الإسلام نزع الفوارق الطبقية وقضى عليها فى المجتمع فأصبح الناس كلهم سواسية كأسنان المشط .

وأصبح الإسلام وأخوة الإسلام أقوى رباط يربط بين المجتمع .

إن الرجل الذى قال عنه كارلايل : « رجل واحد فى مقابل جميع الرجال » ، الذى استطاع بنصر الله له وبصدق عزيمته وبإخلاصه فى دعوته أن يقف أمام الجميع ليدحض الباطل ويُظهر الحق حتى يحق الله الحق بكلماته ولو كره الكافرون .

إن هذا الرجل العظيم الذى استطاع أن يقف أمام العالم أجمع وأمام جهالات قريش وكفرها العنيد وأمام الأصنام وعبادة الكواكب وكل ما يعبد من دون الله وقف يدعو الله وحده لا شريك له ونبذ كل من سواه أنه بحق لجدير بكل تبجيل واحترام ليس فقط من أتباعه ، بل من كل من يفهمون سمات العبقرية وخصائصها .

إن الصفات التى تفردت فى هذا الرسول العظيم لجديرة بأن يحصل على نوط الامتياز ويحظى بكل تقدير واحترام . إنه بحق الأعظم .

وإننى لأسأل كما فعل لامارتين : فهل بعد ذلك يوجد أى رجل أعظم منه؟ » .

كلا ، لا يوجد رجل أعظم منه فقد عاش حياته كلها فى خدمة البشرية جمعاء وجاء بالدين الخاتم لجميع البشر .

فهو بشير ونذير لكل البشر إنسهم وجنهم .. وقد أخرج بإذن الله الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن الظلمات إلى النور ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وإن وصف النصارى المسيح بأنه مخلصهم فإن محمدًا بحق هو مخلص البشرية من الظلم والاضطهاد والكفر والضلال والعذاب فى الدنيا والآخرة .

إنه بحق كما قال لامارتين :

« رجل أسس ٢٠ إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية » .

إنه رجل جمع كل سمات العظمة فى شخص واحد يستحق أن يجعله هارت أول العظماء قبل موسى وعيسى عليهما السلام .

إن هذا الرجل العظيم محمد ﷺ بحق رجل لم تنجب البشرية مثله كيف لا وقد قال عنه الجبار « ورفعنا لك ذكرك » .. وقال تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » .

إن هذا الرجل نجح فى حياته واستمر نجاحه بعد وفاته على يد أتباعه .

فقد صنع الأبطال ؛ إنها مدرسة محمد ﷺ التى خرجت الأبطال والدعاة الذين جابوا الأرض شرقًا وغربًا لنشر دين الله ونوره وتبليغه إلى الناس .

إن أعظم موقف يدل على عظمة الرجال الذين صنعهم فى حياته هو موقفهم عند موته .

لم يصدق أحد من الصحابة أن رسول الله قد مات . كيف ذلك؟ وهل ينقطع النور الواصل من السماء والأرض عن طريقه؟

وماذا سيفعل المسلمون من بعده؟

وثار عمر البطل القائد المغوار . قام ونفى الخبر وأثرت عليه ثورته فقال « من قال إن محمدًا قد مات فسأقطع رأسه » .

ولكن أبا بكر الرجل الهادئ الوديع المتريث المرهف الحس ناقش الأمر بجدية أكثر ولم يتأثر بهذا الخبر فدخل على رسول الله بعد ما سمع بوفاته وخرج على المسلمين وقال « أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » .

وقرأ قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٤] .

فرجع عمر إلى الحق وأدرك أن الحق جانبه لثورته وقال كأنى أسمع هذه الآية لأول مرة .

إن موقف أبى بكر هذا ، موقف الرجل القائد ، يستحق بكل تقدير وإجلال أن ينال شرف ترشيحه من رسول الله للصلاة بالمسلمين ثم بخلافة المسلمين من بعد رسول الله ﷺ .

إنهم بحق رجال مدرسة النبوة الذين قال الله عنهم :

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣] .

ولا أستطيع عزيزى القارئ أن أحصى جوانب العظمة لرسول الله ﷺ فهو أعظم من أن يصفه إنسان أو يعبر عن عظمته قلم .

فهو بحق أجدر إنسان يستحق لقب الأعظم .

فقد وصفه كارلايل فى كتاب الأبطال بأنه « كان واحدًا من هؤلاء الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا فى جد دائمًا .. هؤلاء الذين جبلت طبيعتهم على الإخلاص . .»

فلم يقم هذا الرجل بإحاطة نفسه داخل إطار من الأقوال والصفات الطيبة ولكنه تفرد مع روحه ومع حقيقة الأشياء يستمد منها ما نطلق عليه الإخلاص .

شيء يملكه أسمى من طبيعة البشر فقد كانت رسالة هذا الرجل صوت ينبعث من فطرة قلبه وروحه ولهذا يجب أن يستمع ويعمل الرجال وليس لأى شيء آخر فكل شيء غير ذلك إنما هو هباءٌ تذروه الرياح .. أ . هـ .

وأختتم هذا الكلام عن عظمة نبينا محمدًا ﷺ بكلام مايكل هارت فى كتابه العظماء مائة وأعظمهم محمد ﷺ عن سبب اختياره لمحمد وكونه الأعظم فقال :

(إن اختيارى لمحمد ليقود قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيرًا فى البشرية قد يدهش بعض القراء وقد يعترض عليه البعض .. ولكنه كان (أى محمد) الرجل الوحيد فى التاريخ الذى حقق نجاحًا بارزًا فى كل من المستوى الدينى والدنيوى) أ . هـ .

وقال عنه أحد المفكرين الغربيين أنه لو أعطى لمحمد زمام الأمور فى هذا العالم الملئ بالملابسات والمشكلات لقاد البشرية إلى بر الأمان .

إذا وجد فى مجرى التاريخ أبطالًا فإن الأعظم هو محمد ، إنه بحق لا يوجد أعظم منه على الإطلاق؟!!

صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا » .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل وسلام على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم « ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » آمين . والحمد لله رب العالمين ..

علی عثمان

❁❁❁

الفصل الأول
وإنك لعلى خلق عظيم

كيف نشأ الموضوع How The Topic Arose

أعطانى السيد محمد مهتار « فاروقى »[١] منذ عشر سنوات تقريبًا (وتربطنى به صلة قرابة) مقالة[٢] للمؤرخ الفرنسى لامارتين (Lamartine) يبرهن فيها أن محمد ﷺ رسول الإسلام كان أعظم رجل عاش على الإطلاق .

وكان من عادة السيد مهتار أن ينقل المعلومات دائمًا معتقدًا أننى قد أحتفظ بها للاستعمال النافع فى الوقت والمكان المناسب .

وكان السيد مهتار قبل ذلك قد أهدانى كتابًا غالى الثمن بعنوان « نداء المأذنة » تأليف الأسقف « كينث كراج » وقد قمت بتحليل هذا الكتاب واكتشفت براعة المسيحيين المتفوقين فى الخداع والتضليل . ولقد أثارنى إجلال لامارتين لرسولنا وبعث فى رغبة كبيرة بمشاركة أنصاره عن نبينا مع إخوانى المسلمين ولم تكن الفرصة لفعل ذلك بعيدة .

تلقيت مكالمة تليفونية من المجتمع المسلم فى دانهاروزر (بلدة صغيرة فى شمال ناتال) وكانوا ينظمون احتفالًا بالمولد النبوى الشريف وقد دعونى لإلقاء محاضرة فى هذه المناسبة السعيدة فوافقت فى الحال باعتبار أن هذا شرف وامتياز لى وعندما تساءلوا عن موضوع محاضرتى حتى يعلنوا عنها اقترحت أن يكون (محمدًا ﷺ الأعظم) وذلك من وحى ما كتبه لامارتين .

---

(١) السيد مهتار كان لفترة طويلة محررًا لصحيفة إسلامية (آراء الهنود) فى جنوب إفريقيا .

(٢) يوجد عرض مفصل لهذه المقالة

خيبة الأمل المتكرر Repeated Let- Downs

لقد لاحظت عند وصولى مدينة دانهاوزر (Dannhauser) بعدد كبير من الملصقات تعلن عن هذا اللقاء وتقول فى جوهرها أن ديدات سيحاضر عن موضوع « محمد العظيم » ﷺ مما جعلنى مفتور الهمة[1] بعض الشيء وعند استعلامى عن سبب هذا قيل لى أن التغيير فى العنوان كان بسبب خطأ مطبعى .

ولقد جاءتنى دعوة مماثلة بعد حوالى شهرين من ذلك التاريخ . وكانت هذه المرة من المجتمع المسلم فى « بريتوريا » العاصمة الإدارية لجنوب إفريقيا وكان موضوع المحاضرة هو نفسه (محمد ﷺ الأعظم) وانتابنى الفزع عندما تغير العنوان مرة أخرى « محمد العظيم » .. وأعطيت لى (فى هذه المرة) أسبابًا وأعذارًا مماثلة لسابقتها ، وقد جرت هاتان الحادثتان فى بلدى جنوب إفريقيا . ومع ذلك دعنى أعطى لك مثالاً آخر لعقدة النقص عندنا وهى تمثل جزءًا كبيرًا من مرض لأمة .

الولايات المتحدة الأمريكية لم تختلف U. S. A. No Different

أثناء جولتى لإلقاء المحاضرات فى الولايات المتحدة الأمريكية الدولة القوية فى عام ١٩٧٧ اكتشفت أن جنودنا فى العالم الجديد مازالوا أضعف مما كنت أعتقد . ومن بين جميع التجارب المحزنة التى مررت بها فإنى أعتقد أو هذا الحدث يكفى لإثبات النقطة التى أتكلم عنها .

لقد نصح مسلموا انديانا بوليس (Indienapolis) بأن ينظموا محاضرة لى حول موضوع « ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ وقد اتفقوا على أن يقوموا بالإعلان عن ذلك تمامًا . ولكن لم يسمح لهم خوفهم وجبنهم من فعل ذلك فقد اعتقدوا أن هذا العنوان استفزازى جدًا . وألهمتهم حكمتهم (؟) بتلطيف العبارة لتصبح خف وطأة وتكون « نبى فى الكتاب المقدس » ومن غير شك فإنكم توافقونى على أنه عنوان غير مشوق وبلا حياة .

فليس هناك ما يثير اهتمام المسلم أو المسيحى أو اليهودى أو الهندوسى للحضور؟

---

(١) فتور يعنى تثبيط فى الهمة ونقص فى النشاط . (المترجم)

ماذا تعنى كلمة « نبى »؟ إن كلمة « نبى » بالنسبة لأغلب الناس تعنى « أىُّ نبى » .

ومن الذى سيهتم بحضور اجتماع يناقش مجرد « نبى » غير محدد من الأنبياء الذين ذكروا فى الكتاب المقدس؟ أيوب- يوئيل- يونس ، عزرا أو عزير- اليوشع- حزقيل .. هم بعض من أنبياء كثيرين ذكروا فى الكتاب المقدس . وكما هو متوقع فقد أوضحت نسبة الحضور بشكل كبير عدم جاذبية العنوان .

مركب النقص nferiority Complexl

ما سبب هذا المرض؟ مركب النقص؟ نعم . نحن قوم عاجزون بلا فاعلية والنشاط ليس فقط عن طريق أعدائنا ولكن أيضًا عن طريق أصدقائنا الخاملين . نحن لا نجرؤ حتى على ترديد شهادة الله نفسه بخصوص حبيبه :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]

الأكثر تأثيرًا : The Most influential

عادة فإنه من الطبيعى لأى شخص أن يحب ويمدح ويبجل ، أو يمجد قائده سواء كان بطلًا أو قديسًا أو نبيًا وكثيرًا ما نفعل ذلك .

ومع ذلك فلو كنت قد أعدت ذكر ما قاله المسلمون العظماء أو ما كتبوه عن نبينا الأعظم لكان من الممكن أن يبخسه أعداء الإسلام والنازعون للشكوكية باعتباره مبالغة أو ولعًا ، لهذا فلتسمحوا لى أن استشهد بمؤرخين غير متحيزين ونقاد أصدقاء وبعض الذين جهروا بعداوتهم لرسول الله ﷺ . ولو إنك وجدت أن تقدير غير المسلمين لمحمد ﷺ لم يمس شغاف قلبك فلتعلم أن إيمانك خاطئ ولتبحث لك عن دين غير الإسلام ، فإن هناك الكثير بالفعل من الأخشاب العطبة فى سفينة الإسلام .

نشر فى أمريكا فى الزمن الحاضر كتاب بعنوان « المائة » أو (الخالدون مائة) أو (القمم المائة) أو أعظم مائة فى التاريخ .

وقد ألف هذا الكتاب الجديد من نوعه عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ مايكل هارت لقد قام بالبحث فى التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وقد ذكر لنا فى هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيرًا على البشرية منهم آزوس- أرسطو- بوذا-

كونفوشيوس- هتلر- أفلاطون- زرادشت- وهو لا يعطينا علامات محددة عن المائة من ناحية تأثيرهم على الناس ولكنه يقوم بتقييم درجة هذا التأثير ويصفهم بترتيب تفوقهم فى هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة وهو يوضح لنا أسبابه فى ترتيب مرشحيه .

ونحن غير مطالبين بالموافقة على كلامه ولكننا لا يسعنا إلا أن نعجب بأمانة هذا الرجل ودقته فى البحث .

وأكثر شيء يدعو للدهشة فى تصنيفته المنتقاة إنه وضع نبينا الكريم الرسول ﷺ كرقم واحد أول المائة العظماء وهو بذلك يؤكد بدون علم أو قصد شهادة الله تعالى فى آخر تنزيل له للعالم : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١] .

عيسى (عليه السلام) رقم ٣ Jesus (P. B. U. H.) No 3

وقد أسعد المسلمين بالطبع تصنيف مايكل هارت لرسول الإسلام فى المرتبة الأولى . ولكن هذا الاختيار صدم غير المسلمين وبخاصة اليهود والمسيحيين الذين اعتبروا ذلك إهانة . ماذا؟ المسيح (عليه السلام) فى المرتبة الثالثة وموسى (عليه السلام) فى المرتبة الأربعين؟!!

وبالطبع فإن هذا بالنسبة إليهم شيء لا يمكن هضمه ، ولكن ماذا يقول مايكل هارت؟

دعونا نستمع لمناقشته : « حيث إنه يوجد تقريبًا مسيحيون ضعف عدد المسلمين فى العالم(١) فإنه قد يبدو غريبًا أن يكون تصنيف محمد ﷺ أعلى من المسيح عليه السلام .

وهناك سببان رئيسيان لهذا القرار :

أولًا: أدى محمد ﷺ دورًا فى ازدهار الإسلام يفوق فى أهميته كثيرًا ما قام به المسيح عليه السلام فى ازدهار المسيحية .

---

(١) تُظهر آخر الإحصائيات أن عدد المسلمين فى العالم ألف مليون مسلم وعدد المسيحيين فى العالم ألف ومائتى مليون مسيحى (ديدات)

وعلى الرغم من أن عيسى ﷺ كان مسئولًا عن الخُلُق الأساسى والمبادئ والسلوكيات الأخلاقية للمسيحية « طالما اختلفت هذه المبادئ عن اليهودية »[١] فقد كان القديس بولس هو المطور الأصلى للاهوت المسيحى والناشر الرئيسى للمسيحية ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد .

ومن ناحية أخرى نجد أن محمدًا ﷺ هو المسئول عن العقيدة الإسلامية بجانب خلقه الأساسى ومبادئه الأخلاقية .

بالإضافة إلى ذلك فإنه أدى الدور الرئيسى فى الدعوة إلى الدين الجديد وفى تأسيس التطبيق الدينى للإسلام .

بولس مؤسس المسيحية Paul the Faunder of Christianity

طبقًا لرأى هارت فإن شرف تأسيس المسيحية يجب تقسيمه بين المسيح ﷺ والقديس بولس .

والأخير كما يعتقد هارت هو المؤسس الحقيقى للمسيحية .. ولا أستطيع إخفاء موافقتى لهارت فمن مجموع الأسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد نجد أن القديس بولس قد كتب أكثر من نصفها . وخلافًا لبولس فإن السيد المسيح لم يكتب كلمة واحدة فى السبع والعشرين سفرًا .

ولو أنك وجدت ما يسمى (بإنجيل الأحرف الحمراء) فستجد أن كل كلمة زُعِمَ أن المسيح تفوه بها مكتوبة بالحبر الأحمر والباقى بالحبر الأسود العادى[٢] .

ولا تندهش حينما تجد فى هذا الذى يسمى الإنجيل (بشارة المسيح) أكثر من ٩٠ فى المائة فى السبع والعشرين سفرًا للعهد الجديد مطبوعة بالمداد (الحبر) الأسود .

---

(١) لا يعتبر ترتيب محمد الأول قدحًا فى مكانة عيسى وموسى ، لكن الله رفع بعض الناس فوق بعض درجات وبعض النبيين فوق بعض ومحمد خاتم النبيين والمرسلين ، هو أفضل الأنبياء على الإطلاق بدون الإنقاص من قدر الآخرين . (المترجم)

مايكل هارت فى كتاب (الخالدون مائة) ص ٣٨، ٣٩

(٢) وقد رأيت بنفسى هذه الطبعة من الإنجيل التى يظنون أن لعيسى كلامًا بها ووضعت بالحبر الأحمر وتجد كلمات قليلة به يظنون (وليس على سبيل اليقين) أنه قالها عيسى . إذ يعتبر هذا اعترافًا ضمنيًا بتحريف الإنجيل . (المترجم)

هذا هو الاعتراف المسيحى النزيه على ما يسمونه الإنجيل وفى أى مواجهة مع المبشرين المسيحيين ستجدهم يستشهدون مائة فى المائة من بولس(١) .

لا أحد يتبع المسيح ﷺ No One Follows Jesus (PBUH)

قال يسوع (ﷺ) (إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى) (يوحنا ١٤: ١٥)

وقال أيضًا (فمن نقض هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يُدعى أصغر فى ملكوت السموات) (متى ٥: ١٩)

وإذا سألت أى مسيحى كثير المجادلة هل تحفظ هذه الشريعة والوصايا؟ يجيب (لا) فإن سألته بعدها لماذا لا تفعل؟ سيجيبك بلا اختلاف إذا كان من مروجى الكتاب المقدس والناعقين به « الشريعة سُمِّرت على الصليب) وهو يعنى بذلك أن الشريعة قد انتهت أو ألغيت ويضيف : (ونحن الآن نعيش تحت الرحمة والنعمة الإلهية) .

وفى كل مرة تستحث المسيحى بما قاله سيده ومعلمه (المسيح ﷺ) فإنه يواجهك بشىء من الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورينثوس والرسالة إلى أهل غلاطية والرسالة إلى أهل أفسس والرسالة إلى أهل فيلبى .. إلخ .

فإذا سألته من مؤلفها؟ فسيجيبك : بولس- بولس- بولس .

من هو سيدك؟ سيجيبك المسيح ﷺ ولكنه دائمًا سيناقض سيده المسيح (ﷺ) بالقديس بولس . لن تجد مسيحيًا متعلمًا يناقش حقيقة أن المؤسس الحقيقى للمسيحية

---

(١) بولس يجب ألا ينخدع فيه الناس فهو يهودى اندس بين النصارى يلبس عليهم دينهم وليفسده عليهم وكان صاحب نصيب الأسد فى تأليف الكتاب المقدس وفى خرافاته وهذه الحركة التى فعلها بولس ليست الأولى من نوعها فى جانب اليهود فهم يكيدون لجميع الأديان بخاصة الإسلام وقد دخل فى الإسلام رجل يهودى حاول أن يفعل مثل بولس يدعى عبد الله من سبأ يهودى ماكر كان يضع أحاديث رسول الله وكان آخر ما فعله هو وأتباعه السبئيون أنهم قالوا بألوهية على ولقد قام الإمام على بحرق أحد أتباعه عندما قال له أنت الله فلما حرقه أخذ يصيح ويقول إذن أنت الله ، فإنه لا يعذب بالنار إلا الله .. ولقد فعل الإمام على ذلك حتى يقطع جذور الفتنة الناشئة التى كان اليهودى عبد الله بن سبأ سببًا فيها .. ولقد تدخل اليهودى فى تسيير حركة العالم بطريقة بولس هذا فنجد أن ماركس ولينين اللذين لا يعترفان بالدين وأسسا الشيوعية يهود .. فرويد صاحب الإباحية الجنسية يهودى .. دوركايم يهودى .. كل من كان له دور فى هدم القيم والأخلاق وتدمير الدين وراءه اليهود .. (المترجم)

هو القديس بولس ولذلك كان على مايكل هارت ليكون منصفًا أن يصنف المسيح (عليه السلام) فى المرتبة الثالثة فى كتابه .

لماذا تُغضب زبونك (عمليك) ? Why Provoke Your Customer

ما فعله مايكل هارت بوضع المسيح فى المرتبة الثالثة يطرح علينا سؤالًا خطيرًا وهو لماذا يقدم أمريكى على نشر كتاب من ٥٧٢ صفحة فى أمريكا ويقوم ببيعه بسعر (١٥) دولار للنسخة وهو بذلك يتجشم عناء إثارة غضب قرائه المحتملين؟ من سيشترى كتابه؟ بالطبع لن يكونوا الباكستانيين أو شعب بنجلاديش أو العرب أو الأتراك اللهم إلا نسخ قليلة هنا وهناك . ولكن الغالبية العظمى من زبائنه سيكونون من الـ (٢٥٠) مليون مسيحى والـ (٦) مليون يهودى الذين يعيشون فى أمريكا .

فلماذا إذن يغضب عملائه؟

ألم يسمع القول الشائع أن الزبون دائمًا على حق؟ بالطبع قد سمع ذلك فلماذا إذن هذا الاختيار المتحدى؟

ولكننى قبل أن أغلق هذا الملف الخاص بهارت سأسمح له أن يقدم اعتذاره الأخير عن تهوره :

« إن اختيارى لمحمد ﷺ ليأتى فى المرتبة الأولى من قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيرًا فى البشرية قد يدهش بعض القراء وقد يعترض عليه البعض ولكنه كان الرجل الوحيد فى التاريخ الذى حقق نجاحًا بارزًا على كل من المستوى الدينى والدنيوى » .

مايكل هارت

(الخالدون مائة) ص ٣٣

تصنيف لأكثر الأشخاص تأثيرًا فى التاريخ

نيويورك شركة هارت للنشر سنة ١٩٧٨

من هم قادة التاريخ العظماء :

Who Were History's Great Leaders

عدد « تايم » الصادر فى ١٥ يوليو سنة ١٩٧٤

نشرت مجلة « تايم » الشهيرة العنوان السابق على غلافها الخارجى وداخل العدد . كانت هناك مقالات كثيرة مثل :

ما الذى يصنع القائد العظيم؟

من المؤهل على مدار التاريخ؟

وفى هذه المقالات قامت مجلة « تايم » بسؤال مجموعة من المؤرخين والكتاب والعسكرين ورجال الأعمال وآخرين من اختيارها . وقد أعطى كل منهم مرشحيه طبقًا لوجهة نظره بموضوعية على قدر الاستطاعة البشرية لكل منهم ومعتمدًا فى ذلك على إدراكه وتميزه وهواه وحكمه المسبق الشخصى .

من يعرف الدكتور سالازار؟ Who Knows Dr. Salazar

من عاداتى وواجباتى الممتعة أن اصحب غير المسلمين كمرشد لهم فى جولات داخل أكبر مسجد فى نصف الكرة الجنوبى بديربان .

وفى إحدى المناسبات كنت استضيف اثنين من البرتغاليين (زوج وزوجته) وخلال مناقشاتنا قال السيد البرتغ « إن د . سالازار شخصيًا كان أعظم رجل فى العالم » لم أناقش معه هذه النقطة لأننى شخصيًا لا أعرف عن د . سالازار سوى أنه كان ديكتاتور البرتغال فى عصره . ولو أنه كان يعتبر بالنسبة لكثيرين ذا منفعة عظيمة لأمته ولكن ضيفى المحترم كان يتحدث على حسب معرفته الشخصية وحسب وجهة نظره وأهوائه الشخصية .

محمد ﷺ لا يمكن تجاهله

Connot Be lgnored (PBUH) Mohammed

ويبدو أنه لم يستطع أحد من بين المساهمين فى المقالات المنشورة فى مجلة « تايم » أن يتجاهل محمدًا ﷺ .

يقول وليام مكنيل William Mcneill مؤرخ أمريكى بجامعة شيكاغو فى

المقال الذى نشرته مجلة « تايم » : ولو أنك قسست الزعامة بمدى تأثيرها فإنك يجب أن تذكر المسيح وبوذا ومحمد وكونفشيوس على أنهم أنبياء العالم العظماء .

ولم يدخل مكنيل فى تفاصيل ولم يعطنا أى تفسير لسبب وضعه للمسيح أولًا ومحمد ﷺ فى المرتبة الثالثة ربما كان بحكم العادة .. فإن مكنيل مسيحيًا فى الغالب ولكننا لن نتناقش معه .

ويقول جيمس جافين James Gavin الذى يوصف بأنه رجل فى الجيش الأمريكى أحيل إلى التقاعد برتبة فريق :

« إننى اعتبر محمدًا والمسيح عيسى وربما لينين ومن المحتمل ماو تسى تونج من بين القادة الذين كان لهم أعظم تأثير على مر العصور .. أما بالنسبة للقائد صاحب المؤهلات التى من الممكن الاستفادة منها إلى درجة بعيدة فى الزمن الحاضر فإننى أختار جون ف . كنيدى » .. ولم يقل الجنرال أكثر من ذلك ولكن من الواجب علينا أن نجيبه فإن الأمر يحتاج شجاعة هائلة لكتابة اسم محمد قبل المسيح عليهما السلام . ومن المؤكد أن ذلك لم يكن زلة قلم .

جولز ماسيرمان Jules Masserman محلل نفسى أمريكى وأستاذ فى جامعة شيكاغو يعطينا على عكس المشاركين الآخرين الأسس التى بنى عليها اختياره والأسباب التى جعلته يختار القائد الأعظم لجميع الأزمنة أنه يريدنا أن نكتشف ما نبحث عنه حقًا فى الرجل المطلوب ، المؤهلات التى تجعله فريدًا . وقد نبحث عن أى مجموعة من المؤهلات كما فى حالة مايكل هارت الذى كان يبحث عن الشخص الذى حقق أقوى تأثير .

ومع ذلك فإن ماسيرمان لا يريد منا أن نعتمد على خيالنا وعلى ميولنا الشخصية إنه يريد منا أن نقدم معايير (قيادة) موضوعية للحكم قبل أن نمنح صفة العظمة لأى شخص . إنه يقول : « يجب أن يحقق القادة ثلاثة أعمال » :

١- يجب أن يتوفر فى القائد التكوين السليم للقيادة .

فالقائد مهما كان يجب أن يكون مهتمًا بصالحك ويجب ألا يتطلع إلى استغلال المغفلين لأطماعه الشخصية مثل القس جيم جونز من جونزتاون فى جويانا زعيم الطائفة

الشهيرة المعروفة باسم « الطائفة المنتحرة » وسوف نتذكره على أنه الرجل الذى انتحر مع ٩١٠ من أتباعه كلهم فى نفس الوقت!

فقد كانت حكومة الولايات المتحدة فى أعقابه وكان على وشك أن يقبض عليه لإجرامه ، ولكنه قبل أن يتمكنوا من اعتقاله فكر فى أنه من الحكمة أن يتخلص من حياته ومعه جميع أتباعه حتى لا يبقى منهم أحد يشهد ضده فخلط عصير الليمون بالسم ودفع أتباعه لأن يشربوا منه ففعلوا وماتوا جميعًا فى نفس الوقت هذه الميتة المخزية .

وقد اكتشف فيما بعد أن الثور جيم جونز قد ادخر ٥٠ مليون دولار وأودعها فى حسابه لخاص ببنوك فى مختلف أنحاء العالم وقد كان كل ضحاياه بمثابة البقر الذى يُدر له اللبن وكان يستغلهم ليشبع شهوته وطمعه .

إن بطل ماسيرمان يجب أن يعود بالنفع على خرافه وعلى قطيعه وليس على نفسه .

٢- يجب أن يوفر القائد أو من يكون قائدًا نظامًا اجتماعيًا يشعر فيه الناس نسبيًا بالأمن والطمأنينة .

وعلى عكس الماركسيين والفاشيين والنازيين الجدد والاشكنازيين[1] والصهاينة والذين اتبعوهم فإن الأستاذ ماسيرمان فى مقالته المختصرة فى مجلة « تايم » لم يصرح بذلك . ولكن معتقداته ومشاعره كانت واضحة تمامًا . فهو يبحث عن القائد الذى سيوفر نظامًا اجتماعيًا خاليًا من الأنانية والطمع والعنصرية فكل هذه المذاهب تحمل فى طياتها بذور التدمير الذاتى لنفسها .

يقول عبد الله يوسف على :

« لا يزال يصاحبنا الكثير من الندم والخطيئة والظلم والاضطهاد والخطأ والكراهية . لا تزال العجرفة تميت الضمائر وتسلب الأرواح المكافحة حتى من نظرات الشفقة وتصنع من الكائنات الكريهة والغبار المتفتت معبودًا جميل الهيئة للعبادة .

ما يزال الجهل يوصف بالقمم القوية ويحاول أن يُخزى الحكمة .. لا يزال الإنسان

---

(١) الاشكنارى : يهود ألمانيا ووسط وشرق أوروبا وأغلبهم من روسيا وهم يحتلون فلسطين احتلالاً غير شرعى وغير قانونى واسم الاشكنارى نفسه كأنه يتنبأ بما يفعله اليهود بالشعب صاحب الأراضى المحتلة تمامًا كما فعل النازيون بهم . فيا له من عذاب . (ديدات)

يقود الصيد ويعترض بنعومة على نهاية الرق .. لا يزال الطمع يلتهم جوهر الضعفاء الذين داخل سلطانه .. بل أكثر من ذلك أن صوت الإنسان المهذب يخنق فى وسط الضجيج الأجش للمجموعات والحشود التى تصرح بجنون بما يسمونه شعارات عصرية ، .. الإفك القديم الذى رفض تصديقه من زمن بعيد . أ . هـ

٣- يجب على القائد أن يوفر لشعبه مجموعة واحدة من المعتقدات .

من السهل التحدث عن الزمالة الدينية والأخوة فى الإنسانية ، لكن هناك فى جنوب أفريقيا اليوم ألف من الطوائف والملل المختلفة بين البيض (أهالى السلالة الأوربية) وثلاثة آلاف من السود (أهالى السلالة الأفريقية) . وتفرخ كنائس البيض فى بلدتى أساقفة سود بمعدل سريع .

ولكن فى أول ٣٠٠ سنة من الاحتلال الأوربى لم يتخرج من كنائس البيض أسقف أسود واحد .

وحتى الآن لا يستطيع السود والبيض والملونون والهنود أن يصلوا معًا فى أغلب الكنائس الهولندية البروتستانتيية وقد عبر الإمبراطور المسيحى جوليانوس عن الكراهية بين الطوائف المسيحية بدقة حيث قال :

« لا توجد وحوش مفترسة تتسم بالعداوة للإنسان كما تعادى الطوائف المسيحية بصفة عامة بعضها البعض » أ . هـ (سيد أمير على فى ص ١٨ من كتابه روح الإسلام) .

وعلى ضوء هذه المتطلبات الثلاثة السابقة يبحث ماسيرمان فى التاريخ ويقوم بالتحليل والتمحيص لويس باستير- غاندى- كونفوشيوس- الإسكندر الأكبر- قيصر- هتلر- بوذا- المسيح- إلى آخر الباقين حتى وصل أخيرًا إلى النتيجة التالية :

« لعل أعظم قائد كان على مر العصور هو محمد ﷺ الذى جمع الأعمال الثلاثة وقد فعل موسى نفس الشيء بدرجة أقل) .

وليس لنا إلا أن نندهش من ماسيرمان لأنه كيهودى قد تنازل ليتفحص حتى أدولف هتلر العدو الرئيسى لشعبه فهو يعتبره قائدًا عظيمًا . فقد كان قوم هتلر وهم الأمة الألمانية القوية المكونة من ٩٠ مليون نسمة كانوا مستعدين أن يسيروا لى قدرهم أو دمارهم بأمره . واحسرتاه لقد قادهم إلى الهلاك .

ولكن هتلر ليس هو مجال السؤال . إنما السؤال هو لماذا يعلن ماسيرمان وهو يهودى أمريكى وخادم مدفوع الأجر للحكومة بالتصريح لأبناء بلدته الذين يزيدون عن ٢٠٠ مليون منهم اليهودى والمسيحى إنه لا المسيح ولا موسى ولكن محمدًا (عليهم السلام جميعًا) هو القائد الأعظم Leader The Greatest فى جميع الأزمنة! »، عللوا لذلك .

ماذا يقول المتشككون ? What Say The Sceptics

وضع مايكل هارت محمدًا على أول قائمته ووضع مولاه ومخلصه ومنقذه يسوع المسيح ﷺ فى المرتبة الثالثة . لماذا؟ هل أخذ رشوة؟!!

وليم مكنيل يعتبر محمد ﷺ مستحقًا لشرف وضعه فى قائمته وفى أول ثلاث أسماء فى القائمة . لماذا « هل أخذ رشوة »؟!!

جيمس جاڤين وضع محمد ﷺ قبل المسيح ﷺ . لماذا؟ هل أخذ رشوة؟!!

جيمس ماسيرمان (اليهودى) اعتبر محمدًا ﷺ بطله الأول وموسى ﷺ بطله الثانى لماذا « هل أخذ رشوة »؟!!

« هل لنا أن نفترض أن كل هذا المديح المتوهج لمحمد ﷺ لم يكن إلا قطعة بائسة من الخداع الفكرى- هراء- أنا عن نفسى لا يمكننى أن أتخيل مثل هذا الافتراض . إن الفرد سيصاب بالضياع الفكرى عندما يفكر فى الجنس البشرى ولو أن الدجل والشعوذة زادت هكذا وانتشرت فى العالم »[١] لكن المستهزئين يشفقون ويأسون على أى شخص لديه أى شيء جيد ليقوله عن محمد ﷺ أو عن الإسلام باعتبار أنه أخذ رشوة من العرب[٢] .

وهم بذلك يضعون ثقة كبيرة فى أشقائى . أنا أكرر : « هذا ممكن ولكنه غير محتمل! » . وفى أثناء الحرب العالمية قامت النرويج باعتقال خائن واحد وقد تمت محاكمته بتهمة الخيانة وأعدم .

---

(١) مع الاعتذار لتوماس كارلايل وكتاب البطل وعبادة الأبطال . (المؤلف)

(٢) هؤلاء ليسوا بمسلمين وأشادوا بعظمة محمد نبى الإسلام ﷺ فلاقوا نقدًا لاذعًا من الغرب ولكن عندما وقع الملحد سلمان رشدى ونخر فى بدن الأمة الإسلامية وقذف نبيها وزوجاته فإن أهل الغرب وقفوا يصفقون لهذا الماجن ووضعوا عليه حراسة عسكرية لمجرد أنه تجرأ وهاجم الدين الإسلامى . (المترجم)

إنه لأمر غير محتمل أن تنتج أمريكا والعالم الغربى بعد أن وصلوا إلى سن البلوغ سلالة من الخائنين تتغذى على دولارات بترول الشرق الأوسط .

أرجوكم ألا تبخسوا قدر رجالكم الشرفاء الشجعان الذين بدون خوف أو مصلحة مستعدون أن يعانوا من القذف والطعن ، أجل اقتناعهم وفى سبيل ما يؤمنون به . علينا جميعًا أن نشيد بهم .

ويمكننا الآن وبعدالة أن نستنتج أن إله الرحمة الذى يعرف دائمًا الجهود المخلصة لعباده إنما فقط يوفى بوعده لمحمد ﷺ رسوله المختار حين قال ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشّرح: الآية ٤]

كأنما هى قوة خفية جعلت الأصدقاء والأعداء على السواء يقدمون إجلالهم غير المستجدى للرسول القوى المبعوث من عند الله وكذلك فعل جنود (الخالق) القدير حتى الشيطان نفسه دخل فى خدمة الرسول كما فعل فى عهد المسيح .

(إنجيل متى ٤: ١– ١١) حتى الشيطان ينطق أحيانًا بالحقائق[١] .

ويستشهد البروفيسور ك . س راماكرشنا راو الفيلسوف الهندوسى فى كتابه (محمد رسول الإسلام)[٢] برئيس الشيطان نفسه– نعم– أدولف هتلر ليثبت العظمة المنفردة لمحمد ﷺ .

---

(١) سأورد هنا الفقرات الإنجيلية التى أشار إليها ديدات تحقيقًا للفائدة وليتسنى للقارئ الكريم مراجعتها عند الضرورة . (ثم صعد يسوع إلى البرة فى الروح ليجرب من إبليس فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا ابن الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصطدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » حتى الإصحاح الرابع – ١ – ١١) المترجم

(٢) « محمد رسول الإسلام » للمؤلف راماكرشنا راو – أحصل عليه من المركز الإسلامى للدعوة . (المؤلف) وأضيف أننى قمت بفضل الله ومنه على بعمل ترجمة لهذا الكتاب وسوف تقوم إن شاء الله تعالى دار المختار الإسلامى بطبعه فى القريب العاجل بإذن الله . (المترجم)

ومثل ماسيرمان الذى قيم رسول الإسلام على ثلاث أسس انظر ص ٤٢- ٤٧ فقد رأى البروفيسور راماكرشنا راو أيضًا فى كتاب هتلر المسمى « كفاحى » جوهرة ذات ثلاثة وجوه ، وامتيازًا نادرًا ذلك الذى وجد فى بطلنا موضوع المناقشة . فيستشهد بهتلر فيقول (نادرًا ما يكون رجل النظريات العظيمة قائدًا عظيمًا ولكن الداعية المؤثر هو أكثر احتمالًا لأن يملك هذه المتطلبات والمؤهلات ولذلك فهو دائمًا ما يكون قائدًا عظيمًا لأن القيادة أو الزعامة تعنى القدرة على تحريك الجماهير البشرية . الموهبة فى تصدير الأفكار لا تشترك فى شيء مع القدرة على الزعامة ويستمر هتلر فى كلامه .. إن اتحاد القدرة على وضع النظريات والتنظيم والقيادة فى رجل واحد ، هو أندر ظاهرة على وجه الأرض ففى تلك الحالة تكون العظمة » .

ويستنتج البروفيسور « راو » من ذلك فيقول فى كلماته هو « فى شخص رسول الإسلام رأى العالم أندر ظاهرة على وجه الأرض متمثلة فى إنسان من لحم ودم » .

شارك فى الغضب Share The Anger

قبل أن يهاجم أى شخص البروفيسور[1] ويتهمه بالتحيز غير الضرورى وبالرشوة دعونى أضيف أسماء الآخرين من المعجبين بمحمد ﷺ .

١- « كان محمد ﷺ الرأفة والطيبة بعينها والذين من حوله كانوا يشعرون بتأثيره ولم ينسوه أبدًا » . ديوان شاندشارمة . باحث هندوسى ، وذلك فى كتابه رسل الشرق سنة ١٩٣٥ ص ١٢٢.

٢- « ولد فى مكة فى جزيرة العرب سنة ٥٦٩ بعد الميلاد- وبعد أربع سنوات من وفاة يوستنيانوس الأول- الرجل الذى كان له أعظم تأثير على الجنس البشرى من بين جميع الرجال ، محمد ﷺ » .

جون وليم درايو طبيب ودكتور فى الحقوق فى كتابه « تاريخ التطور الفكر الأوربى » . لندن ١٨٧٥

---

(١) حسب آخر المعلومات التى وصلتنى أن البروفيسور الهندى رماكرشنراو مؤلف كتاب محمد رسول الإسلام هو مسيحى هندى يقدم شهادة حق لنبى الإسلام فهو واحد من المنصفين الذى أنصفوا الرسول محمد ورسالته

٣- « إننى أشك أن أى إنسان لا يتغير رغم التغيرات الكبيرة فى ظروفه الخارجية ، كما لم يتغير محمد ، لكى يلائم ويوافق هذه التغيرات » .

ر . ف . ك بودلى فى « جريدة الرسول » لندن سنة ١٩٤٦ ص ٦

٤ - « لقد درست الرجل الرائع وفى رأيى أنه يجب أن يدعى منقذ البشرية فهو بعيد كل البعد من أن يدعى ضد المسيح » .

جورج برنارد شو فى (الإسلام الصادق) ج ١ سنة ١٩٣٦

٥ - « من حسن الحظ إنه لأمر فريد على الإطلاق فى التاريخ إن محمد مؤسس لثلاثة أشياء : الأمة والامبراطورية والدين »

ر . بوزوورث- سميث فى كتاب محمد والمحمدية سنة ١٩٤٦

٦- لقد كان محمد الأكثر توفيقًا من بين جميع الشخصيات الدينية » .

دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١١.

❁❁❁

الفصل الثاني

من التاريخ الماضي

From The Historical Past

ليس من الصعب تقديم الكثير مما كتبه المعجبون والنقاد فى مدح محمد ﷺ . فبالرغم من موضوعيتهم فإن العقول المريضة تستطيع دائمًا أن تجد طريقها إلى الطعن .

فليسمح لى القراء أن آخذهم معى لكى نغوص فى تاريخ الماضى السحيق .

منذ مائة وخمسين سنة وفى يوم الجمعة الموافق الثامن من مايو سنة ١٨٤٠م وفى الوقت الذى كان يعتبر فيه أى قول حسن عن محمد ﷺ جريمة وحيث كان الغرب المسيحى ينشأ على كراهية محمد ﷺ ودينه بنفس الطريقة التى كان الكلاب يدربون بها فى بلدتى على كراهية السود .

فى هذا الوقت من الزمان ألقى توماس كارلايل وهو من أعظم مفكرى القرن الماضى سلسلة من المحاضرات تحت عنوان الأبطال وعبادة الأبطال » .

المرض المتوارث Developed Sickness

استعرض كارلايل فى بداية حديثه هذا التعصب الأعمى ورجع فى ذلك إلى أحد عمالقة الأدب وهو رجل الدولة والعالم الهولندى هوجو جروتيوس (Hugo Grotius)[1] والذى كان قد كتب مقالة حاقدة وبذيئة عن نبى الإسلام . وقد اتهم النبى الكريم كذبًا بأنه كان يقوم بتدريب الحمام على التقاط الحبوب من أذنيه حتى يستطيع بهذه الحيلة أن يوهم الناس أن روح القدس (جبريل عليه السلام) قد جاءه على شكل

---

(١) ص ٥٧ من كتاب (الأبطال وعبادة البطل والبطولات فى التاريخ) لندن ١٩٥٩ لتوماس كارلايل .

حمامة ليوحى إليه برسالة الله والتى دونها بعد ذلك فى كتابه المقدس المسمى بالقرآن . وبالطبع فإن جروتيوس كتب هذه الرواية الزائفة بوحى من قراءاته التى تأثر بها فى الإنجيل .

(فلما اعتمد يسوع صعد للوقت فى المساء . وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وآتيا عليه) (إنجيل متى ٣: ١٦)

أين الدليل Where's The Authority

وقد أراد بوكوك Pococke وهو أحد المفكرين المحترمين فى هذا الوقت مثل « توما الشكاك » فى إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٥)[١] برهانًا لرواية محمد ﷺ والحمام والحبوب . وكانت إجابة جروتيوس له : (لا يوجد برهانًا! » .

لقد أراد فقط اختراع هذه الحكاية لكى يقدمها لجمهوره . فقد كانت نظرية « الحمام والحبوب » بالنسبة إليه وإلى جمهوره أكثر قبولًا من قصة ملك الوحى (جبريل عليه السلام) الذى كان يبلغ محمد ﷺ وحى الرسالة . وقد عصرت هذه الأباطيل قلب كارلايل .

النبى البطل The Hero Prophet

ولقد كان كارلايل رجلًا عبقريًا أنعم الله عليه بموهبة الربط بين الأشياء فأراد بطريقته الخاصة أن يضع الحقائق فى نصابها . فخطط لأن يلقى محاضرة اختار لها عنوانًا استفزازيًا هو « عندما يكون البطل نبيًا » واختار نبيه البطل ليكون أكثر الرجال المفترى عليهم فى عصره (أى عصر كارلايل) محمد ﷺ . وإنه لم يختر موسى أو سليمان أو داود أو عيسى (عليهم جميعًا الصلاة والسلام) وإنما محمد ﷺ. ولكى يهدئ ويسترضى رفقاءه من أبناء بلده وأغلبهم من الإنجيكانيين Anglican المنتمين إلى

---

(١) هذه الفقرة الإنجيلية التى أشار إليها ديدات سأوردها فيما يلى لأوضح للقارئ غرض ديدات وليزداد إدراكًا بالواقع ولنشاركه فى إصدار الحكم على هذه الأفكار والمعتقدات الباطلة .

« فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن) (يوحنا ٢٠: ٢٥) . المترحم

كنيسة إنجلترا فقد أبدى اعتذاره قائلًا : « وحيث إنه ليس هناك خوف من أن يصبح أى واحد منا محمديًا[١] ، فيمكننى إذن أن أذكر كل محاسنه بكل عدالة ممكنة » .

وبتعبير آخر فإنه لا خوف عليه ولا على جمهور مستمعيه فى أن يتحولوا إلى الدين الإسلامى وهو بذلك ينتهز الفرصة ليعطى لمحمد ﷺ بعض المديح الذى يستحقه . هذه الفرصة التى لم يكن لينتهزها لو كانت لديه أية مخاوف حول شدة إخلاص مستمعيه لعقيدتهم .

وفى هذا العصر الملىء بالكراهية والحقد تجاه كل ما هو إسلامى قام كارلايل بكشف وإظهار الكثير من الحقائق الوهاجة حول بطله محمد ﷺ لجمهور مستمعيه الملىء بالشك والميل للسخرية « فللمستحق للمديح)(هناك بلا شك مديح . فذلك هو ما يعنيه الاسم المجرد (محمد) وهو الشخص الممدوح أو المثنى عليه أو المحمود المستحق المديح والثناء والحمد .

وقد استخدم كارلايل فى بعض الأحيان كلمات وتعبيرات لم تكن لترضى وتسعد المسلمين المؤمنين ولكننا نلتمس له العذر فى ذلك فقد كان يسير على حبل ثقافى مشدود وقد نجح فى ذلك بتفوق .

وقد أثنى كارلايل على بطلنا (محمد ﷺ) كثيرًا بحرارة وحماس وقام بالدفاع عنه

---

(١) المحمدى : يقصد المسلم (المؤلف)

تعليق المترجم : مصطلح المحمديين Mahometans شاع فى الغرب وانتشر نسبه إلى المسلمين الذين هم أتباع محمد وليس عبّاد محمد كما يظن الغرب الملحد ويستخدم هذا المصطلح فى غير محله ليسيئوا إلى الإسلام بهذا المصطلح الجائر فى إلصاقه بالمسلمين وفى هدفه حتى يوهموا الغربيين وأغلبهم نصارى أن المسلمين هم عباد محمد وليسوا عبّاد الله ، وليوهموهم بأن دين الإسلام ليس دينًا منزلًا من عند الله وإنما من عند محمد ، وإلى ذلك السبب يرجعون تسمية المسلمين بالمحمديين أى أتباع محمد .

ونحن نفتخر باتباعنا لمحمد وعبادتنا لرب محمد واتباعنا لنهجه وشرعه ، فقد ربط الله تعالى محبته بطاعة محمد ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣١] ويقول أيضًا فى حق محمد وردًا على هذا الافتراء ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: الآية ٤] فالقرآن وحى من عند الله وليس من عند محمد ﷺ كما أن محمد ﷺ ما هو إلا بشر كسائر البشر إلا أنه أرسل إليه فقال تعالى مثبتًا بشرية محمد ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠] .

ضد الاتهامات الكاذبة التى اتهمه بها أعداؤه وهذا بالضبط ما قام به النبى ﷺ مع عيسى عليه السلام وأمه[1].

إخلاصه وصدقه His Sincerity

(أ) إن إخلاص الرجل العظيم هو أمر لا يمكنه التحدث عنه ومع ذلك فإننى أعتقد أنه كان مدركًا لمعنى عدم الإخلاص والصدق . فهل هناك أى رجل يمكن أن يلزم نفسه بالصدق والإخلاص ليوم واحد؟ أبدًا فالرجل العظيم لا يتباهى بالصدق والإخلاص ولا يدعيهما لنفسه على العكس من ذلك فهو لا يسأل نفسه حتى ما إذا كان مخلصًا وصادقًا أم لا . بل إننى أميل إلى القول بأن صدقه وإخلاصه لا يعتمدان على ذاته ونفسه وأنه ما كان يستطيع أن يكون إلا صادقًا ومخلصًا » أ . هـ

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٥٩)

---

(١) راجع كتاب محمد الخليفة الطبيعى للمسيح للمؤلف .

ولقد ورد فى القرآن مواقف كثيرة تدافع عن افتراءات النصارى على عيسى وأمه عليهما السلام .

قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: الآية ٣٥] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ (آل عمران ٥٩ - ٦٠)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ (المائدة : ١١٦ - ١١٧)

وبذلك كان القرآن الكريم منصفًا لعيسى بن مريم وأمه ومطهرًا لهما من براثن الكفر التى وقع فيها أتباعه ومنجيًا لهم من تحريفات النصارى حيث برأ من فعلتهم بعد موته وسيكون هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة وهو يعلن ذلك على جميع الخلائق أنه ما أتى إلا بالتوحيد وما دعا إلا إلى التوحيد وكل تحريف وضلال سينال وباله من قام بتحريفه ومن اعتقدوا فى هذا الضلال .

ولقد قال تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩] وبذلك تنتهى الحجة وتظهر الأدلة واضحة لمن كان له أو قلب ألقى السمع وهو شهيد . (المترجم)

(ب) الروح العظيمة الصافية : فقد كان واحدًا من هؤلاء الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا فى جد دائمًا هؤلاء الذين جبلت طبيعتهم على الإخلاص بينما يتخذ الآخرون من الأقوال المأثورة والصيغ الدينية مرشدًا لهم فى طريقهم .

فلم يقم هذا الرجل بإحاطة نفسه داخل إطار من الأقوال والصيغ الدينية ولكنه تفرد مع روحه ومع حقيقة الأشياء يستمد منها ما نطلق عليه الإخلاص وهو أسمى ما يملكه بعض البشر ، فقد كانت كلمة هذا الرجل صوت ينبعث مباشرة من قلب الفطرة نفسها . فإن الناس يصغون إليها كما لا يصغون إلى شيء آخر ، وحرى بهم أن يفعلوا ، فكل ما عدا هذا إنما هو بالمقارنة إليه هباء منثورًا »

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٧١)

ولم يكن بوسع كارلايل أن يجد الفرصة فى خلال حديثه الطويل إلى مستمعيه لكى يخبرهم عن المصادر التى استقى منها استدلالته واستنتاجاته . وسوف أسرد عليكم مجرد حادثة واحدة من حياة النبى وهى حادثة تعكس الدرجة العالية التى وصل إليها إخلاصه ﷺ فى تسجيل الوحى القرآنى إليه حتى ولو بدا أن القرآن يؤنبه بسبب بعض حماسته الطبيعية والبشرية .

الذكر كما أنزل

كان ذلك فى مكة فى الأيام الأولى للدعوة وكان محمد ﷺ فى محاولته لكسب رؤساء قبيلة (قريش) تعاليم الإسلام وفى أثناء حديثه مع أحد هؤلاء الرؤساء والذى كان يتظاهر بالإصغاء إليه حاول رجل أعمى يُدعى عبد الله بن أم مكتوم أن يتدخل فى المناقشة محاولًا جذب الانتباه إليه[1]

صمت الرسول المبارك ﷺ بينما الأفكار تدور فى عقله بلوم الأعمى عن عدم صبره

---

(١) لم يكن غرض ابن أم مكتوم الذى نزلت فيه هذه الآيات هو لفت الأنظار ، ولكنه كان يريد أن يسأل عن شيء مهم من أمور الدعوة . ولقد عاتب القرآن النبى محمد فى سورة (عبس) لانصرافه عنه وصرف وجهه إلى صناديد الكفر رغبة منه فى دخوله فى الإسلام . فاعتبر القرآن ذلك أنه لا حاجة له فى تمنى دخولهم الإسلام ولكن المسلمين الذين جاءوا إليك أولى بهذا الاهتمام =

الذى قد يتسبب فى عدم إقناع هذا الرئيس وقد تؤدى إلى عدم دخوله الإسلام أعتقد أن هؤلاء الرجال قليلى الأهمية مثل هذا الأعمى لا يحق لهم السؤال فى مثل هذه الأحوال .

ألم يختاره الله سبحانه وتعالى وشرفه بهذه الآيات المسجلة فى القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]

عبس وتولى He Frowned

وفى عرض هذه المناقشة مع رجال القبائل أرسل الله سبحانه وتعالى إليه جبريل الملاك المنوط بالوحى بهذه الآيات الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ (عبس ١- ٤)[1] .

وبالطبع فإن الرسول الكريم ﷺ لم يحب مقاطعة الأعمى للمحادثة .

ومن الطبيعى أيضًا أن تكون مشاعر هذا الرجل الفقير قد جرحت . ولكن صاحب القلب الكريم المتعاطف مع الفقراء أوحى إليه من ربه فى هذا الأمر . وبدون أدنى تردد قام على الفور بنشر هذه الآيات على الجميع لتحفظ إلى الأبد!

وفى كل مرة كان يقابل هذا الأعمى كان يتلقاه باللطف والرأفة وبالشكر لأن ربه قد عاتبه فيه . وقد قام الرسول الكريم بتولية عبد الله بن أم مكتوم على المدينة مرتين أثناء غيابه عنها (فى الغزوات والحروب ليقيم الصلاة بها) . هكذا كان الإخلاص والعرفان بالجميل لنبى كارلايل البطل محمد ﷺ .

= وما يدريك يا محمد إن هذا الكافر سوف يزكى ويدخل فى الإسلام أنه فى علم الغيب والأمر موكل إلى الله .

ولقد حدثت واقعة أخرى قريبة من تلك عندما اتفق مبدئيًا كفار قريش وصناديدها مع الرسول على أن يجعل لهم يومًا يجلسون معه فيه ويجعل للفقراء والعبيد يومًا خاصًا بهم وكان هذا شرطًا لإيمانهم وقد كاد يميل قلب الرسول لهذا الاقتراح فعاتبه ربه على ذلك وطلب منه أن يترك هذا الاقتراح ، فالمسلمون سواسية كأسنان المشط وقال تعالى فى هذا العتاب ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ .

(١) سوف أكمل تلك الآيات التى نزلت بخصوص هذا الشأن حتى تتوضح المعاتبة للنبى ، وطلب ألا يصرف وجهه عن المسلم الذى سأله لمجرد رغبته فى إيمان كافر لا يدرى هل سيؤمن بعد هذه الدعوة أم لا فأمره موكل إلى الله ، قال تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾

His Fidelity أمانته

(إنها لمودة غير محدودة . .. فلم ينس أبدًا زوجته السيدة خديجة فقد حدث بعد ذلك أن السيدة عائشة زوجته الصغيرة المفضلة وهى المرأة المميزة بين المسلمين فى جميع صفاتها وأساليب حياتها الطويلة مع الرسول ﷺ حدث أن سألته هذه السيدة الشابة الذكية ألست أفضل من خديجة الأرملة العجوز هل تحبنى أكثر مما كنت تحبها؟ ويجيبها الرسول الكريم لا والله! فقد آمنت بى حين كذبنى الناس وإذا كان لى صديق واحد فى هذه الدنيا كلها فقد كانت هى هذا الصديق) .

(كتاب الأبطال وعبادة الأبطال ص ٧٦)

كان الأسهل عليه أن يصد غواية الشيطان من أن يستسلم لغيرة زوجة شابة محبة وذكية وجميلة مثل عائشة الصديقة رضى الله عنها .

لماذا لم يُسمعها معسول الكلام فلم يكن ذلك ليضر أحدًا حتى روح السيدة خديجة رضى الله عنها لم تكن لتُضر بذلك؟

ولكن ليس هناك كذب برئ أو أبيض عند محمد ﷺ . إن مثل هذه الحوادث الصغيرة من هذا النوع تظهر لنا الرجل العبقرى الكريم أخو البشرية الذى أنار الطريق خلال أربعة عشر قرنًا من الزمان .. الأمين لأمنا المشتركة .

Al (Ameen) The Faithful الصادق الأمين

أ- « رجل الصدق والأمانة- صادق فيما فعله ، صادق فى كلامه- وفى أفكاره- وقد لاحظوا أنه دائمًا يعنى ويقصد شيئًا معينًا بما يقوله . رجل الكلمة- لا ترد كلمته- يلزم الصمت عند الضرورة ولكنه عندما يتحدث فحديثه الحكمة والإخلاص والصدق . ودائمًا يلقى الضوء على المسألة التى يتحدث فيها . فهذا هو النوع الوحيد للحديث الذى يستحق التحدث به » .

(كتاب الأبطال وعبادة الأبطال ص ٦٦)

ب- « من الطبيعى أن محمدًا قد أغضب قريشًا سدنة الكعبة المشرفين على

الأصنام . رجل أو اثنين من ذوى التأثير انضموا إليه . انتشر الدين ببطء ، لكنه كانت ينتشر . فمن الطبيعى أن يثير غضب الجميع »[١]؟

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٧٧) .

جـ- ليس رجلًا معسول اللسان ، بل شديد القول إذا لزم الأمر[٢] إنه لا يتظاهر بالأمور .

كانت غزوة تبوك شيئًا كثيرًا ما يتحدث عنه . فقد رفض بعض رجاله أن يخرجوا فى هذه الغزوة بعذر حرارة الجو وموسم الحصاد .. إلخ إنه لم يستطع أبدًا نسيان ذلك . إن الحصاد يستغرق يومًا واحدًا . ماذا سيحدث لمحصولكم فى النهاية؟ وماذا عن حرارة الجو؟ نعم- لقد كان الجو حارًا لكن « نار جهنم أشد حرًا! »

(كتاب الأبطال وعبادة الأبطال ص ٩٥، ٩٦)

« أحيانًا ينفع التهكم أو السخرية الخشنة : فهو يبين للكفار أن موازينكم تكون خفيفة! » .

يجب أن تتذكر أن توماس كارلايل قال تلك الكلمات والمزيد لمستمعين مسيحيين فى إنجلترا أذهلتهم وصدمتهم تلك الكلمات منذ (١٥٠) سنة .

التاريخ لم يسجل لنا المناقشات الحية التى من الطبيعى أن تكون أثارتها محاضرته . لقد ظل عند وعده . أنا أريد أن أتكلم عن كل الخير فيه (رسوله البطل) بقدر ما أستطيع . واستمر فى حديثه يدافع عن محمد ﷺ ضد التهم المزيفة والافتراء والتشويه الذى رماه بها أعداؤه .

---

(١) كرهه اليهود والمسيحيون والمشركون والمنافقون ، إنها طبيعة الزيف أن يكره الحق . (المؤلف)

(٢) ورد فى شدة الرسول وغلظته ولينه آيات تبين كيفية التدرج بين الغلظة واللين.

قال تعالى لرسوله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] ويقصد المسلمين كما وصف نفسه بأنه ليس بالصخاب ، ولكن طلب منه ربه الرفق فى دعوته واللين فى توجيه وإرشاد المسلمين حتى لا ينفضوا من حوله .

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٩] فهذه هى طبيعة محمد وصحبه وأتباعه أن يكونوا أشداء على الكفار لا يوالونهم ولا يسالمونهم بل يشدون ويغلظون فى القول والفعل لهم والعكس صحيح مع المسلمين يعاملونهم بالرفق واللين . (المترجم)

تهمة الخداع Charge of Falisity

٤ - أ- « رجل مخادع يؤسس ديانة؟ لماذا؟ لا يستطيع الرجل المخادع أن يبنى بيتًا من الآجر (الطوب)! إذا لم يكن يعلم كيفية البناء. حتى ولو تتبع خصائص الملاط والطين المحروق وكل شيء آخر، ولو توفرت له هذه الأشياء فسوف تكون نتيجة عمله كومة من النفاية (الرابش) وليس منزلًا. ولا يمكن لهذه الكومة أن تصمد لمدة اثنى عشر قرنًا من الزمان[1] وأن يهدى إليها مائة وثمانين مليونًا[2] ولكنه سينهار على الفور. المخادعون[3] يفتضحون. وهذا يشبه النقود المزيفة تمر من أيدى المزيفين، والآخرون هم الذين يتعين عليهم اكتشافها. تحترق وتنفجر الطبيعة بشعلات مضيئة .. فالثورة الفرنسية وما شابهها انطلقت تصرخ بالحقيقة المرعبة .. إن النداء الزائف ليس إلا زيفًا ».
(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٥٨)

٤ - ب- إن النظرية أو الرأى الذى يقول أن محمدًا كان مدعيًا للنبوة تعارضها بشدة حقيقة أنه عاش حياته بهذا الأسلوب الرائع والهادئ تمامًا فى هذا المكان العادى وفوق كل النقد أو الاعتراض حتى ذهبت زهرة شبابه. فقد كان فى الأربعين قبل أن يتحدث عن أى مهمة من السماء. وقد كان كل طموحه على ما يبدو حتى هذه اللحظة هو أن يحيا حياة شريفة وكل ما كان يرجوه من « شهرة » هو مجرد السمعة الطيبة التى يعرفه بها جيرانه ».

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٧٠)

٤ - جـ- « الطموح؟ ماذا كان فى استطاعة العرب بأسرهم أن يعطوا هذا الرجل؟ تاج هرقل الرومانى وكسرى الفارسى بل كل تيجان الأرض؟

ماذا كان من الممكن أو تساوى بالنسبة له؟ لم تكن من الجنة العالية أو جهنم السفلى. كل التيجان والملوك والممالك! ما مصيرهما بعد سنوات قليلة؟ هل كان يطمح فى أن يكون شيخ مكة وجزيرة العرب وفى يده قطعة خشبة مذهبة؟. هل فى هذا

---

(١) الآن مر ١٤ قرنًا على الرسالة المحمدية. (المؤلف)
(٢) لأن عدد المسلمين ألف مليون. (المؤلف)
(٣) المخادع يملك حلقة الحقيقة والصدق ولكنه صدق زائف فى حقيقة الأمر.

خلاص البشر وإنقاذهم؟ لا أعتقد ذلك .. إننا يجب علينا أن نتخلى كلية عن هذه النظرية أو الرأى القائل بأن محمدًا كان مدعى النبوة باعتبارها غير جديرة بالتصديق وغير محتملة أيضًا وتستحق فى المقام الأول أن ننبذها »[١]

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٧٢)

تهمة الخطيئة Charge of Sinning

٥- الخطايا ؛ فى رأيى أن أعظم الخطايا هو ألا تكون على دراية بأى منها ولا تشعر بها فى ضميرك . حسب اعتقادى كان يجب على قارئى الكتاب المقدس أن يعلموا أفضل من غيرهم من الذى سُمى هناك باسم « الرجل طبقًا لرغبة الله » إنه داود الملك العبرى الذى سقط فى زعمهم فى الخطايا وأسود الجرائم[٢] .

---

(١) لقد خير رسول الله فى أن يكون نبينا ملكًا أو عبدًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا نبيًا لما فى مقام العبودية من الشرف والتكريم فقال تعالى وهو ينسبه إلى نفسه : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: الآية ١] يدل ذلك على رفضه اختيار الملك من قبل الله تعالى .

ولقد عرض عليه كفار قريش الملك والجاه والسلطان والمال والثروة والرياسة عليهم ، بل على العرب جميعًا فى مقابل ترك الدعوة الإسلامية والرجوع إلى آلهتهم الضالة فقالوا قولتهم المشهورة : إن كنت تريد مالًا جمعنا لك المال وجعلناك أغنى رجلًا فينا وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا وجعلنا لك الأمر وإن كان بك مس (لمسة) من الجن أو مرض لا يشفى عالجناك حتى تشفى من هذا المرض .

فرفض كل ذلك ورفض كل تلك الإغراءات الكذابة التى لا تغرى إلا ضعاف القلوب وأصحاب العقول الفاسدة الذين يركنون إلى الدنيا وملذاتها وينسون الأخرى وما فيها ، فقال رسول الله ﷺ قولته الشهيرة التى يذكرها التاريخ له بكل ما فيها من نور وضياء وهدى ورحمة ، قال لعمه أبو طالب يا عم والله لو وضعلوا القمر عن يمينى والشمس عن يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه . إنها قولة تقشعر لها الجلود وتخشع لها القلوب ؛ قولة رجل واثق من نصر ربه واثق ومؤمن بما يبلغ عن ربه من أن الله سينصر هذا الدين ويعلى رايته ولو الكافرون .

فكان هذا النبى العظيم جديرًا لأن يحظى بكل حب ، وبكل تقدير ، وبكل احترام ، وبكل تبجيل من جميع من اتبعوه وآمنوا به واتبعوا النور الذى جاء به وممن لم يؤمنوا به كما رأينا على صفحات هذا الكتاب إن الكفار شهدوا له بالعظمة مثل مايكل هارت وتوماس كارلايل وغيرهما الكثير . (المترجم)

(٢) معاذ الله أن يكون أحد من أنبياء الله وقع فى الخطايا والإثم والفاحشة والقتل التى وصف الكتاب المقدس الكثير من أنبياء الله مثل داود ﷺ ومثل لوط الذى وصفه بأنه زنى بابنتيه ومثل إبراهيم وإسحاق والكثير من أنبياء الله الذى وصفهم بصفات مشينة يترفع الإنسان العادى عن فعلها علاوة عن أن يفعلها نبى عصمه الله ، فالأنبياء جميعهم معصومون من الخطأ . المترجم

لم تكن هناك حاجة إلى الخطايا .. ومن ذلك يسخر المشركون ويسألون هل هذا رجلكم الذى يسير وفق رغبة الله؟.

ويجب أن أقول أن السخرية تبدو لى مجرد سخرية سطحية.

ما هى الخطايا؟ ما هى التفاصيل الخارجية للحياة لو أن سرها الداخلى والندم والإغراءات والحق والمعوقات الدائمة- صراعات الحياة اللانهائية لو أن كل ذلك ينسى؟ إنه ليس للإنسان أن يوجه خطواته من تلقاء نفسه.

ومن بين كل الأعمال، أليست التوبة هى الأحسن بالنسبة للإنسان .. إن الخطيئة المميتة فى رأيى هى الإحساس المتكبر بأنه ليس لك خطايا. هذا هو الموت بعينه. القلب المتجرد- وهو فى كامل إدراكه- من الإخلاص والتواضع والحق هو قلب ميت .. إنه «مجرد» مثل الرمل الجاف الميت هو مجرد».

(الأبطال وتمجيد الأبطال ص ٦١)

تهمة حد السيف Charge Of The Sword

تعتبر أكبر جريمة وأكبر إثم لمحمد ﷺ فى نظر الغرب المسيحى أنه لم يسمح لنفسه أن يقتل أو «يصلب» بيد أعداؤه.

فقد تمكن من الدفاع عن نفسه وعن أسرته وعن رفاقه وأتباعه وأخيرًا تغلب على أعداؤه.

إن نجاح محمد قد أصاب المسيحيين بخيبة أمل .. إنه لم يؤمن بالتضحية العوضية من أجل خطايا الآخرين. وكانت معتقداته وتصرفاته موافقة للفطرة.

«وفى حالة الفطرة فلكل فرد الحق فى الدفاع عن نفسه وعن ممتلكاته وأن يمد عداءه بالقدر المعقول من الرضا والارتياح».

وهذه المقالة السابقة لأستاذ المؤرخين جيبون فى كتابه (صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية).

إن كفاحه وانتصاره على قوى الشر والكفر جعل ناشرى دائرة المعارف البريطانية يعلنون أن محمد ﷺ يعتبر «الأكثر نجاحًا من بين جميع الشخصيات الدينية). فكيف إذن يمكن لأعداء الإسلام أن يعللوا إنجازات محمد التى كانت تمثل ظاهرة فى حد ذاتها إلا بزعمهم أنه نشر عقيدته بحد السيف؟ وأنه فرض الإسلام على الناس فرضًا وأكرههم عليه إكراهًا؟

٦- «مع ذلك فقد كشف التاريخ أن الأسطورة التى تزعم أن المسلمين المتعصبين زحفوا على العالم يفرضون الإسلام بالقوة على أجناس الدول المفتوحة هى واحدة من أكثر الخرافات والأساطير التى رددها المؤرخون سخافة» «الإسلام فى مفترق الطرق» دى لاسى أوليرى . لندن سنة ١٩٢٣ ص ٨.

وليس عليك أن تكون مؤرخًا مثل أوليرى لكى تعلم أن المسلمين حكموا أسبانيا ٧٣٦ سنة . وهى مدة أطول من حكم المسيحيين على الرعايا المسلمين فى موزمبيق التى كانت ٥٠٠ سنة . وقد استولى عليها المحتلون البرتغاليون من حاكم عربى اسمه موسى بن بَيق وكان من الصعب عليهم نطق الاسم فحرفوه إلى موزمبيق .

وحتى اليوم وبعد خمسة قرون من الحكم المسيحى فلا يزال المسلمون يشكلون نسبة ٦٠٪ من هذا البلد . وبعد حكم الإسلام لأسبانيا والذى دام ثمانية قرون فقد تم استئصال وتصفية المسلمين تمامًا من أسبانيا حتى أنه لم يترك رجل واحد ليقوم بالأذان (نداء المسلمين للصلاة) .

فلو كان المسلمون قد استعملوا القوة سواء كانت العسكرية أو الاقتصادية عند حكمهم أسبانيا لم يكن ليبقى مسيحى واحد فى أسبانيا ليقوم بطرد وتصفية المسلمين بعد ذلك .

ومن الممكن أن تلوم المسلمين على الاستغلال إذا أحببت ذلك ولكن أحدًا لا يستطيع أن يتهمهم باستعمال السيف ليحولوا الأسبان عن عقيدتهم إلى الدين الإسلامى .

ولا يزال الإسلام اليوم ينتشر فى جميع أنحاء العالم مع أن المسلمين لا يملكون سيفًا .

المسلمون كانوا أيضًا أسياد الهند[1] لألف سنة لكن مؤخرًا عندما حصلت شبه القارة الهندية على استقلالها مؤخرًا فى عام ١٩٤٧ فإن الهندوس حصلوا على ثلاثة أرباع الدولة بينما حصل المسلمون على الربع الباقى[2] لماذا؟ لأن المسلمين لم

(١) يرجع سبب الاحتفاظ بالحضارة الهندية إلى المسلمين الذين قاموا بالمحافظة عليها ونقلها، وإليهم ترجع شهرة الهند وحضارتها . انظر كتاب «المسلمون فى الهند» لأبى الحسن الندوى) . المترجم

(٢) عدد مسلمى الهند ١٤٠ مليون مسلم ويقاسون الآن أشد أنواع العذاب والتنكيل من الهندوس فيقتلون وتهدم مساجدهم، وبالرغم من ذلك لم يفكروا فى استخدام القوة المسلحة مع الهندوس.

يجبروا الهندوس على الإسلام فى أسبانيا والهند . المسلمين لم يكونوا دائمًا مثالًا للفضيلة لكنهم أطاعوا الوصية القرآنية بالحرف .

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٦] .

ولقد فهم المسلمون الفاتحون من هذا الأمر أن « الإكراه » لا يتوافق مع الدين الحق لأن :

أ- الدين يعتمد على الإيمان والإرادة ، وهذه ستكون بلا معنى ، لو حدثت بالقوة . القوم قد تهزم ولكنها لا تحول .

ب- لقد بين محمد ﷺ ، رحمة الله للعالمين ، الحق والباطل حتى أنه لا يحب أن يكون هناك أى شك فى عقل أى شخص ذو نية حسنة فيما يتعلق بأصول الإيمان .

جـ- حماية الله مستمرة وخطته هى دائمًا أن يقودنا من أعماق الظلام إلى أوضح الأنوار[1] .

باستثناء بعض الشواذ هنا وهناك . فإن المسلمين عامة ظلوا على وصية الله فى الأرض وساروا على نهجها .

لكن ماذا يستطيع أن يقول الأعداء عن البلاد التى لم يضع جندى مسلم واحد عليها قدمه؟

١- إندونيسيا : يوجد بها أكثر من ١٠٠ مليون أندونيسى مسلمين لكن لا يوجد جيش إسلامى فاتح أبدًا ذهب إلى أى من جزرها الألفين[2]

٢- ماليزيا : الأغلبية العظمى من شعبها مسلمون بالرغم من أنه لا يوجد جندى مسلم واحد قد دخلها أيضًا .

---

(١) قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة)

(٢) مسلمى أندونيسيا ١٥٠ مليون ولكن للأسف تناقص عددهم بسبب نشاط التبشير هناك فقد بلغنى أنه تنصر ٢٣ مليون أندونيسى فأين المسلمون فى ذلك؟ فهل يستيقظون لهذا الخطر المحدق بنا الذى يغزونا من الخارج فى عقر دارنا؟ سأترك الرد لأولى الألباب وأريد أن أوضح أن الإسلام انتشر فى جنوب شرق آسيا بسلوك وأخلاق ودين التجار المسلمين ولم تدخل إلى تلك البلاد أى جيوش ولم تتم أى فتوحات إسلامية فى هذه المناطق) . المترجم

٣- إفريقيا : أغلبية الشعوب على السواحل الشرقية لإفريقيا حتى موزمبيق جنوبًا وأيضًا معظم السكان على الساحل العربى للقارة مسلمون لكن التاريخ لم يسجل أى جيوش مسلمة مهاجمة فى أى مكان .

أين كان هذا السيف؟

التاجر المسلم قام بالمهمة (بالقدوة الحسنة)- أخلاقه الحسنة- سلوكه الأخلاقى المستقيم حقق معجزة الهداية إلى الإسلام .

يقول المجادل المسيحى : كل ما تقوله يبدو أنه لا جدال فيه يا سيد ديدات ولكننا نتكلم عن الإسلام فى بداية الطريق التى حول بها رسولكم الوثنين لدينه ، كيف فعلها لو لم يكن بالسيف؟ »

واحد فى مقابل الجميع One Against All

ليس بوسعنا أفضل من أن نسمح لتوماس كارلايل نفسه بالدفاع عن نبيه البطل ضد هذه التهمة الكاذبة .

٧- « السيف بالفعل : لكن من أين ستأتى بسيفك!! كل فكرة جديدة فى بدايتها تكون تمامًا « قاصرة على واحد » فى عقل رجل واحد وحده .. وهناك تكمن لأنه حتى تلك اللحظة يكون هناك رجل واحد فى العالم كله يصدقها . إنه رجل واحد فى مقابل الجميع . أن يأخذ سيفًا ويحاول أن ينشر به هذه الفكرة ، لن يجدى إلا قليلًا . يجب أولًا أن تدافع عن نفسك بسيفك وعامة سينتشر الشيء بنفسه بعد ذلك إذا كان يستطيع . ونحن لا نجد أن الدين المسيحى أيضًا دائمًا يترفع عن استعمال السيف عندما حظى به يومًا . وعندما حوَّل « شارلمان » الساكسونيين إلى المسيحية فإن ذلك لم يكن بالوعظ » .

(الأبطال وعبادة الأبطال ص ٨٠)

فى سن الأربعين عندما أعلن محمد رسالته السماوية لم يكن هناك فريق سياسى أو ملكية وبالتأكيد لا عائلة أو قبيلة تسانده .

إن قومه العرب الذين كانوا منغمسين فى عبادة الأصنام واللجوء إلى السحر لم يكونوا بأية حال قومًا طبيعيين وسهلى المراس ولم يكونوا لقمة سائغة ، لقد كانوا قومًا متقلبين معتادين على الحروب المميتة الأهلية وعرضة «لجميع أنواع الإخلاص الوحشى على حد تعبير كارلايل» .

إن رجلًا واحدًا لا يحتاج لأقل من معجزة لكى يصلح وحده مثل هؤلاء القوم . وقد وقعت المعجزة . الله وحده هو الذى نصر الإسلام ومحمد ﷺ بالمساندة الرقيقة الوديعة .

وصدق الله وعده إذ يقول فى كتابه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشّرح: الآية ٤]

❁❁❁

الفصل الثالث

أسرع الأديان نمواً اليوم

Fastest Growing Religion Today

سيف العقل The Sword Of The Intellect

لن يتوقف أعداء الإسلام المشككون والمبشرون بالمسيحية (المنصرون) وأتباع حملتهم عن القول الأحمق بأن « الإسلام انتشر بحد السيف » . لكنهم لن يجرءوا على أن يجيبوا على سؤالنا : من قام برشوة كارلايل سنة ١٨٤٠م . عندما دافع كارلايل عن محمد ﷺ ضد هذا الادعاء عن السيف؟ لم يكن هناك أحدًا حوله ليرشيه .

العالم الإسلامى بأسره كان فى الدرك الأسفل من الحضارة .

كانت بلاد الإسلام كلها خاضعة تحت الاحتلال من قبل المسيحيين ما عدا القليل منها مثل إيران وأفغانستان وتركيا الذين كانوا مستقلين اسمًا فقط . ولم يكن هناك ثروة للتباهى بها ولا دولارات البترول ليرشوا بها .

لقد كان ذلك بالأمس وفى الماضى القريب . لكن ماذا عن اليوم فى الأزمنة الحديثة؟

لقد ثبت أن الإسلام أسرع الأديان نموًا فى العالم كما هو مبين فى الجدول الذى يظهر فى الصفحة التالية .

إن إجمالى الزيادة لكل الطوائف والملل المسيحية كانت مذهلة ١٣٨ %.

مع الزيادة التى لا تصدق للإسلام . وهى ٢٣٥% فى نفس المدة من الوقت وهى نصف قرن . ولقد تأكد أن الإسلام هو أسرع الأديان نموًا فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

نصف قرن حاسم فيما يتعلق بالديانات (تأليف كيث و . ستامب)

نحن نلقى الضوء على أهم تطورات الأديان الكبرى فى العالم سنة ١٩٣٤م-١٩٨٤م

العدد عام ١٩٨٤[١] العدد عام ١٩٣٤[٢]

الديانة	الأرثوذكسية الشرقية	البروتوستانتية	الكاثوليكية	المسيحية	البوذية
النسبة المئوية للعدد فى ١٩٨٤ بالنسبة للعدد فى ١٩٣٤	٪٣٦ نقص	٪ ٥٧ زيادة	٪٧٠ زيادة	٪٤٧ زيادة	٪٦٣ زيادة
الديانة	**الشنتوية**	**اليهودية**	**الإسلام**	**الهندوسية**	**الكونفوشيوسية**
النسبة المئوية للعدد فى ١٩٨٤ للعدد فى ١٩٣٤	٪١٥٢ زيادة	٪٤ نقص	٪٢٣٥ زيادة	٪١١٧ زيادة	٪١٣ نقص

لقد قيل أن « المسلمين فى بريطانيا » أكثر من طائفة المثوديين أو « المنهجيين » (Methodists) فى هذا البلد .

ولك الحق فى أن تسأل « أى سيف؟ » الجواب هو إنه « السيف بالفعل! »[٣] (كما قال كارلايل) إلا إنه سيف العقل!

إنه تحقيق لنبوءة أخرى أيضًا : قال تعالى :

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح: الآية ٢٨] .

---

(١) المصدر: التقويم العالمى وكتاب الحقائق ١٩٣٥ مجلة الحق الواضح .

(٢) المصدر التقويم والكتاب السنوى لمجلة «ريدرز دايجست» ١٩٨٣ .

(٣) راجع الفقرة ٧ من الفصل الثانى ص ٨٩.

وقد وصف هنا قدر الإسلام فى أوضح تعبير . سيسود الإسلام فى العالم ويتغلب ويخلف وراءه كل دين آخر .

(ليظهره) (أى ليظهر الله القدير الإسلام) على الدين كله . وكلمة دين باللغة العربية (ومعناها الحرفى طريقة الحياة) .

وأنه سيخلف وراءه جميع الأديان سواء كانت الهندوسية أو البوذية أو المسيحية أو اليهودية أو الشيوعية أو أى مذهب آخر ، هذا هو ما قدره الله لدينه .

وقد أعيد نفس النص القرآنى فى سورة الصف الآية ٩ التى تنتهى بنهاية مغايرة طفيفة :

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف : ٩)

انتصار الإسلام Triumph Of Islam

الإسلام سيسود . إنه وعد الله ، ووعده حق[1] . لكن كيف؟

بالسيف؟ لا حتى ولو كان عندنا سلاح ذرى . هل يمكننا استعماله؟

القرآن الكريم يحرم علينا استخدام القوة كوسيلة للهداية!

لكن الآية تتنبأ بأن الإسلام سيكون الأكثر سيادة على جميع الأديان .

إن انتصارات تعاليمه وعقائده بدأت بالفعل . وهو الأن بدأ يتحكم فى الفكر والتعاليم والعقائد الدينية لمدارس الفكر المختلفة فى العالم .

---

(١) قال تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٧]
وقال تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٣]

وقال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: الآية ٥٥]

تلك الآيات الشريفة تدل على وقوع التمكين للمسلمين والمؤمنين والاستخلاف فى الأرض كما تحقق وعد الله للمؤمنين السابقين فسوف يتحقق للمؤمنين فى كل وقت وحين بشرط أن يكونوا صادقى الإيمان يسعون أن يمكنهم الله فى الأرض وإذا حقق لهم التمكين فسوف يحكمون شرعه ويتبعون كتابهم إذا وصل المسلمون فى هذا العصر إلى تلك الدرجة من الإيمان فالنصر وارد لا محالة . (المترجم)

ليس باسم الإسلام ولكن باسم التحسين والإصلاح الدينى فإن الطوائف الدينية المختلفة بدأت تتعلم بسرعة بتعاليم وعقائد الإسلام وهناك أشياء كثيرة تناولها مقصور على الإسلام ولم تكن معروفة من قبل أو كانت من قبل تعارض بضراوة (بشدة) من العقائد الأخرى أصبحت الآن جزءًا من معتقداتهم .

- إخاء الإنسان .
- إلغاء نظام الطبقات المتعلقة والمنبوذة .
- حق النساء أن ترث .
- فتح أماكن العبادة للجميع .
- تحريم كل المسكرات[١] .
- المفهوم الحقيقى لوحدانية الله . . . إلخ[٢]

تبقى كلمة واحدة أخيرة فى الموضوع الأخير قبل أن ، ننتقل إلى الأمام :

اسأل أى موحد أو المشرك (المؤمن بعدة آلهة) أو المؤمن بوحدة الوجود أو

---

(١) كان فى أثناء التدريج فى تحريم الخمر منع المسلمين من أن يأتوا الصلاة وهم سكارى قال تعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّساء: الآية ٤٣] وفى المرحلة الثالثة من تحريم الخمر قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: الآية ٩٠] فتم تحريمها للأبد وانتهى المسلمون الصادقون عن تناول شرب الخمر إلى يوم القيامة وانتهت هذه المرحلة التى كان يمنع فيها الصلاة للسكارى انتهت بتحريم الخمر التحريم الأبدى . (المترجم)

(٢) المفهوم الحقيقى لوحدانية الله و توحيده توحيدًا كاملًا كما أمر به عز وجل شأنه ولا تشرك به أحد من الشركاء والآلهة الزائفة وأنواع التوحيد ثلاثة :

(أ) توحيد الربوبية وهى الاعتراف بربوبية وملكية الله للمخلوقات جميعًا وهذا التوحيد مشترك بين المسلمين وكفار قريش

(ب) توحيد الألوهية وهى التى تفرق بين المسلم والكافر حيث إنه يقصد منها إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة دون غيره من الآلهة الزائفة ، أما إذا صرف العبد ولو جزء قليل منها لغير الله فهو مشرك .

(جـ) توحيد الأسماء والصفات ويقصد به الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته التى وصف بها نفسه فى القرآن الكريم أو وصفه بها نبيه عليه الصلاة والسلام بدون تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تمثيل ، للمزيد يراجع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

الثالوثى[1] . كم إلها يؤمن به؟ سيخاف أن يقول أى شيء غير واحد!!!

هذا هو تأثير التوحيد الصارم فى الإسلام .

« إن عقيدة محمد خالية من شبهة الغموض ، والقرآن دليل رائع على وحدانية الله »

(جيبون فى كتابه صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية)

رأى الشرقيين غير المسلمين Verdict Of Non- Muslim

تقريبًا كل المدافعين عن محمد ﷺ الذين عارضوا النظرية الخاطئة بأنه نشر دينه بحد السيف كانوا غربيين .

دعونا الآن نسمع ما قاله بعض الشرقيين من غير المسلمين فى هذا الموضوع .

أ- « كلما أدرس أكثر أكتشف أن قوة الإسلام لا تكمن فى السيف » ماهاتما غاندى- أبو الهند الحديثة فى « الهند الفتاة » .

ب- إنهم (نقاد محمد ﷺ يرون النار بدلًا من الضوء والقبح بدلًا من الحسن- إنهم يشوهون ويصورون كل صفة جيدة كأنها رذيلة عظيمة . إن هذا يعكس فسادهم الشخصى .

إن النقاد الذين تكسوهم الغشاوة لا يستطيعون أن يروا أن السيف الوحيد الذى

---

(١) وحدة الوجود : كالذى يؤمن بأن الله هو كل شيء . والثالوثى هو الذى يؤمن بالثالوث المقدس الآب - الابن- الروح القدس- المؤلف

وهؤلاء كفار بلا أدنى شك . المترجم

وأضيف أن أصحاب وحدة الوجود أمثال الوثنين من غلاة الصوفية كالحلاج وابن عربى وغيرهم من القائلين بأن عين الله هو عين المخلوق وأن الله حال فى كل شيء .

وقالوا إنه من أعلى درجات التوحيد أن تعتقد أن الله حال فيك وقالوا كل شيء فى الكون هو الله ومن شعرهم فى ذلك قول ابن عربى

العبد رب والرب عبد ليت شعرى من المكلف

إن كان رب فذاك عبد وإن كان رب فأن يكلف

حتى إن هذا الضال قال إنه هو الله بلا حياء ، وقول ابن بشير فى الصلاة البشبيشية

اللهم انشلنى من أوحال بحر التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة!!

يقصد بها وحدة الوجود وهو أن كل شيء فى الكون هو الله والعياذ بالله ونبرأ من ذلك .

استخدمه محمد كان سيف الرحمة والشفقة ، الصداقة والمغفرة . إنه السيف الذى يقهر الأعداء ويطهر قلوبهم . إن سيفه كان أكثر حدة من السيف المصنوع من الصلب .

بانديت جياناندرا ديف شارمة شاسترى فى اجتماع بجواراكبور الهند سنة ١٩٢٨هـ .

جـ) لقد فضل الهجرة على محاربة قومه ، ولكن عندما وصل الظلم والاضطهاد أبعد من نطاق الاحتمال حمل سيفه دفاعًا عن النفس . هؤلاء الذين يؤمنون أن الدين ممكن أن ينتشر بالقوة أغبياء لا يعلمون طرق الدين ولا طرق الحياة .

إنهم فخورون بهذا الاعتقاد لأنهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة .

صحفى سيخى[١] فى « نوان هندوستان » دلهى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

« الشرق شرق والغرب غرب لن يلتقى الاثنان أبدًا . إن كل الذين لم يعمهم التحيز سوف يلتقون فى الدفاع عن محمد ﷺ

روديارد كيبلينج

ثلاثة مقاييس أخرى Three Other Standards

بعد ١٤ سنة من إلقاء توماس كارلايل لمحاضرته عن نبيه البطل (محمد ﷺ Hero Prophet كتب رجل فرنسى اسمه لامارتين Lamartine تاريخ الأتراك . وبما أن الأتراك مسلمون فقد تناول لامارتين بعض جوانب الإسلام ومؤسسه . وكما رأى جول ماسيرمان (انظر الفصل الأول ص ٤٢ - ٤٩) . فى الوقت الحاضر ثلاثة مقاييس موضوعية لاكتشاف عظمة القيادة ، فقد فكر لامارتين منذ قرن مضى فى ثلاثة مقاييس موضوعية أخرى لمنح العظمة . لابد أن نعطى الفضل للغربيين لهذا النوع من نفاذ البصيرة .

ويعتقد لامارتين أن :

(١) إذا كانت عظمة الغاية ، وقلة الوسائل والنتائج المذهلة هى المقاييس الثلاثة لعبقرية الإنسان فمن يجرؤ على مقارنة أى رجل عظيم فى التاريخ بمحمد ﷺ؟

---

(١) سيخى : ديانة هندية ترفض الوثنية والعزل الطبقى . (المؤلف)

وينهى لامارتين قطعته المطولة الأدبية الرائعة بالكلمات الآتية :

« ... حكيم- خطيب- رسول- مشرع- محارب- هازم الأفكار الباطلة- ومحيى المعتقدات العقلانية وعبادة بلا أصنام ولا صور- مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية ذلك هو محمد . وبالنظر إلى كل المقاييس التى يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل : هل يوجد أى إنسان أعظم منه؟

لامارتين (تاريخ الأتراك) باريس سنة ١٨٥٤الإجابة عن هذا السؤال : « هل يوجد أى إنسان أعظم منه؟ » واضحة فى السؤال نفسه ، (إنه استفهام غرضه النفى) فكأنه يقول ضمنًا « لا يوجد إنسان أعظم من محمد ، ومحمد أعظم من عاش أبدًا »

قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشّرح: الآية ٤] (الشرح : ٤)

لقد فعلت يا ربى بكل التأكيد .

قبل أن نبرئ لامارتين من أى تحيز أو محاباة أو من تهمة تقاضى الرشوة نتفحص بدقة مقاييسه الثلاثة ونرى إذا كانت قد تحققت فى محمد ﷺ .

١- **عظمة الغاية** Greatness Of Purpose

التاريخ سيقول لك إنها كانت أكثر فترة مظلمة فى التاريخ البشرى عندما أمر محمد ﷺ أن يشهر بدعوته[1]

كانت هناك حاجة لبعث الرسل فى كل ركن من أركان العالم أو إرسال رسول واحد سيد للجنس البشرى كله ليخرجهم من الزيف وخرافة المعتقدات والأنانية والوثنية والخطأ والظلم .

ليكون إصلاحًا للبشرية كلها . والله القوى بحكمته اختار نبيه من مكان منعزل فى جزيرة العرب ليكون رسولًا للعالمين ، لهذا يسجل فى كتابه الشريف :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] .

---

(١) كان إشهاره دعوته ﷺ للأمر الإلهى فى قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] (اصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين) . المترجم

الآن لم يعد هناك سؤال عن السلالة ولا الأمة ، ولا « الشعب المختار » أو عن « ذرية إبراهيم » أو « ذرية داود » أو عن طبقة النبلاء عند الهندوس أو اليهود أو الأميين أو العرب أو العجم أو الفرس أو عن الترك أو الطاجيك أو الأوربيين أو الآسيويين أو البيض أو الملونيين أو آرى أو سامى أو مغولى أو أفريقى أو أمريكى أو أسترالى أو بولينزى (من سكان جزر بولونيزيا) وتنطبق المبادئ على كل الرجال والمخلوقات المسئولة دينيًا بلا استثناء » (عبد الله يوسف على فى ترجمته الإنجليزية لمعانى القرآن الكريم) .

يسوع (ﷺ) Jesus (PBUH) Discriminates

إن سلف محمد ﷺ المباشر (أى عيسى ﷺ) نصح تابعيه قائلًا « لا تعطوا القدس للكلاب » (يعنى غير اليهود)

« ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » (متى ٧: ٦) .

إن كتاب الإنجيل أجمعوا على أن المسيح عاش على المبادئ التى وعظ بها ودعا إليها . ولم يعظ أو يدع شخصًا واحدًا غير يهودى فى حياته . فى الواقع لقد رفض بازدراء امرأة غير يهودية جاءت تلتمس شفاء ابنتها على يديه .

(وكانت المرأة أممية (غير يهودية) وفى جنسها فينيقية سورية)[1] (مرقص ٧- ٦) .

وأثناء موسم « عيد الفصح » عندما قام السيد المسيح وأتباعه بالاجتماع لهذه المناسبة فى القدس جاءه بعض اليونانيين بعد أن سمعوا عن شهرته وسمعته يلتمسون مقابلته للتنور الروحى . ولكن المسيح ﷺ عاملهم « بجفاء » كما روى القديس يوحنا . « وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذى من بيت صيدا الجليل وسألوه قائلين يا سيد نريد أن نرى يسوع . فأتى فيليبس وقال لأندراوس ثم قال اندراوس وفيلبس ليسوع » (يوحنا ١٢: ٢- ٢٢) .

---

(١) جاء فى الأصل « كانت المرأة يونانية » (the woman was a Greek) وهو الثابت فى نص ترجمة الملك جيمس ، وهى الترجمة التى يقتبس منها ديدات . وما أثبتناه وهو « وكانت المرأة أممية » إنما هو نص الترجمة العربية لذا وجب التنويه .

تمجيد الذات Self Glorifcation

الآيات التالية لا تسجل الإذن بـ (نعم- نعم) أو (لا- لا) كما أوصى المسيح بالاكتفاء بهما (بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير) (متى ٥: ٣٧).

بل تمضى الفقرات فى مدحه :

« وأما يسوع فأجابهما (أى أندراوس وفيلبس) قائلًا قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » (وهو بشير بذلك إلى نفسه) (يوحنا ١٢: ٢٣).

أعلى المقاييس Highest Standards

تذكر كيف أن الله ذكر محمدًا ﷺ بأفضل آداب العشرة المطلوبة منه . حتى فكرة تكدره من التطفل غير الملائم لرجل أعمى لم تقبل منه « انظر عبس وتولى ص ٦٧-٧١» كرسول للعالمين جعل الله له أرفع وأنبل المقاييس .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]

وما هو نطاق دعوته ومجال بعثته ، إنها البشرية كلها!

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] .

رسول لكل العالم Universal Messenger

هذه الأشياء ليست مجرد أمور تافهة وعواطف أو مشاعر جميلة مجردة من الأفعال . فقد طبق محمد ﷺ ما وعظ به ودعا إليه . ومن بين الصحابة والمهتدين الأولين بخلاف العرب ، كان بلال الحبشى وسلمان الفارسى وعبد الله بن سلام اليهودى من الممكن أن يقول المشككون أن امتداده كان ببساطة مصادفة لكن ماذا يستطيعون أن يقولوا عن الحقيقة التاريخية أنه قبل موته أرسل خمس رسائل واحدة إلى كل من البلاد الخمسة المحيطة ، يدعوهم إلى دين الإسلام .

١- إمبراطور فارس

٢- ملك مصر

٣- نجاشى الحبشة

٤- إمبراطور الروم هرقل بالقسطنطسنية
٥- ملك اليمن

وهو بهذا يضرب لنا مثلاً فى تنفيذ رسالته السماوية و « عظمة الغاية » وإصلاح البشرية كلها بهدايتها للإيمان بالله . فهل يمكن أن يضارع أى دين آخر عالمية الإسلام . ولم يبعث محمد ﷺ لكى يسجل أو يحطم أى أرقام قياسية وإنما بعث لكى يقوم بالمسئولية التى أسندها إليه رب العالمين!

٢- قلة الوسائل Smallness Of Means

لم يولد محمد ﷺ وفى فمه معلقة من فضة .

إن حياته تبدأ برعاية محدودة ، مات أبوه قبل أن يولد ، أما أمه فماتت ببلوغه السادسة من عمره . لقد كان يتيم الأبوين فى هذه السن الحرجة . ثم يقوم جده عبد المطلب برعاية هذا الطفل لكنه يموت أيضًا بعد ثلاث سنوات . وما أن اشتد عوده حتى بدأ يرعى أغنام عمه أبى طالب من أجل طعامه .

قارن هذا الطفل العربى الفقير اليتيم الأبوين ببعض الشخصيات الدينية العظيمة التى سبقته ولابد أن تعجب على ما كان يخبئ له القدر .

إن إبراهيم عليه السلام الأب الروحى لموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) كان ابن واحد من أنجح التجار فى ذلك الوقت .

وموسى عليه السلام رُبى فى بيت فرعون . أما عيسى عليه السلام فبالرغم من وصفه فى بعض الأناجيل بأنه « النجار ابن النجار » إلا أنه كان لديه إمكانيات مادية وتعليمية جيدة .

إن بطرس وفيلبس وأندراوس إلخ تركوا جميعًا أعمالهم وتبعوه ليكونوا رهن إشارته وطوع أمره ليس لأنه كانت هناك أى هالة[1] فوق رأسه . لم يكن هناك شيء كهذا . لكن بسبب ملابسه الثمينة وعطاياه الكثيرة .

لقد كان بإمكانه أن يطلب لنفسه ولأتباعه قصورًا فى القدس فى ذروة العيد ويطلب تجهيز الولائم السخية . وكان بإمكانك أن تسمعه يوبخ اليهود الماديين .

---

(١) هالة حلقة خيالية تحيط برءوس القديسين والقديسات فى الرسومات الدينية . (المؤلف)

« ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات[١] بل لأنكم أكلتم الخبز فشبعتم » (يوحنا ٦: ٢٥- ٢٦)

لا شيء ليقدمه Nothing To Offer

أما محمد ﷺ فلم يكن يملك أى خبز أو لحم ليقدمه ولا مُسكرات من أى نوع لا فى هذا العالم ولا فى العالم الآخر!

والأشياء الوحيدة التى كان بوسعه أن يقدمها لقومه الرعاة الفقراء هى المحن والابتلاءات والقيود فى حياتهم على الأرض والوعد بالملذات المرضية من الله فى الآخرة .

إن حياة النبى كانت كتابًا مفتوحًا أمامهم . لقد عرف من لقوا محمد ﷺ نُبل أخلاقه وكمال غايته وجديته وحماسته المشتعلة من أجل الحق الذى جاء يدعو إليه وأظهر بطولته فاتبعوه . إن تقييم السيد ستانلى لان بوول لبطلنا هو من الجمال والصدق بحيث إنى لا أستطيع مقاومة اغراء الاستشهاد به هنا : « لقد كان مفعمًا بالحماسة لهذا المفهوم النبيل وعندما تصبح الحماسة ملح الأرض « يقصد خيار الإنسان » تكون الشيء الوحيد الذى يحفظ الناس من الفساد ما داموا أحياء » .

الحماسة غالبًا ما تستخدم بخبث عندما ترتبط بهدف حقير أو تسقط على أرض جرداء فلا تحمل أى ثمار . لم يكن الأمر كذلك مع محمد ﷺ . لقد كان مفعمًا بالحماية عندما كانت الحماسة الدينية الشيء الوحيد المطلوب ليحول الدنيا إلى شعلة متوهجة وحماسته هذه كانت نبيلة ولهدف نبيل .

لقد كان واحدًا من هؤلاء القليلين السعداء الذين بلغوا قمة السعادة عندما جعلوا للحياة حقيقة واحدة عظيمة هى ينبوع حياتهم . لقد كان رسول الله الواحد ، ولن ينس أبدًا حتى نهاية حياته من هو ولا رسالته التى كانت سبب وجوده . لقد وعى قومه إلى رسالته ، بشرف وكرامة نابعة من وعيه بمهمته الرفيعة وقام على أمرها بتواضع شديد

(١) دلائل صدق رسالة المسيح ومهمته . (المؤلف)

الرحمة وتتبع أصوله من معرفته بضعفه الشخصى » .

من السهل أن يسلم بأن محمدًا عليه الصلاة والسلام أنعم عليه بأرق الموارد البشرية . وفى الواقع النزعات كلها تجمعت ضده ، لكن ماذا عن حظه فى نهاية إقامته المؤقتة على الأرض؟

لقد كان السيد المطلق على العرب أجمعين ، وماذا عن الإمكانات اللانهائية التى كانت تحت تصرفه وقتها؟ سندع مبشرًا مسيحيًا يجيب عن ذلك .

« لقد كان القيصر والبابا فى شخص واحد لكنه كان بابا بدون خيلاء البابوات والقيصر دون حشود القياصرة بدون جيش متأهب- بدون حاشية بدون قلعة بدون دخل ثابت . لو أن أى إنسان كان له الحق أن يدعى أنه حكم بالحق الإلهى فهو محمد . فقد كان يملك كل السلطات بدون أدواتها وبدون ما يدعمها »

(ر . بوسوورث سميث- محمد والإسلام) لندن ١٨٧٤ صفحة ٩٢) .

العقبات التى قابلته His Handicaps

إن (ضعفه) كان قوته .

إن حقيقة أنه لم يكن يملك أى إمكانيات مادية لمساندته جعلته يضع ثقته التامة فى الله . والله الرحيم لم يتخل عنه ونجاحه كان مذهلًا .

أليس من حق المسلمين أن يقولوا بالعدل والإنصاف أن الإنجاز كله من صنع الله؟ وكان محمد ﷺ أداته؟

٣- نتائج رائعة Outsanding Results

من « رجل واحد فى مقابل جميع الرجال »[١] على حد قول توماس كارلايل إلى ٢٤ ألف (تابع) فى حجة الوداع وحدها .

فكم عدد الذين خلفهم من الرجال والنساء والأطفال كلهم مؤمنون؟

وفى ١٢ ربيع الأول فى العام الحادى عشر بعد الهجرة الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٢

---

(١) راجع ص ٨٩ لقراءة كلام توماس كارلايل . (المؤلف)

من العهد المسيحى بينما هو يصلى أو يدعو بإخلاص فى همس فاضت روح الرسول العظيم إلى « الرفيق الأعلى » ، حسب ما رواه (ابن هشام) فى سيرته المشهورة .

وعند سماع سيدنا عمر رضى الله عنه النبأ الحزين عن وفاة الرسول الكريم فقد صوابه . لقد صدم بشدة حتى أنه قال بدون تفكير « سأضرب عنق من يقول أن محمدًا قد مات! » وفى التو أكد سيدنا أبو بكر رضى الله عنه للمسلمين أن سيدنا (النبى ﷺ قد غادر الحياة بالفعل وهو خارجًا من حجرة النبى ﷺ . وأعلن ذلك للناس المحتشدين بالخارج .

فقال خاطبًا فى الناس « أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت »[1]

هذا الكلام أعاد عمر الفاروق رضى الله عنه إلى صوابه .

هل كان يستطيع ذلك الرجل الذى أصبح فيما بعد الخليفة الثانى للإسلام أن يتخيل أنه بعد ١٤٠٠ سنة سيصل عدد أتباع محمد ﷺ إلى مليار (١٠٠٠ مليون) مسلم فى عصر واحد؟

هل كان يمكنه تخيل أن دين هذا النبى سيكون أسرع الأديان نموًا فى العالم؟

تقدمت المسيحية الإسلام بـ ٦٠٠ سنة . ويدعى المسيحيون أنهم يفوقون أى دين آخر من حيث العدد . هذا صحيح . ولكن دعونا ننظر إلى الصورة من منظور صادق .

« هناك مسيحيين معلنون إيمانهم فى العالم أكثر من المسلمين الذين يعلنون إيمانهم ، ولكن هناك يطبقون الإسلام فى العالم أكثر من المسيحيين المطبقين للمسيحية » .

(ر . ف . س . بودلى (الأمريكى) فى « الرسول : حياة محمد » . أمريكا سنة ١٠٦٩.

إننى أفهم مما سبق أن السيد بودلى يحاول أن يقول لنا إنه يوجد بعض الناس فى العالم عندما يملئون استمارات الاحصاء سيذكرون لفظ مسيحى فى خانة الدين . وليس

---

(١) وقرأ قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٤]

من الضرورة أنهم يؤمنون بمبادئ وعقائد المسيحية . فمن الممكن أن يكونوا بالفعل ملحدين أو من طائفة النصارى المعمدانيين البوش[1] (Bush- Baptists) حتى يميزوا أنفسهم عن اليهود والهندوس والمسلمين . وباعتبارهم منحدرين من أصل مسيحى ومن أجل راحة بالهم يسمون أنفسهم « مسيحيين » .

ويأخذ ما تقدم فى الاعتبار بالإضافة لوجهة النظر القائلة بأن المؤمن هو من يطبق ما يؤمن به ، سيكون هناك مسلمون فى العالم أكثر من المسيحيين .

لقد تأخر ظهور الإسلام عن المسيحية بـ ٦٠٠ سنة من الناحية الزمنية ولكن من المدهش أنه قريب منها جدًا من حيث العدد ويلحقها بسرعة فهو أسرع الأديان نموًا . فهناك اليوم « مليار » مسلم فى العالم (راجع الجدول ص ٩٤) . إن الصورة مذهلة ، وإخلاص وتطبيق المؤمنين للإسلام مدهش .

بالأخذ فى الحسبان مقاييسه الثلاثة الموضوعية :

أ- عظمة الغاية

ب- قلة الوسائل

جـ- النتائج المذهلة

هل يجرؤ لامارتين على وضع مرشح آخر أعظم من محمد ﷺ؟ إنه يملأ قراءه تعجبًا مشوبًا بالاحترام بسرده للأدوار المتنوعة التى قام بها محمد ﷺ بتفوق وامتياز : « فيلسوف- خطيب- رسول- مشرع- محارب- هادم الأفكار الباطلة- محيى المعتقدات العقلانية وعبادة بلا أصنام ولا صور- مؤسس ٢٠ إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية ذلكم هو محمد . وبالنظر إلى كل (وأنا أكرر هنا « لكل » المقاييس التى يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسألأ هل يوجد أى إنسان أعظم منه؟ »

لا يوجد!

لقد كان محمد ﷺ أعظم رجل عاش أبدًا بالنسبة للامارتين المؤرخ الفرنسى .

---

(١) هناك أربعون كنيسة معمدانية فى أمريكا ، لكن هؤلاء قوم ذوو مشاعر دينية قوية ، ولكن لا يذهبون لأى كنيسة ولن ينضموا أو ينتسبوا إلى أى فرقة أو طائفة . (المؤلف)

ويسأل الله القوى القدير أيضًا :

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ (الشرح ١- ٤)

وبالتأكيد فعلت يا إلهى .

صفة الرحمة The Quality of Mercy

يتفاخر الدعاة المسيحيون بأنه لا شيء فى تاريخ البشرية يقارن بدعاء عيسى الملئ بالرحمة والمغفرة وهو على الصليب كما يزعمون :

(فقال يسوع ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) (لوقا ٢٣: ٣٤)

وإنه لأمر مثير للدهشة أن القديس لوقا هو وحده من بين مؤلفى الأناجيل الأربعة القانونية (المعتمدة) الذى ألهمه الروح القدس (؟) أن يكتب تلك الكلمات .

أما الثلاثة الآخرون متى ويوحنا ومرقس فلم يسمعوا تلك الكلمات أبدًا أو شعروا بأنها تافهة أو ليست مهمة بما فيه الكفاية للتدوين . والقديس لوقا لم يكن حتى واحدًا من (التلاميذ) الاثنى عشر حواريًا الذين اختارهم عيسى عليه السلام .

ووفقًا لمراجعى ومنقحى النسخة القياسية المنقحة للكتاب المقدس (R. S. V.) فإن تلك الكلمات ليست موجودة فى أقدم المخطوطات . وذلك يعنى ضمنيًا أنها موجودة فى أقدم المخطوطات . وذلك يعنى ضمنيًا أنها مدسوسة أو مقحمة . ويقال لنا فى ترجمة الملك جيمس الجديدة (حقوق الطبع محفوظة لتوماس نيلون فى عام ١٩٨٤) . إن تلك الكلمات « ليست موجودة فى النص الأصلى » للمخطوطات اليونانية لإنجيل القديس لوقا . وبمعنى آخر لقد اختلقها رجل مخادع .

وبالرغم من أن الفقرة غير أصلية سنظل نأخذها فى الاعتبار لأنها تظهر التقوى الشديدة بحب الفرد لأعدائه والمغفرة التى لا يفوقها مغفرة كما وعظ ودعا إليه السيد المسيح نفسه .

ولكى تكون المغفرة ذات قيمة- يجب أن يكون الغافر فى وضع يسمح له أن يغفر . ولو أن ضحية الظلم فى قبضة أعدائه فى هذا الوضع الضعيف ثم يصرح قائلًا « أنا أغفر لك » سيكون ذلك بلا معنى . لكن لو أن المظلوم تبادل الوضع مع أعدائه وكان فى موقع

يمكنه من الأخذ بثأره . أو تنفيذ عقابه وبالرغم من ذلك يقول (أنا أغفر لك) هنالك فقط سيكون الأمر ذا معنى!

رحمة محمد ﷺ Mohammed (PBUH) (Clemency)

قارن مغفرة المسيح المزعومة من على « الصليب » بالفتح التاريخى لمكة الذى لم تراق فيه قطرة دم واحدة بواسطة محمد ﷺ على رأس ١٠ آلاف من أصحابه « القديسين »(١)

المدينة التى عاملته بمنتهى القسوة وأجبرته هو وأتباعه المخلصين أن يجدوا مأوى وسط الغرباء ، وهو الذى وضع حياته وحياة أتباعه المخلصين على كفه ومضطهديه القدامى القساة المتعجرفة قلوبهم الذين ألحقوا الإنسانية بالعار والقسوة .

الرجال والنساء وحتى الأموات الذين بلا حياة كانوا الآن تحت رحمته تمامًا . لكن فى ساعة نصره نسى كل ما عاناه من شرور وعفا عن كل جرح أنزلوه به وامتد عفوه العام ليشمل كل سكان مكة . .»

« سيد أمير على فى « روح الإسلام » .

إن جماهير المدينة المهزومة مثلوا أمامه فخاطبهم قائلًا : « ماذا تظنون إنى فاعل بكم اليوم؟ » إن قومه كانوا يعرفونه جيدًا منذ أيام طفولته فأجابوا : « خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم! » ودمعت عينا النبى ﷺ وقال : « فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

والآن وقد حدث هذا الذى ليس له ما يوازيه فى تاريخ العالم تقدمت جموع فوق جموع واتخذت الإسلام دينًا .

إن الله القوى يشهد على السلوك النبيل والرفيع لرسوله :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١] .

---

(١) إن فتح مكة نبوءة أخرى من نبؤات الكتاب المقدس تحققت فى شخص محمد ﷺ . جاء فى ترجمة الملك جيمس « تلألأ من جبل فاران (فى جزيرة العرب) وجاء (أى محمد) مع عشرة آلاف من القديسين » (التثنية ٣٣: ٢) .

ولقد كرر لامارتين بدون علم هذه الحقائق ببراعة فقال :

« وبالنظر إلى كل المقاييس التى تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل هل يوجد أى إنسان أعظم منه؟!!! »

ونحن أيضًا نستطيع أن نجيب ثانية بقولنا :

« لا! لا يوجد إنسان أعظم من محمد ﷺ» .

إن محمدًا ﷺ كان أعظم إنسان عاش أبدًا حتى الآن! لقد كسب بطلنا الإجلال غير المستجدى والذى لم ينكره عليه أحد من كثير من غير المسلمين من مذاهب دينية شتى ومن اتجاهات فكرية مختلفة .

لكن كل ذلك ما زال غير كامل بدون رأى السيد الذى سلف محمد ﷺ يسوع المسيح عليه السلام . سنطبق الآن مقايسه لتقدير العظمة :

يوحنا المعمدان Yohn The Baptist:

إن يوحنا المعمدان[1] المعروف باسم يحيى (عليه السلام) فى العالم الإسلامى ، كان نبيًا معاصرًا للمسيح (عليه السلام) . وهذا ما يقوله السيد المسيح عن يوحنا المعمدان ابن خالته .

« الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (متى ١١: ١١)

كل ابن من أبناء آدم (son of man) هو « مولود من النساء » .

ووفقًا لهذه الحقيقة يكون يوحنا المعمدان أعظم من موسى وداود وسليمان وإبراهيم وإشعياء ولا يستثنى من ذلك أى من أنبياء بنى إسرائيل . وما الذى يرفع مكانة يوحنا فوق جميع الأنبياء الآخرين؟ لا يمكن أن يعزى ذلك لأى معجزة أجراها يوحنا ، لأن الكتاب المقدس لم يسجل لنا أنه أجرى أية معجزات . ولا يمكن أن يعزى ذلك لتعاليمه ، لأن لم يأت بأية شرائع أو قوانين جديدة . إذن ما الذى يجعله الأعظم؟ ببساطة لأنه كان البشير

(١) يجب ألا يخلط القارئ بين يوحنا المعمدان ويوحنا تلميذ المسيح (عليه السلام) إن اسم يوحنا اسم شائع جدًا بين اليهود والعرب حتى هذا اليوم . فمثلًا طارق عزيز وزير خارجية العراق اسمه الكامل طارق حنا عزيز . وحنا هو اختصار لاسم يوحنا وهو بالإنجليزية جون . ولا يعرف أحد المسلمين من غير العرب أن صاحبنا « طارق حنا عزيز » ماركسى مسيحى . (المؤلف)

النذير المبشر بالبشارة السارة عن قدوم المسيح . هذا هو ما جعل يوحنا الأعظم . لكن عيسى عليه السلام يدعى أنه هو نفسه أعظم من الأعظم يوحنا (المعمدان) لماذا؟

« وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا .. لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب أرسلنى » (يوحنا ٥: ٣٦) .

إن « الشهادة » هى التكليف أو المهمة التى عهد به إليه الله القوى وهى التى تجعل عيسى عليه السلام أعظم من يوحنا المعمدان .

بتطبيق هذه المقاييس التى أعلنها السيد المسيح نجد :

١- أن يوحنا المعمدان كان الأعظم من بين جميع رسل بنى إسرائيل لأنه بشر بالمسيح عليه السلام .

وبالمثل فإن المسيح عليه السلام أعظم من يوحنا لأنه بشر « بروح الحق المعزى » الذى سيرشد البشرية إلى جميع الحق (يقصد محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المترجم) .

(إنجيل يوحنا- الفصل السادس عشر)[1]

٢- إن رسالة ومهمة المسيح عليه السلام أو « الأعمال التى أعطاها الله إياها ليكملها » كانت قاصرة على خراف بيت إسرائيل الضالة « فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) (متى ١٥: ٢٤) .

أما رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فقد كان للعالم أجمع لقد قيل له :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]

والتزامًا بمهمته الكبرى فقد ثبت محمد ﷺ على مبدأه وبلغ رسالته إلى كل من يسمع بغض النظر عن السلالة أو الطبقة أو العقيدة . لقد رحب بهم جميعًا فى دين الله بدون أى تمييز .

لم يكن يفكر فى تقسيم مخلوقات الله إلى (الكلاب والخنازير) (متى ٧: ١٦) إلى (خراف وجداء) (متى ١٥: ٣٢)

لقد كان رسول الله الواحد الحق الذى أرسله رحمة للبشر أجمعين بل للعالمين .

---

(١) لتوضيح هذه الفكرة اقرأ كتاب محمد الخليفة الطبيعى للمسيح (المؤلف)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]

لم ينس أبدًا تلك الرسالة حتى يوم وفاته[1] فى نهاية إقامته المؤقتة فى الأرض عندما كان يمكنه أن ينظر وراءه لماضٍ محموم وخطير وهو متوج بالنجاح فى ذلك الوقت ، وكان يمكنه أن يجلس ويستمتع بثمرة كفاحه وأن يحلم بحياة خالية من الاضطراب ومليئة بالرضا والراحة . لكن بالنسبة له لم يكن هناك وقت للرقاد والراحة فما زال هناك عمل يجب أن يتم .

الله القوى يذكره :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سَبَإ: الآية ٢٨] .

كيف سيجيب هو على هذا التحدى الجديد بتبليغ الدعوة للبشرية كلها . لم يكن هناك أدوات وطرق اتصال إلكترونية حديثة تحت تصرفه .

لم يكن هناك أجهزة تلكس أو فاكس يستطيع أن يستغلها .

ماذا كان بوسعه أن يفعل؟ ولأنه كان أميًا (لا يعرف الكتابة والقراءة) فقد طلب الكتاب وأملاهم خمس رسائل واحدة لكل من قيصر القسطنطينية وملك مصر ونجاشى الحبشة وملك اليمن وكسرى فارس .

واستدعى أيضًا خمسة من الصحابة بخمس جياد عربية وأرسلهم فى خمس اتجاهات مختلفة يدعون شعوب العالم لدين الله الذى أرسله للعالمين .

لقد كان من حسن حظى أن أرى واحدة من هذه الرسائل المقدسة بمتحف توبكابى فى استنبول (القسطنطينية سابقًا) بتركيا .

ولأن هذه الرسالة مضى عليها ردحًا من الزمن فقد علتها الأتربة ، والأتراك قد حفظوا المخطوطة بكل ما بوسعهم من إمكانات مادية .

---

(١) قبل وفاته ﷺ نزلت آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾
وقال ﷺ «لقد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .
وقال ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى» .
وكانت آخر وصية له قبل موته «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» . (المترجم)

ولكن الرسالة بدأت تجمع الأتربة كما ذكرت .

الرسالة تبدأ هكذا : « من محمد رسول الله إلى هرقل الملك بالقسطنطينية : أسلم تسلم! » ثم تبعها بتلك النصيحة من كتاب الله :

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] .

بعد هذا الإدراج القرآنى فى الرسالة ثم بكلمات الرسول الخاصة الواضحة والسهلة أنهى الرسالة بختم كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الرسالة فى تركيا تثير فضولنا واهتمامنا بالنظر لطريقة حفظها . لكن المتفرجين أهملوا ما هو مصون بذاته . والقرآن أيضًا رسالة موجودة تقريبًا فى بيت كل مسلم حيث تقرأ ويعاد قراءتها ألف مرة من أولها إلى آخرها بدون أن يتحرك القارئ ليبلغ تلك الرسالة لمن وجهت إليهم!

راجع مرة أخرى الآية السابقة .

إنها موجهة إلى أهل الكتاب : اليهود والنصارى .

لكن على مدار ألف سنة أهملنا تمامًا تلك التوجيهات العظيمة بإرادتنا . فنحن نجلس على تلك الرسالة مثل الكوبرا الجالسة على كومة من جواهر مانعة للورثة الحقيقيين من التقدم .

هذا الإهمال التام سيستمر فى إصابة الأمة بالمعاناة ولأجيال قادمة .

بعد حوالى ١٤٠٠ سنة من قراءتنا وترتيلنا وتغنينا بالقرآن بكل الأساليب المتناغمة ما مازلنا نسمع تلك الآية اللاذعة والصائبة فى آن واحد ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] (١)

تلك هى الجملة الخاتمة من آية نزلت من ١٤٠٠ سنة مضت .

لقد كانت تعبر عن الموقف الواقعى للعالم الدينى آنذاك .

---

(١) اقرأ الآية من أولها . راجع ص

السؤال الذى يجب أن يطرح هو هل هناك أى اختلاف اليوم؟
ليس هناك أى اختلاف على الإطلاق!
فاليوم عدد المشركين فى العالم أكثر من عدد المؤمنين بالله الواحد الحق .
هل هناك أى رجاء فى تغيير هذا الوضع؟
لقد أمر الله نبيه آنذاك كما يأمرنا الآن عبر السبع الآيات الأولى من سورة المدثر .
قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ (المدثر : ١- ٧)

١- إن هذه الآيات الروحية المبكرة الرائعة كالمعتاد ، (وهى تشمل الآيات التالية أيضًا) تدعونا إلى التفكير فى ثلاثة نواحى :

(أ) تشير إلى مناسبة معينة أو شخصية خاصة .

(ب) تعطى لنا درسًا روحانيا عام .

(ج) تقترح علينا استغراقًا أكثر عمقًا فى الروحانية .

بالنسبة لـ (أ) إن الرسول الآن قد تخطى مرحلة التأمل الشخصى كان يجب أن يخرج مرتديًا عباءته ويبلغ رسالته بشجاعة ويجهر بأن الله هو الإله الواحد الحق . لقد كان دائمًا نقى السريرة ، ولكن الآن كل أفعاله الخارجة لابد أن تكون خالصة لله ، والاحترام التقليدى لعادات وعبادة الأجداد يجب أن يطرح جانبًا .

إن أعمال رسالته هى أكرم شيء نابع من شخصيته لكن يجب ألا يتوقع أى مكافأة أو تقدير من قومه بل على العكس تمامًا فقد كان الأمر يتطلب منه الصبر الكثير ولكن رضاه كان سينشأ بإرضاء الله عنه .

(ب) لأن مراحل مماثلة تنشأ لكن بدرجة أقل فى حياة كل رجل صالح تمثل له حياة النبى مثالًا عالميًا يحتذى .

(جـ) يفهم الصوفيون العباءة والأغطية الخارجية على أنها الظروف المحيطة بوجودنا الظاهرى ، والتى تكون ضرورية لراحتنا الجسدية حتى مرحلة معينة . ولكن سرعان ما نكبر فنستغنى عنها . وحينئذ يجب على فطرتنا الداخلية أن تعلن عن نفسها بشجاعة ليس

لأنها تحصر أى منفعة أو مكافأة مع الرجال . إن نفس الأمل فى توقع شيء من ذلك ، سيكون متناقضًا مع فطرتنا العليا التى يجب أن تتحمل السراء والضراء فى سبيل الله .

٣- وربك فكبر .

٤- وثيابك فطهر .

٥- والرجز فاهجر .

أ- الرجز يعنى الشيء البغيض وهى عادة ما تفهم على أنها الوثنية . ومن المحتمل أن صنمًا كان يدعى رجزًا .

ولكن مدلولها فى هذه الأيام يتسع ليشمل الحالة العقلية المعارضة للعبادة الحقة ويمكن وصفها بأنها حالة من الشك والتردد .

٦- ولا تمنن تستكثر

ب- المعادلة التجارية القانونية هى إنك تعطى لكى تأخذ ما يساوى عندك أكثر قليلًا مما أعطيته . ولكن يجب ألا تتوقع أى شيء من الآخذ . فإنك تعبد الله وتخدم مخلوقات الله .

٧- ولربك فاصبر .

جـ- إن حماستنا من أجل دعوة الله نفسها تتطلب أو نكون صبورين ويجب أن نبذل جهدًا متواصلًا من أجل دعوة الله . فنحن نؤمن ونعلم أن الله طيب وحكيم وقوى وفى النهاية لن يصح إلا الصحيح » .

عبد الله يوسف على فى ترجمة معانى القرآن الكريم .

إن (العباءة) تمثل للعرب عامة ولرسولنا خاصة كساء أو غطاء يقيهم من حر الشمس والرياح والرمال ، كان عليه أن يستعد للعمل ويشمر عن ساعديه ليقوم بمهمته .

وبالرغم من أن معظم المسلمين فى العالم لا يتدثرون بالعباءات ولا بالشالات فى معيشتهم اليومية فإنهم يحملون مجموعة من العباءات فى صورة عقد النقص .

« ماذا يمكننا أو نفعل لنجعل نور الله يشرق عبر الظلمة التى تحيط بنا؟

لابد أولًا أن نجعله يشرق بداخل نفوسنا الصادقة . بهذا النور فى أعماق قلوبنا نستطيع أن نمشى بخطوات واثقة وصارمة . نستطيع بتواضع أن نزور التعساء ونرشد

خطاهم . لسنا نحن ، ولكن النور هو الذى سيرشدهم! إن السعادة النابعة من كوننا جديرين بحمل الشعلة وأن نقول لإخواننا نحن أيضًا كنا فى ظلام وتعب . ولكن انظروا الآن إننا وجدنا العزاء وفرحنا برحمة الله لهذا ، يجب أن تدفع ديون الأخوَّة . بأن نسير بتواضع جنبًا إلى جنب فى طريق رضى ربنا بتعاون وتشجيع متبادلين ودعاء من القلب مؤيد بالعمل بأن تتحقق فينا جميعًا غاية الله الطيبة!

[عبد الله يوسف على فى ترجمة معانى القرآن!]

❁❁❁

الختام
ولكن أكثر الناس لا يعلمون

كذلك أوحى إلى نبينا الكريم محمد ﷺ فَبلَّغنا .. اللهم بارك عليه إلى الأبد . آمين .

أحمد ديدات

❁❁❁

الملاحق
Appendices

Appendix A - الملحق

بلغ العلا بكماله كشف الدُّجى بجماله
حَسُنَت جميع خصاله صلُّوا عليه وآله

شعر الشيخ سعدى الشيرازى

Appendix B الملحق ب

لو أن عظمة الغاية ، وقلة الوسائل ، والنتائج المذهلة ، هى المقاييس الثلاثة لعبقرية الإنسان فمن الذى يجرؤ على مقارنة أى رجل عظيم فى التاريخ الحديث بمحمد؟

إن أشهر الرجال أسسوا الجيوش ووضعوا القوانين وأسسوا الإمبراطوريات فقط ، إنهم لم ينشئوا أكثر من سلطات مادية كثيرًا ما ضعفت أمام أعينهم . إن هذا الرجل محمد ﷺ لم يؤثر فقط فى الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة ولكنه أثر أيضًا فى ملايين الرجال ، بل وأكثر من ذلك فقد أزاح مذابح الكنائس وغيرها من الأنصاب والآلهة والأديان والأفكار والمعتقدات الزائفة والأنفس الضالة .

وقد خلق أمة روحية جمعت معًا أناسًا من مختلف الألسنة والأجناس على أسس كتاب كل حرف منه أصبح قانونًا وشريعة .

إن فكرة وحدانية الله التى طرحت وسط النظريات اللاهوتية الخرافية المستهلكة كانت فى حد ذاتها معجزة حتى أنه بمجرد نطقها من شفتيه ، دمرت كل المعتقدات الخرافية القديمة .

إن دعواته وصلواته اللانهائية ومحادثاته الروحية مع الله ووفاته وانتصاره بعد وفاته كلها أمور لا تشهد على أنه كان مخادعًا ، بل إنها تؤكد على إيمان راسخ منحه القوة ليصلح عقيدة ويكملها .

هذه العقيدة كانت مزدوجة تتمثل فى توحيد الله وأنه ليس كمثله شيء، مما يعرفنا بالله ما هو وما ليس فيه.

حكيم وخطيب ورسول ومشرع ومحارب وهادم للأفكار الخاطئة، ومحيى المعتقدات العقلانية ولعبادة بلا أصنام ولا صور، مؤسس ٢٠ إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية، ذلك هو محمد ﷺ، وبالنظر إلى كل المقاييس التى يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل هل يوجد أى إنسان أعظم منه؟» أ. هـ

لامارتين
فى تاريخ الأتراك باريس سنة ١٨٥٤
ص ٢٧٦- ٢٧٧

الملحق جـ Appendix C

جولز ماسيرمان (محلل نفسى أمريكى) مجلة تايم ١٥ يوليو سنة ١٩٧٤

يجب أن يحقق القادة ثلاثة أعمال:

١- يتوفر فى القائد التكوين السليم للقيادة.

٢- يجب أن يوفر القائد نظامًا اجتماعيًا يشعر فيه الناس نسبيًا بالأمن والطمأنينة.

٣- يجب على القائد أن يدخر لشعبه مجموعة واحدة من المعتقدات. إن أناسًا مثل باستير وسالك كانوا قادة بالمفهوم الأول.

«أناس مثل غاندى وكونفوشيوس من جهة أو الإسكندر وقيصر وهتلر من جهة أخرى كانوا قادة بالمفهوم الثانى وربما الثالث. أما عيسى وبوذا فينتمون إلى المفهوم الثالث وحده.

وربما يكون أعظم القادة فى كل العصور هو محمد ﷺ الذى جمع بين الأعمال والمفاهيم الثلاث كلها. وقد فعل موسى نفس الشيء بدرجة أقل».

مايكل هارت

تم بحمد الله

القرآن

معجزة المعجزات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ومن سار على دربه وعمل بسنته والتزم بشريعته إلى يوم الدين .

أما بعد فهذا كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد ديدات عن القرآن الكريم ، معجزة الله الخالدة خلود الدهر ، والدليل الدائم القائم على صدق دعوة رسول الله محمد ﷺ وهو يحاول أن يقدم فى هذه العجالة للقارئ الكريم بعض البراهين والأدلة على هذا الإعجاز وهى كما يقول ليست إلا قطرة من بحر وقليل من كثير وتحتاج إلى جهد المختصين فى كل فروع العلم والمعرفة للكشف عن المزيد من كنوز وأسرار هذا الفيض الإلهى المتدفق دائمًا وأبدًا بالخير الوفير وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصّلَت: الآية ٥٣] ففى كل زمن جديد تظهر آيات جديدة على إعجاز القرآن . وكلما تقدم العلم تبين أن القرآن يتقدم عليه ، وكلما حارت الألباب وجدت خلاصها فى القرآن وبالقرآن . وتأمل هذا الوصف الشامل الجامع للقرآن الكريم الذى وصفه به رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه : « كتاب الله . فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غير أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلقُ على كثرة الرد[1] ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدى إلى الرشد » ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم (رواه الترمذى) .

فمع كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد ديدات « القرآن معجزة المعجزات » وقطرة من بحر

محمود غنيم

---

(١) أى لا يمل منه الإنسان من كثرة الترديد .

الفصل الأول

القرآن معجزة المعجزات

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]

ما هي المعجزة؟

أعتقد أنه من الضرورى أن يكون لدينا صورة واضحة عن المقصود بالمعجزة . ونورد هنا بعض التعريفات :

١- حدث لا يمكن تفسيره حسب قوانين الطبيعة ، فيعزى إلى قوة خارقة ، أو أنه من صنع الله القادر .

٢- المعجزة هي شخص أو شيء أو حدث يثير الرهبة والرعب المقترن بالإعجاب .

٣- هي فعل فوق طاقة البشر أي يستحيل حدوثه بشريًا .

ومن المنطقى أنه كلما كانت الاستحالة أشد كلما كانت المعجزة أعظم . فعلى سبيل المثال لو أن إنسانًا ما لفظ أنفاسه أمام أعيننا وأخرجت له شهادة وفاة بواسطة طبيب مؤهل ، وبعد ذلك يأتى رجل له سر روحانى أو قديس فيأمر الجثة أن تنهض ، ولدهشة الجميع يقوم الرجل ويمشى ، فإننا نسمى ذلك معجزة . لكن إذا حدث هذا البعث من الموت بعد أن ظلت الجثة ميتة لمدة ثلاثة أيام فإن المعجزة تكون أعظم وإذا بعث هذا الميت من قبره بعد عقود من الزمن أو قرون وبعد أن تحللت الجثة وتعفنت ولم يبق منها إلا العظام فسوف نعتبر هذه المعجزة هى الأعظم من بين كل هذه المعجزات .

سمة عامة :

هناك سمة عامة مشتركة لكل النوع الإنسانى منذ العصور السحيقة ، وهى أنه كلما ظهر رسول أو مرشد من قبل الله لتوجيه حياتهم حسب مشيئة الله وإرادته ، فإنهم يطلبون منه أن يأتى بالمعجزات كدليل وبرهان على أنه حقًا مرسل من قبل الله وذلك بدلًا من أن يتبعوا رسالته لاقتناعهم بفضائلها وفوائدها لهم .

وعلى سبيل المثال فعندما بدأ المسيح يسوع عليه السلام يدعو قومه بنى إسرائيل إلى إصلاح سلوكياتهم وأن يقلعوا عن التمسك بمجرد الشكليات والطقوس الدينية وأن يتشربوا الروح الحقيقية للشريعة ولتعاليم الله ، طالبه شعبه بالمعجزات ليبرهن لهم على صدق دعوته كما هو مسجل فى الكتاب المقدس المسيحى .

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى »[1] (متى : ١٢: ٣٨ - ٣٩) ، وبالرغم من أن المسيح عليه السلام رفض فى هذه المواجهة إجابتهم إلى طلبهم الذى أرادوا به أن يمتحنوه عمليًا ، فإنه أنجز الكثير من المعجزات كما نعلم من خلال الإنجيل .

فالإنجيل مملوء بالأحداث الخارقة التى قام بها الأنبياء بتفويض من الله . وفى الحقيقة فإن كل هذه الآيات والعجائب والمعجزات كانت بقدرة الله سبحانه وتعالى . ولكن حيث إن هذه المعجزات قد تمت خلال عناصر بشرية فإننا نسميها معجزات موسى أو عيسى (عليهما السلام) لأنهما هما اللذان ظهرت على أيديهما هذه المعجزات .

سلوك مستمر

وبعد ستمائة عام من مولد عيسى المسيح عليه السلام ولد محمد ﷺ رسول الله فى مكة بالجزيرة العربية . وعندما بدأ يجهر بالدعوة فى سن الأربعين طالبه قومه من مشركى مكة

---

(١) ماذا كانت آية المسيح الوحيدة التى أعدت لليهود . احصل على نسختك المجانية من كتاب « ما هى معجزة يونان » من المركز الإسلامى بجنوب أفريقيا .

كذلك بنفس الطلب ، وهو الإتيان بالمعجزات كما فعل اليهود مع المسيح الذى وعدوا به فى كتبهم . نفس الشيء كأنه كتاب مدرسى مقرر ، كما لو أن العرب أخذوها حرفيًا عن الكتب المسيحية . التاريخ يكرر نفسه .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العَنكبوت: الآية ٥٠] (١)

آيات أى آيات تريدون؟

« لقد صاح فى تعجب! معجزات؟ معجزات؟ أى معجزات تريدون؟! ألستم أنفسكم هذه المعجزات؟ الله خلقكم وصوركم من طين تافه ، ألم تكونوا صغارًا ضعافًا؟! ألم تكونوا منذ سنوات قليلة عدمًا ليس لكم وجود؟! فخلقكم فى أحسن هيئة وأعطاكم القوة والفكر؟! ألم يجعل فى قلوبكم الرحمة والشفقة بالصغير حتى ينمو ويكبر؟! ثم صرتم شيوخًا وزحف الشيب إلى رءوسكم . وتسلل الضعف إلى أجسامكم ثم انهارت قواكم تدريجيًا وعدتم إلى العدم مرة أخرى؟! يقول توماس كارليل « وجعل بينكم مودة ورحمة » هذه الفكرة أثرت فى كثيرًا . إذا لم يخلق الله فى القلوب المودة والرحمة . ماذا سوف يكون الحال بالنسبة للجنس البشرى أظن إنها فكرة مباشرة وعظيمة ، لمحة فى الصميم لواقع الأمور »

(الأبطال وملاحمهم فى التاريخ) (لتوماس كارليل) .

هذه الفكرة أثرت فى كثيرًا

هذه الآية ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: الآية ٢١] أثرت فى نفس توماس كارليل كثيرًا عندما تمعن فيها من خلال ترجمته الإنجليزية وأنا هنا أقدم هذه الآية التى حركت عاطفته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٢١] .

هذه الآية قام قام بترجمتها كل من يوسف على وهو مسلم والقس دويل وهو

---

(١) تستخدم فى القرآن الكريم دائمًا كلمة آية بدلًا من معجزة وهى أكثر دلالة على المعنى المراد .

مسيحى ، ن . ج داود وهو يهودى عراقى . وكلها ترجمات جيدة ولكنها لا تصل إلى روعة النص الأصلى . وللأسف فإن توماس كارليل لم ير أيًا من هذه الترجمات لأنهم جميعًا لم يكونوا قد جاءوا إلى هذه العالم فى العصر الذى عاش فيه توماس كارليل . ولكن كان المتاح لديه فى سنة ١٨٤٠ كما قال فى صفحة ٨٥ من كتابه مشيرًا إلى ذلك :

« نحن أيضًا نستطيع أن نقرأ القرآن . الترجمة الإنجليزية التى قام بها جورج سال معروف أنها واضحة ومقروءة » .

الإساءة كانت هى الدافع

كارليل كان شديد التلطف فى الحكم على مواطنيه . فقد كانت الدوافع لجورج سال الذى مهد للقيام بترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية موضع شك . لم يكبح سال جماح عدائه لكتاب الإسلام المقدس ويجعله سرًا . ففى مقدمته للترجمة التى قام بها فى عام ١٧٣٤ جعل من المعروف أن الهدف الواضح له من هذه الترجمة أن يكشف عن هذا الرجل محمد وتزييفه ، حيث يسجل .

« من الذى كان يدرك أى خطورة تكمن فى مثل هذا التزييف الواضح؟ البروتستانت وحدهم هم الذين يستطيعون مهاجمة القرآن بنجاح . وأنا واثق أن العناية الإلهية ادخرت لهم شرف هزيمته وتدميره » .

ثم بدأ العمل فى هذه الترجمة المغرضة ، . وتستطيع أن تحكم بنفسك هل كان جورج سال عادلًا وموضوعيًا حتى بالنسبة لهذه الآية التى حركت مشاعر توماس كارليل؟ فقد ترجم ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: الآية ٢١] إلى « لكى تتعايشوا معهم على طريق الأزواج » Ye May cohabit with them قارن هذه الترجمة بترجمة المسلم يوسف على أو المسيحى القس ردويل أو اليهودى داود على الترتيب :

" Ye May dwell in Tranquillity with them "

Ye May dwell with them

Ye Maight live in joy with them

لا أعتقد أن جورج سال كان خنزيرًا شوفانيًا ليصف زوجاتنا رفيقاتنا وقريناتنا على

أنهم مخلوقات جنسية . لقد كان فحسب يبر بوعده فى الإساءة للإسلام والتى لم يلتفت إليها توماس كارليل فالكلمة العربية التى حرفها (سال) هى « لتسكنوا » وهى تعنى لتجدوا السلام والسلوى والهدوء . وليست Cohabit والتى تعنى « لتعيشوا معًا فى علاقة جنسية حينما لا يكون زواجًا قانونيًا » كما جاء فى شرح هذه الكلمة فى القاموس الجامع المختار (ريدرز دايجست ينيفرسال ديكشينارى) كل كلمة فى النص الأصلى للقرآن الكريم اختيرت بدقة متناهية وأخذت موضعها بحكمة الله القدير فالكلمات تحمل معانيها من قبل الله وهى معجزة من معجزاته وفيض من روحانية القرآن .

السؤال عن آية

أى آيات؟ إنهم يقصدون بعض الأنواع الخاصة من الآيات أو المعجزات بحسب ما تمليه عليهم عقولهم الفارغة . كل شيء ممكن بالنسبة لقدرة الله . لكن الله لن يساير حماقات الرجال أو يستمع إلى مطالبهم الجوفاء . إن الله يرسل الرسل ليبينوا للناس آياته فى الخلق وفى الكون ويحذرهم من الاستمرار فى العنت والجحود . أليس هذا كافيًا؟

اتجاه الناس عامة فى طلب المعجزات كالآتى :

فى عبارات محددة طلبوا من محمد عليه الصلاة والسلام أن يضع سلمًا ويصعد فيه إلى السماء ويحضر كتابًا من عند الله وذلك أمام أعينهم « ثم بعد ذلك يمكن أن نؤمن » كما قالوا أو « هل ترى الجبل القائم هناك حوله إلى ذهب » أو « فجر لنا الينابيع فى الصحراء عند ذلك يمكن أن نؤمن » .

والآن استمع إلى الإجابة المنطقية الهادئة الرقيقة لمحمد ﷺ فى مواجهة مطالب المشركين غير العقلانية والدهرية الممتلئة بالريبة ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام - ٥٠)

واستمع أيضًا إلى إجابة أكثر تحديدًا كما أمره الله ليقولها للمشركين ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العَنكبوت: الآية ٥٠] .

وفى الآية التالية يشير نبى الله إلى القرآن الكريم على أنه الإجابة والآية الكافية الشافية على طلباتهم المصطنعة المتكلفة للمعجزات التى تشتهيها عقولهم الوثنية الحمقاء . وفى

الحقيقة فإن كل المعجزات هى آيات دالة على صدق الرسالة ولكن الجحود للحق الواضح والإلحاد المسيطر على القلوب هو الذى يدفعهم إلى هذه الطلبات . لذلك وجههم الله إلى التدبر فى القرآن ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العَنكبوت: الآية ٥١] .

دليلان :

كدليل على الإبداع الإلهى ، والطبيعة الإعجازية للقرآن الكريم يقدم الله سبحانه وتعالى لنا دليلين على صدق الدعوة وأنها من عند الله :

١ – يقول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ * وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت ٤٧ – ٤٨) .

فالله سبحانه وتعالى يقرر أنه هو الذى أنزل الكتاب على محمد الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ، مع كل ما فيه من الآيات والعلوم والتاريخ والحكمة والمعرفة وأخبار السابقين واللاحقين ، أليست هذه آية؟! وأليس هذا إعجاز؟!

لندع توماس كارليل المفكر الإنجليزى يعطى شهادته فيما يتعلق بالمؤهلات العلمية لمحمد ﷺ :

« هناك اعتبار آخر يجب ألا نغفله أو ننساه ، وهو أنه لم يكن لديه أى تعليم مدرسى مما نسميه التعليم المنهجى على الإطلاق » . والأكثر من ذلك أن الله جلت قدرته منزل هذا الوحى يشهد أن محمد ﷺ لم يكن ليستطيع أن يصنف أو يجمع ما فى هذا القرآن من محتويات ، ولا يمكن أن يكون مؤلفه .

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العَنكبوت: الآية ٤٨].

فالله سبحانه وتعالى صاحب الوحى القرآنى يقدم لنا الحجج والبراهين أنه لو كان محمد ﷺ رجلًا متعلمًا ، وكان قادرًا على القراءة والكتابة ، ففى هذه الحالة فإن الثرثارين فى الأسواق يكون لهم بعض العلة فى الشك بأن هذا القرآن هو كلمة الله . إذا

كان محمد ﷺ رجلًا متعلمًا فإن اتهامات أعدائه باحتمال أن يكون قد نسخ كتابه (القرآن) من كتابات اليهود والمسيحيين موضوع نقاش . بل ربما يكون قد درس أرسطو وأفلاطون أو أنه أخذ من التوراة والزبور والإنجيل وأفرغها جميعًا فى قالب جديد بلغة جميلة ، ربما كان لهذا الكلام بعض الوزن لو كان محمد رجلًا متعلمًا ومن ثم يكون المتكلمون بالباطل قد سجلوا نقطة . ولكن حتى هذا الادعاء الركيك قد حيل بينه وبين المنكرين والمتهكمين إنها فرية من الصعوبة بمكان أن تعلق بها حتى ذبابة[1] .

٢- أما الدليل الآخر فهو الكتاب . نعم الكتاب نفسه يحمل دليله الذى يبرهن على أنه وحى إلهى من عند الله . إدرس الكتاب من أى زاوية ، تفحص ، دقق ، أمعن النظر ، لماذا لا تأخذ تحدى الله للبشرية بأن يأتوا بمثله مأخذ الجد إذا كانت شكوكك لها ما يبررها .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء: الآية ٨٢]

إتساق القرآن

لا يستطيع إنسان أن يتصور أن مؤلفًا بشريًا يظل مستقرًا على تعاليمه وتبشيره لأكثر من عقدين من الزمان . منذ أن كان فى الأربعين من عمره - عندما تلقى محمد ﷺ النداء الأول من السماء - وحتى بلغ الثالثة والستين من عمره عندما صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها - أى لمدة ثلاثة وعشرين سنة - والرسول الكريم يطبق الإسلام ويدعو إليه . وخلال هذه الثلاثة والعشرين سنة مر خلال أكثر الظروف المتقلبة تعارضًا فى حياته . أى رجل فى أثناء مراحل رسالة كهذه ستجبره الظروف لعمل تغييرات أو تعديلات أساسية ولا يستطيع إلا أن يناقض نفسه . لا يستطيع أحد أن يقول نفس الشيء دائمًا كما فى رسالة القرآن الكريم المتسقة والمنسجمة دائمًا مع نفسها من أولها إلى آخرها .

---

(١) لم يترجم الإنجيل إلى اللغة العربية حتى القرن العاشر الميلادى ولذلك فليس هناك أى عربى حتى سنة ١٠٠٠ لديه الفرصة لفحص الكتابات المسيحية الإنجيلية بلغته العربية .

أم أن اعتراضات المكذبين هى مجرد جدال يتصف بالجموح والتمرد ضد هداية أرحب ونور أسطع وعدالة أكثر؟

والأكثر من ذلك فالقرآن الكريم يحوى ويذكر معلومات كثيرة عن طبيعة الكون والتى لم تكن معروفة للإنسان من قبل والتى أكدها بعد ذلك تطور الاكتشافات العلمية الحديثة تباعًا وبطريقة قاطعة . وفى مجال الظواهر الكونية ، كان من المؤكد أن يقع عقل رجل أمى غير مثقف فى الكثير من الأخطاء الشديدة ، ويضيع وهو يخمن بين متناقضاتها الموحشة . ولكنه وحى الله العليم القدير وليست قدراته البشرية المحدودة .

معجزة فى حد ذاته

المرة بعد المرة كانت تطلب المعجزات من نبى الله من أولئك النفر من المتهكمين والمستهترين كان يشير إلى القرآن رسالة السماء ومعجزة السماء . « معجزة المعجزات » . العقلاء من الرجال ذوو النفوس والقلوب الحية ، الذين كانوا صادقين مع أنفسهم وصادف القرآن نورًا فى قلوبهم وشفافية فى أرواحهم عرفوا الحق فقبلوه . فكان القرآن لهم معجزة الله الخالصة يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت – ٤٩)

❁❁❁

الفصل الثاني
الوحي القرآني والعلم

عبارات الثناء بعيدًا عن الحقد

يوجد اليوم فى العالم أكثر من ألف مليون مسلم يتقبلون القرآن الكريم بلا تردد على أنه معجزة الله وكلمته .

ولم لا يفعلون ونحن نرى حتى الأعداء المعروفين للإسلام يكيلون عبارات الثناء من تلقاء أنفسهم فيما يتعلق بالطبيعة الإعجازية لهذا الكتاب الإلهى؟! يقول القس دريف بوسوبرث سميث فى كتابه محمد والمحمدية[١] عن رأيه فى القرآن الكريم

أ- « معجزة فى النقاء وفى الأسلوب وفى الحكمة وفى الصدق » .

وكاتب إنجليز آخر أ . ج آربرى فى مقدمة ترجمته الإنجليزى للقرآن الكريم يقول :

ب- « كلما سمعت القرآن يتلى أحسست كأنما أستمع إلى موسيقى ومن خلال اللحن المتدفق يوجد سبر الأغوار إيقاع مستمر فى إصرار كأنه دقات الطبل . إنه كدقات قلبى » .

من هذه الكلمات وبقية كلمات المقدمة يبدو آربرى كأنه مسلم ولكنه مع شديد الأسف مات خارج نطاق الإسلام .

وكاتب بريطانى آخر ما رمادوك بيكتول يصف فى مقدمة ترجمته الإنجليزية للقرآن شعوره حين سماع القرآن فيقول :

جـ- « هذه السيمفونية الفريدة ، كل صوت فيها يحرك فى الإنسان الوجد والدموع » .

---

(١) لا يوجد شيء اسمه المحمدية أو المحمديين ولكن الإسلام والمسلمين .

هذا الكاتب اعتنق الإسلام قبل أن يترجم القرآن ولسنا هنا فى مجال التحقق ما إذا كان قد أحس بهذا الشعور قبل أو بعد أن يتحول إلى الإسلام .

د- « بعد الإنجيل مباشرة[1] يعتبر (القرآن) أكثر الكتب الدينية توقيرًا وقوة » (ج كريستى ويلسن فى كتابه تعريف بالإسلام - نيويورك ١٩٥٠) .

هـ- « القرآن هو إنجيل المحمديين وهو أكثر توقيرًا من أى كتاب مقدس آخر سواء العهد القديم اليهودى أو العهد الجديد المسيحى » (ج شليدى . د . د فى كتابه السيد المسيح فى القرآن) سنة ١٩١٣ ص ١١١.

نحن نستطيع بسهولة إضافة عشرات أخرى من عبارات الثناء إلى القائمة السابقة ؛ . الأصدقاء والخصوم على السواء يكيلان المديح دون حقد للوحى الإلهى النهائى والأخير .« القرآن الكريم » . المعاصرون لمحمد ﷺ رأوا فى جماله وجلاله ، ونبل دعوته ورحابة رسالته ، آية ومعجزة من صنع الله سبحانه وتعالى ودخلوا فى الإسلام . المتشككون والماديون سوف يقولون عن كل هذا الثناء وكل هذه الشهادات أنها مشاعر ذاتية . بل يمكن أن يبحث عن مهرب فى ادعاء أنه لا يعرف العربية . يمكن أيضًا أن نسمعه يقول « أنا لا أرى ما تراه ولا أحس بما تحس به كيف يمكننى ان أعرف أن الله موجود وأنه هو الذى أوحى بهذه الرسالة الجميلة إلى رسوله محمدًا ﷺ (القرآن)؟ ويستمر فيقول « أنا لست كاره لفلسفته الجميلة ولا لآدابه العملية وروحانيته العالية . إننى مستعد للتسليم بأن محمدًا ﷺ كان رجلًا مخلصًا وأعطى أسسًا عظيمة لسعادة البشرية ولكن الذى لا أستطيع أن أسلم به هو لماذا تدعون أنتم المسلمين أن هناك سلطة علوية هى التى تملى عليه الأوامر؟ .

منطق له أسبابه

مثل هذا النوع من التفكير المتعاطف مع تعاليم الإسلام ولكنه متشكك عقليًا فى مصدره . فإن منزل القرآن (الله) سبحانه وتعالى استخدم أنواعًا مختلفة من البراهين لإزالة هذا الشك . فبالنسبة للملحدين واللاأدريين والشكاكين الذين تثقفوا ثقافة علمية عالية

---

(١) كلمات ناقد مسيحى للإسلام وسوف لا نعلق على وضعه القرآن فى المرتبة الثانية .

ويعتبرون أنفسهم عمالقة الفكر - وهم فى الحقيقة أقزام ناقصو النمو - إنهم مثل قزم اكتسب نموًا غير عادى فى أحد الاتجاهات الخاصة على حساب الأجزاء الأخرى من قدراته الشخصية أو الجسدية . كرأس ضخم مثلًا على جسم ضئيل . والخالق الأعظم يسألهم سؤالًا . ولكن قبل أن نطرح سؤال لله عليهم دعنى أشبع فضولى وأقول لهم « أنتم يا رجال العلم الذين درستم علوم الفلك ودرستم الكون الخارجى من خلال المنظار المكبر والذى يجعلها واضحة كأنكم تفحصون شيئًا فى راحة يدكم ، هل لكم أن تخبرونى كيف كانت بداية هذا العالم؟ رجل العلم هذا بالرغم من أنه يفتقر إلى الناحية الروحية فإنه أكثر كرمًا فى المشاركة بمعلوماته . سوف يلبى فى الحال : « حسنًا لقد بدأ منذ ملايين السنين حيث كان هذا العالم كتلة واحدة من المادة ثم حدث انشطار كبير فى مركز هذه الكتلة الضخمة من المادة . وبدأت أجزاء هذه الكتلة تتناثر فى جميع الاتجاهات . من هذا الانشطار الكبير تكونت مجموعتنا الشمسية وكذلك بقية المجموعات الشمسية والمجرات . ومنذ ذلك التاريخ لم يحدث أى اضطراب أو تغيير فى الكون لهذا الزخم الأصلى الناتج عن هذا الانفجار الأولى وظلت النجوم والكواكب تسبح فى الفضاء كل فى مداره الخاص به .

وعند هذه النقطة داعبتنى الذاكرة فأصحابنا الماديون يبدو أنهم استقوا معلوماتهم هذه سرًا من سورة ياسين .

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (ياسين : ٣٨: ٤٠) .

العالم الملحد يستمر فيقول : « عالمنا عالم متمدد ، الأجرام السماوية الأخرى تبتعد عنا بمعدل متزايد سيصل فى وقت ما إلى معدل سرعة الضوء . وعند ذلك سوف لا يكون فى استطاعتنا رؤيتها مرة أخرى . يجب علينا أن ننشئ تسلكوبات أكبر وأقوى بأسرع ما يمكننا لدراسة هذه المجرات . وإلا فقدنا الاتصال بها نهائيًا . نحن نسأل : « متى استطعتم اكتشاف هذه الحكايات الخرافية؟ » .

ولكن صاحبنا يؤكد « هذه ليست حكايات خرافية . إنها حقائق علمية » ونحن

نجيب « حسنًا فنحن نتقبل الحقائق العلمية التى ذكرتها ولكن قل لنا حقيقة متى عثرتم على هذه الحقائق؟ » وهو يجيب « بالأمس فقط » . على كل حال فخمسون سنة تعتبر بالأمس فى عرف التاريخ الإنسانى .

عربى غير متعلم أمى عاش فى الصحراء منذ ١٤٠٠ سنة هل يمكن أن يكون لديه أى معلومات عن هذا الانفجار الكبير أو عن عالمك الذى يتمدد؟ هل يمكن أن يخبرنا من تلقاء نفسه شيء من ذلك وهو يجيب فى سرعة وحسم « لا أبدًا » .

« حسنًا » إذن فلتصغ إلى ما تفوه به هذا النبى الأمى من تلقين الوحى :

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣]

نظرية الانشطار الكبير :

ألست ترى معى أن كلمة (الذين كفروا) فى الآية السابقة هى وصف لكم أنتم أيها العلماء والجغرافيون والفلكيون . لأنكم بعد أن قمتم بهذه الاكتشافات المدهشة وقدمتموها للإنسانية لا زلتم عميانًا لا ترون خالقها؟

يقول توماس كارليل « مع علومنا ودوائر معارفنا فنحن عرضة لأن ننسى الخالق فى معاملنا هذه » .

كيف يمكن لراكب جمل فى الصحراء أن يلتقط اكتشافاتكم هذه منذ ١٤٠٠ سنة إلا من عند صاحب الانشطار الكبير نفسه؟

أصل الحياة

« وأنتم يا علماء علوم الحياة (البيولوجيين) ويا من تبدون أنكم وضعتم أصابعكم على أصل الحياة العضوية ومع ذلك تخاطرون بإنكار موجد أصل هذه الحياة أعنى الله .. أخبرونى تبعًا لأبحاثكم المزدهرة كيف وأين بدأت الحياة؟ » . مثله زميله فى العلم – الفلكى الملحد – يقول أيضًا « حسنًا منذ بلايين السنين تكونت مادة الخلية الأولى فى

البحر من تولد البروتوبلاست والتى جاءت منها الأميبا ومن هذه الحمأة فى البحر جاءت كل الأحياء . بكلمة واحدة فإن الحياة كلها نشأت من البحر ، يعنى الماء! »

وأنا أسأل « متى اكتشفتم هذه الحقيقة ، أن كل الكائنات الحية أصلها من الماء؟ » والإجابة لا تختلف عن زميله العالم الفلكى « بالأمس » .

وأنا أسأل « هل يمكن لعالم أو فيلسوف أو شاعر أن يخمن اكتشافكم البيولوجى هذا من أربعة عشر قرنًا مضت . هل يستطيع؟ » وهو يجيب « لا أبدًا » .

« حسنًا » إذن فاستمع إلى ابن الصحراء الأمى!

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠] .

والآية السابقة فصلت فى موضع آخر من كتاب الله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النّور: الآية ٤٥]

ليس من الصعب عليكم أن تلاحظوا أن هذه الكلمات من خالق الكون القدير العليم هى موجهة إليكم أنتم رجال العلم كرد على المذهب الارتيابى اليوم . الأهمية الحقيقية لهذه الكلمات تتجاوز مكان الصحراء منذ ألف وأربعمائة عام . الله القدير بهذه الكلمات يخاطبكم أنتم يا رجال العلم كيف لا تؤمنون بالله؟ يجب أن تكونوا آخر من ينكر وجوده ولكنكم أول من يفعل ذلك! ماذا دهاكم لكى تسمحوا لغروركم كى يغشى أبصاركم عن رؤية الحقائق المنطقية الجلية فى مجال علمكم؟

ولعلماء النبات وعلماء الحيوان وعلماء الطبيعة الذين يهينون نفاذ بصيرتهم المذهل فى طبيعة الأشياء برفضهم الاعتراف بالإله الخالق . دعهم إذن يفسرون ما نطق به محمد ﷺ الناطق بوحى من الله :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: الآية ٣٦]

(خلق الأزواج كلها) إن الطبيعة و النظام أو السر الجنسى يجرى على كل المخلوقات ، فى الإنسان والحيوان والنبات وأشياء أخرى لا زلنا نجهلها . إذن هناك أزواج من القوى المتعاكسة فى الطبيعة مثل الكهرباء الموجبة والسالبة . الذرة نفسها

تتكون من شحنات موجبة فى النواة وهى البروتونات وشحنات سالبة تحيط بها فى مدارات وهى الالكترونات . تكوين المادة نفسها يشير إلى وجود زوجين من الطاقات المتعاكسة » (تعليق يوسف على) .

آيات الله :

آيات هذا الكتاب الواضح السهل (القرآن الكريم) تقيم من نفسها شاهدًا ذاتيًا على صحتها . والمتتبعون للقرآن يرون آيات الله فى كل اكتشاف يصل إليه الإنسان . هذه هى آيات ومعجزات الله الرحيم العزيز ليزيل الشك ويثبت الإيمان .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: الآية ٢٢]

يا لقوة التعبير « العالمين » أى العلماء والذين هم فى الحقيقة متمردون عصاة فقد ملأتهم معرفتهم المادية الضخمة بالزهو والغرور إنهم يفتقرون لأى التواضع الحقيقى الذى ذهب فى الواقع مع المعرفة الحقيقية .

من كلمات كاتب فرنسى حديث

« هذه الملاحظات السابقة (يقصد التى أوردها فى الصفحات السابقة من كتابه) تجعل من تقدم الفرضية الظنية لأولئك الذين يرون أن محمدًا هو مؤلف القرآن شيء يتعذر الدفاع عنه . كيف يمكن لإنسان غير متعلم أن يصبح أهم مؤلف فى ميدان الجدارة والأهلية والتفوق اتفاقًا من بين كل من كتب وألف فى الثقافة العربية؟

كيف يمكن أن ينطق بحقائق فى العلوم الطبيعية التى لم يكن هناك إنسان يعرف عنها شيئًا فى هذا الوقت وكل ذلك بدون أدنى خطأ فيما قاله فى هذا الشأن؟ » .

(كتاب نظرات فى الإنجيل والقرآن والعلم ص ١٢٥) للمؤلف الفرنسى موريس بوكال

الإلهام المبكر

لقد وضع بذور هذا الكتاب – القرآن معجزة المعجزات – سفير الإسلام المتجول والملقب بالخطيب ذو اللسان الفضى مولانا عبد العليم صديق . كنت لا أزال طالبًا حينما زار جنوب أفريقيا كمحاضر متجول فى سنة ١٩٣٤. وخلال محاضرته القيمة

الثرية بالمعرفة سمعته يتحدث فى موضوع « إنشاء معهد المسلمين للعلوم » . وفيما بعد أصدر « اتحاد المراكز الإسلامية بكراتشى بباكستان » كتيبًا فى نفس الموضوع مما أعاد إلى البهجة والإثارة التى أحدثها لى سماعى لها الأول فى صباى المبكر . ومما علق بذاكرتى مما قاله هذا الخادم العظيم للإسلام أقدم هنا للأجيال القادمة كلها قليل من الكلمات التى قالها مولانا فى العلاقة بين القرآن الكريم وسائر فروع المعرفة العلمية :

القرآن يحُض على تعلم العلوم

الحض المستمر للقرآن الكريم على دراسة العلوم الكونية هو ظاهرة منفردة بين كل الكتب الدينية فى كل العالم فهو يوجه انتباهنا بالإلحاح إلى التعمق فى معرفة الظواهر الطبيعية المختلفة التى تدور حولنا . والإلحاح على هذه الموضوعات يحث المسلمين على أن متابعة هذه العلوم هى واجبات دينية فى حقهم . إن هذا التكرار هو تأكيد للحقيقة الكبرى ، وغير المعروفة لعالم ما قبل القرآن ، وهو أن كل شيء فى الطبيعة مسخر لخدمة الإنسان ويجب أن يستخدمه لخدمته ومصلحته . إنه يحثنا على أن ندرس تركيب ووظائف أعضاء الجسم البشرى ، وتركيب ووظائف أعضاء وتصنيف الحيوان ، وشكل وتركيب ووظائف أعضاء وتقسيم وتصنيف النباتات ، وهى مسائل علم الحياة والأحياء .

وهو يحثنا على دراسة تفسير النظم الطبيعية والخواص العامة للمادة عند تأثير الطاقة عليها وهى مسائل علم الطبيعة .

ويحثنا على دراسة خواص جوهر المادة سواء كانت عنصرًا أو مركبًا, والقوانين الخاصة باتحادها وتفاعل كل منها مع الآخر . وهى مسائل علم الكيمياء .

وهو يحثنا على دراسة التركيب المعدنى للكرة الأرضية وطبقاتها المختلفة والتغيرات التى تحدث فى مكوناتها العضوية وغير العضوية وهى مسائل علم الجيولوجيا .

وهو يحثنا على دراسة الوصف العام للكرة الأرضية ، وتقسيماتها الطبيعية من بحار وأنهار وجبال وسهول ، والمعادن والنباتات والحيوانات على الأرض ، وأقسامها السياسية وهى مسائل علم الجغرافيا .

وهو يحثنا على دراسة أسباب ظاهرة حدوث الليل والنهار واختلاف الفصول ، وحركة الكواكب والظواهر الكونية الأخرى ، وهى مسائل علم الفلك .

وهو يحثنا على دراسة حركة الرياح وتكون السحاب وسقوط الأمطار والظواهر الأخرى المماثلة وهذه ليست إلا موضوعات علم الأرصاد الجوية .

لقرون عدة كان المسلمون هم قادة العالم فى حقل المعرفة العلمية . ثم تدريجيًا بدأت هذه الزعامة تخرج من أيديهم . تراجع المسلمون عن مهمة القيام بهذه القيادة ، وتقدم الأوربيون الماديون لملء هذا الفراغ لهذه القيادة والتى أوجدها المسلمون .

وعلاوة على ما تقدم فقد سجل مولانا الشيخ عبد العليم مآثر ومساعى المسلمين فى هذا المجال فقال :

إن الثورة العلمية التى فجرها الإسلام كانت عملاقة فلم يترك المسلمون ناحية واحدة من نواحى العلوم إلا وطرقوها ووصلوا فيها إلى مكانة عالية مرموقة .

وفى الحقيقة فإن الإسلام يهدف إلى جعل المجتمع الإسلامى مجتمع فكر وثقافة . ووضع بذور العلم ، وسائر فنون المعرفة ، يعتبر هدفًا رئيسيًا للإسلام .ولولا المسلمون لما عرفت أوروبا طريقها إلى عصر النهضة الأوربية ولما بزغ فجر النهضة العلمية الحديثة . إن الأمم التى أخذت معرفتها العلمية من أوروبا هى فى الحقيقة أخذتها بطريق غير مباشر من المجتمعات الإسلامية والإنسانية كلها مدينة للإسلام بدين لا تستطيع أن توفيه وبجميل لا تقدر على نسيانه » .

الخطيب ذو اللسان الفضى (مولانا) اختتم شرحه التفسيرى الرائع لموضوع « المسلمون هم الذين وضعوا بذور العلم » بهذه الكلمات . « قبل أن أصل إلى ختام هذه الكلمات دعونى أؤكد مرة أخرى أن المجتمع الإسلامى هو الذى يمثل الإسلام بمعنى الكلمة وهو بدوره وحيًا إلهيًا . والذى يكون شخصية المسلم هو الإيمان والعمل معًا ، لقد وضعهما الإسلام كواجب من واجبات الدين أن يبحث المسلم فى حقيقة الأشياء المحيطة به . لأن بحث المسلم العلمى فى معرفة المخلوقات يؤدى إلى زيادة المعرفة والإيمان بالخالق . والبحث العلمى فى الإسلام لا يمثل هدفًا نهائيًا فى حد ذاته ولكنه وسيلة لغاية أعظم وهى فى الحقيقة الهدف الأسمى الحقيقى للإنسانية . ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٦]

محاضرتى التى أجهضت

لقد كان لى شرف سماع هذه المحاضرة السابقة سنة ١٩٣٤ من شفتى الأستاذ نفسه وفى أواخر الثلاثينيات حصلت على المحاضرات فى صورة كتاب فى يدى . فتذكرت ما فيه وكان قد أضيف إليه بعض الملاحظات والتعديلات ، وكنت فى هذا الوقت أعمل فى محل لأحد المسلمين فى مركز آدم التبشيرى وكنت لا أزال متحمسًا لدرجة أنى وضعت الترتيبات مع كلية آدم لأتحدث مع التلاميذ والمحاضرين فى نفس هذا الموضوع . فى هذا الوقت لم يكن لدى الإحساس الكامل بفداحة ما أنوى القيام به ، ولكنى لم أعرف أبدًا على وجه اليقين ما الذى حدث لكى يأتى رئيسى فى العمل لينقذنى على حد قوله . لقد هددنى بطردى إذا لم أتراجع عن أول محاضرة عامة لى . واستسلمت فى أول الأمر ولكنى حنثت بوعدى بعد ذلك خلال سنوات عمرى التالية . لقد كان مستخدمى يجهل دون شك تحذير الله وكذلك كنت أنا أيضًا . لا أستطيع أن أقول الآن ما هو الموقف الذى كنت سأتخذه لو كنت أعلم قول الله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة - ٢٤) .

شكرًا لأخى الرعديد مخلوع الفؤاد الذى جعل محاضرتى الأولى للمبشرين المسيحيين والقسيسين المتدربين - والتى اجتهدت فى الإعداد لها وحفظها والتدريب عليها . ومنذ ذلك الحين توقفت عشر سنوات فى مجال الدعوة العامة . هناك ملايين من المسلمين مثل رئيسى المسلم الذين يصابون بالرعب خوفًا على المكاسب المادية التى ذكرت فى الآية السابقة وهم لا يقومون بواجبهم فى توصيل الدعوة الإسلامية فحسب بل يعترضون طريق أولئك الذين لديهم الاستعداد للقيام بهذا العمل ، إنهم يبدون وهم يحملون أعظم رسالة كأنهم بلا فائدة . الله سبحانه وتعالى وصف هؤلاء بأنهم « فاسدون آثمون » .

الارتفاع إلى مستوى المسئولية

فى الحديث السابق لمولانا الشيخ عبد العليم شد انتباهنا إلى أن القرآن الكريم يحثنا على التعمق فى علوم الأحياء والطبيعة والكيمياء وطبقات الأرض والأرصاد الجوية إلى آخر هذه العلوم . والدارسون مثل موريس بوكاى وكيث مور والشيخ زندانى كتبوا عن وجوه علمية مختلفة فى القرآن الكريم فى الأزمنة الحديثة ولكن المجال لا يزال واسعًا فالقرآن الكريم بحر من المعرفة . يجب على العلماء المسلمين المتخصصين أن يرتفعوا إلى مستوى المسئولية التى ألمح إليها مولانا فى منتصف الثلاثينات . وليس عليهم أن يكافحوا فى كل مجال بل كل فى مجال تخصصه . شباب الإسلام متلهف إلى المعلومات والمقالات وكتيبات صغيرة فى الموضوعات العلمية المختلفة لإرضاء شهيتهم . ويمكن أن تكون هناك دائرة معارف بعد ذلك إن شاء الله .

وليس على أن اعتذر لتركى شرح الموضوعات العلمية فى القرآن الكريم للعلماء المسلمين حيث إنى غير متخصص . ولكن إذا لم يتقدم أحد من المسلمين ليشرح لنا كنوز الحكمة المدخرة التى يزخر بها القرآن الكريم فإننى من جهتى وكشخص عادى غير متخصص فى العلم سوف أشارك معكم الطبيعة الإعجازية فى القرآن كما تظهر لى فى الحقائق البسيطة والعادية .

❁❁❁

الفصل الثالث

القرآن فريد فى صياغته

بين كل الآداب الدينية الموجودة فى العالم فإن القرآن الكريم كتاب فريد بصورة مطلقة . صياغته وحفظه معجزتان . لأنه يعلو على النمط البشرى العادى فى الكلام . قصار النظر والمتخذين موقفًا عدائيًا يقولون أنه مفكك ومتقطع, ولكنه نموذج مختلف على نحو محدد فريد ومعجز . دعنى أعطى بعض الأمثلة المحسوسة لما أقول :

كل الكتب الدينية تبدأ بعبارة على نمط «حدث ذات مرة» أو «الثعلب والعنب .. أو الذئب والغنم» إلى آخر هذه التعبيرات

١- أ- فى البداية (حدث ذات مرة) الرب خلق السماوات والأرض (سفر التكوين ١: ١) الكتاب المقدس)

ب- فى البداية (حدث ذات مرة) كانت الكلمة والكلمة كانت مع الرب والكلمة كانت الرب (إنجيل يوحنا ١: ١) الكتاب المقدس)

جـ- هذه هى بداية النسب (الأصل - البداية) الذى يخص عيسى المسيح بن داود بن إبراهيم (إنجيل متى ١: ١) الكتاب المقدس)

٢- الآن بعد موت موسى عبد الرب حدث أن (حدث ذات مرة) الرب تحدث إلى يوشع (يوشع ١: ١) الكتاب المقدس)

٣- الآن بعد موت يوشع حدث أن (حدث ذات مرة) بنى إسرائيل سألوا الرب (سفر القضاء ١: ١) الكتاب المقدس)

٤- حدث فى الأيام (حدث ذات مرة) عندما حكم القضاه مجاعة فى الأرض (سفر راغوث ١: ١ الكتاب المقدس)

٥- الآن كان هناك رجل محدد (حدث ذات مرة) من راماتام جوفيم من جبل افرايم (صموئيل الأول ١: ١) الكتاب المقدس)

٦- حدث (حدث ذات مرة) بعد موت شاول (صموئيل الثانى ١: ١) الكتاب المقدس)

٧- الآن (حدث ذات مرة) الملك دافيد أصبح كهلًا (أصيب ببرد) وطاعنًا فى السن غطوه بالملابس ولكنه لم يكتسب أى حرارة (الملوك الأول ١: ١) الكتاب المقدس)

٨- الآن (حدث ذات مرة) فى السنة الأولى لكسرى ملك الفرس (عزرا ١: ١) الكتاب المقدس)

٩- الآن حدث (حدث ذات مرة) فى أيام الآشوريين (سفر سيثمر ١: ١) الكتاب المقدس)

١٠ - الآن حدث (حدث ذات مرة) فى السنة الثلاثين فى الشهر الرابع فى يومه الخامس (سفر حزقيل ١: ١) الكتاب المقدس)

إذا لم تربكك هذه الأمثلة وتحيرك فلن يوجد شيء آخر يمكن أن يفعل ذلك .

لابد أنك حتمًا اصطدمت بعبارة « ذات مرة » هذه المتزامنة . لا شك أنك تعرف ولع الإنسان بحكاية القصص ؛ الطريقة والنمط وطريقة السرد هى ما أتحدث عنه ، إنها تبين كيف يفكر الإنسان وكيف يتكلم وكيف يكتب ولا لوم عليه فى ذلك فالإنسان هو الإنسان .

كل الاقتباسات السابقة هى من نسخة الملك جيمس وهى الأكثر شيوعًا بين كل مسيحيى العالم . لابد أنك لاحظت أن كل الآيات فى الاقتباسات السابقة هى ١: ١، ١: ١ وهذا معناه أنها الإصحاح الأول والآية الأولى من كل كتاب من الكتاب المقدس والذى يبدأ دائمًا بكلمة الآن ، الآن ، الآن ، جرب بنفسك وشاهد كم عدد البدايات المشابهة التى سوف تجدها ، لابد على أى حال أن أنبهك أن فهرست الكتاب المقدس سوف لا يساعدك ، يجب أن تمر خلال صفحات الإنجيل بنفس الطريقة التى اتبعتها أنا فى ذلك .

الفهارس لا تساعد

أنا أشير بفهرسين . الفهرس الذى أصدرته جماعة شهود جيهوفا وهى أسرع الطوائف نموًا فى العالم المسيحى ، والثانى هو فهرس يانج التحليلى للإنجيل كلا الفهرسين يعتز

بأنه يحتوى على ٣٠٠٠٠٠ مادة والأخير يحتوى على ما لا يقل عن ٢٧٧ مرة كلمة الآن ، لا أريد أن أحملك مزيدًا من الصبر أعلم أنك تريد أن أتقدم نحو الموضوع الرئيسى لإعجاز القرآن . أنت تقول حسنًا .. أرجو أن تخبرنا عن قصتك حول الوحى القرآنى!

« لقد كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان حيث كان محمد نبى الإسلام ﷺ فى غار حراء من ضواحى مدينة مكة . كان معتادًا على الاختلاء بنفسه فى غار حراء من ضوضاء المدينة وأهلها للتأمل فى هدوء وسلام . كان قلقًا بسبب مشاكل قومه من سكر وفجور ووثنية وحروب وفوارق طبقية ظالمة وقاسية . كانت هذه الجرائم والآثام من الضخامة لدرجة أن جيبون أستاذ التاريخ كان مضطرًا لأن يقول فى كتابه « انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية » :

« والإنسان العربى الوحشى كان يعيش غالبًا بدون إحساس ، فقير فى أى مميزات تجعله مختلفًا عن بقية المخلوقات الحيوانية » . المتنسك فى غار حراء كان يتوق إلى حل . وكان نزاعًا إلى الاختلاء فى معتزله غالبًا بمفرده وأحيانًا مع زوجته العزيزة أم المؤمنين السيدة خديجة .

الهاتف الأول

فى أحد الليالى .. وهى ليلة القدر – ليلة خير من ألف شهر عندما تنزل رحمة الله على الخلائق وتتعلق الأرواح بربها . فى منتصف هذه الليلة فتح كتاب الله للروح المتعطشة . جبريل ، ملاك من عند الله ظهر له وأمره بلغته العربية « اقرأ » . أحس محمد بالخوف والرهبة ولم يكن مستعدًا لهذه الصدمة فلم يكن هناك تدرجًا فى ظهور الوحى له, وفى خوف ورعب صاح قائلًا ما أنا بقارئ وأعاد الملاك أمره « اقرأ » للمرة الثانية وأجاب محمد ﷺ بنفس الإجابة . وضمه جبريل بقوة وأمره للمرة الثالثة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق »

وتحقق محمد ﷺ من أن المطلوب منه أن يفعله هو أن يكرر ما يقال له لأن الكلمة العربية اقرأ تعنى اقرأ واتل وكرر ، وأتبع هذه الآية السابقة وهى الأولى من سورة العلق (سورة رقم ٩٦ من القرآن الكريم) بأربع آيات أخرى تلاها على محمد ﷺ فى الوحى الأول ومن ثم هى مسجلة هنا ومكتوبة :

بسم الله الرحمن الرحيم

١- اقرأ باسم ربك الذى خلق

٢- خلق الإنسان من علق

٣- اقرأ وربك الأكرم

٤- الذى علم بالقلم

٥- علم الإنسان ما لم يعلم

أمسك يا سيد ديدات ، كل هذا الذى تخبرنا به عن وحيك القرآنى لا يختلف عن أمثلتك العديدة الأخرى التى أوردتها لتبرهن على أن يد الإنسان تدخلت فيها .

تمامًا أنا سعيد لأنك رأيت بوضوح كيف يفكر عقل الإنسان المتعلق دائمًا بالفاعل وكيف يتكلم ويسجل . منذ اللحظة التى سألتنى فيها .. من فضلك أخبرنا عن قصتك عن وحيك القرآنى وبدأت أجيب :

« إنه كان فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان . . . . .» إلى أن قلت ومن ثم ها هى مسجلة هنا ومكتوبة فقد عرفت أن كلماتى مقتبسة من القرآن الكريم ومن كتب الحديث الشريف والتاريخ ومن أفواه العلماء والتى سمعتها خلال سنوات حياتى . فالقرآن الكريم لم تعبث به أيدى الرجال . وهذا هو المقصود بأنه كتاب محفوظ .

فريد فى صياغته

كل نصوص القرآن سواء كانت عربية أو مترجمة إلى أى لغة ستكون على نفس النمط .. لا يوجد فيها إذا كان أو لكن . لن تجد فى النص الأصلى أو الترجمة أن محمد ﷺ « كان سنه أربعين سنة عندما تلقى الوحى الأول » لن تجد « كان فى غار حراء » لن تجد .. رأى الملاك جبريل أو « هو كان خائفًا أو كيف تصرف أو أجاب على الأمر « اقرأ » أنه عندما انصرف الملاك بعد أن أكمل الآيات « محمد جرى إلى منزله ثلاثة أميال جنوبًا نحو مكة إلى زوجته العزيزة خديجة وروى لها ما حدث وسألها أن تغطيه ، كل هذا هو ما أسميه طريقة « حدث ذات مرة » .

سرد القرآن ليس فيه هذا إنه سرد فريد بصورة مطلقة كما أنه فريد فى حفظه من تدخل الرجال .. بالاختصار هو إعجاز .

هو بخلاف الأسلوب الأدبى البشرى حيث يبدأ كل شيء بالبداية ، الكلمة الأولى والآية الأولى فى الوحى القرآنى ليست هى السورة الأولى والآية الأولى لكنها تحتل رقم ٩٦ فى ترتيب سور القرآن حسب تعليمات الله لرسوله محمد ﷺ. لا يوجد كتاب دينى فى العالم كله يتبع هذا النمط لأنه ليس هناك وحى آخر حافظ على نقائه منذ أن نزل حتى الآن .

عالم نفسى كندى

لقد كان لى شرف مشاركة أفكارى عن الوحى الأول لمحمد ﷺ كما هو مسجل فى الخمس الآيات الأولى من سورة العلق مع شاب من كندا . كنت أتحدث معه ونحن فى رحلة إرشادية إلى أكبر مسجد فى نصف الكرة الجنوبى وبينما كنا نتحدث سألته عن مهنته فأخبرنى أنه كان يعد رسالة فى الدراسات العليا لعلم النفس بعد تخرجه من الجامعة . فقلت له وأنا ألفت انتباهه إلى الخمس الآيات الأولى من سورة العلق سائلًا « كيف يعلل رسالة وتجربة محمد ﷺ وهو يتحدث عن القراءة والكتابة والعلم ، بأشياء لم تكن معروفة من قبل ، ولا تمثل مشكلة له أو لقومه . كيف يمكن لعقل ذاتى بشرى كما لو كان آتيا من مكان آخر يتلو هذه الآيات . قلت له أرجو أن تعطى تعليلًا لذلك . فقال لا أستطيع . اعترف أنه عاجز عن إعطاء تعليل لذلك ، فقلت فى هذه الحالة يجب علينا أن نقبل كلمات الرجل التى قالها سببًا لذلك وشرعت أتلو الآيات الأولى من سورة النجم :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤﴾ (سورة النجم : ١ – ٥) .

ومحمد ﷺ أمر أن يقولها المرة بعد المرة للناس ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠]

الشاب الكندى أجاب بأدب : « سأعطى هذا الموضوع حقه من التفكير الجاد » .

إذا عودنا أنفسنا على التامل مع حقائق القرآن سنكون قادرين على فتح مجالات الحديث مع أى متخصص فى فروع العلم .

معجزة فى الإعلام

لأن المركز الإسلامى العالمى لنشر الدعوة الإسلامية بجنوب إفريقيا نشيط كخلية النحل فإنه يجذب كثيرًا من الناس للحوار والمناقشة بما فى ذلك رجال الصحافة والإعلام . وبمجرد أن اكتشف أن المقابلة صحفية أخبر صاحب المقابلة أننى أود أن أعرض عليه أن القرآن معجزة إعلامية . والكل يقبل على الاستماع إلى وجهة النظر هذه . وأبدأ بقصة سيدنا موسى ﷺ بطريقة ونموذج « حدث ذات مرة » فلا تبدو القصة قوية التأثير ، فلا يستطيع تحمل الإسراف فى التفاصيل الخاصة بموسى وأعشاب نبات البردى ، ولا حتى تفاصيل طفولته وأمه وأخته فى القرآن الكريم (سورة طه الآية : ٣٨: ٤٠، سورة القصص : ٧ - ١٣) تخطيت التفاصيل وبدأت بـ :

حادث المدينة

موسى ﷺ رأى رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته والآخر من أعداء قومه . فأراد أن يساعد اليهودى فى مواجهة المصرى ، وفى الاشتباك صفع الظالم بشدة لدرجة أنه مات .

وهرب موسى ﷺ من المدينة إلى سيناء فوجد نفسه بين أهل مدين ، وهناك ساعد فتاتين فى حاجتهما إلى الماء ، وحصل على عمل من والدهما شعيب . وبعد أن أكمل عقد عمله بعد أكثر من ثمان سنوات ، بدأ موسى يشعر بالملل من بقائه فى الريف . وبالنسبة لرجل مثله تربى فى حياة ملكية وسط سرعة وصخب المدينة ، أصبح بتململ من حياة الريف الهادئة التى تسير على وتيرة واحدة . أراد التغيير وطلب الإذن من حماه أن يصبح مستقلًا . وشعيب كان رجلًا عمليًا وعاقلًا فأعطى موسى الإذن للمغادرة .

موسى يبدأ الرحلة

غادر موسى ﷺ مع زوجته وأولاده مع نصيبه من الماعز والأغنام التى كان يتعهدها لحماه .

وبعد قليل من الوقت ، وجد نفسه من عائلته فى وسط سيناء . وقد فقد الطريق من آخر منزل نزل فيه للراحة ، ونفد منه الزاد الذى كان يحمله من اللحم . ولم يبق معه سوى

الماتزو وهو خبز جاف يستخدمه اليهود . المشكلة كانت فى اللحم . كان عليه أن ينحر أحد الخراف أو الماعز . وهذا أمر سهل لكن الصعوبة فى الحصول على النار التى تحتاج إلى عمل شاق . يمكن أن يظل نصف النهار يحاول الحصول على شرارة من حك حجرين متماثلين . من الواضح أنه لم يكن هناك أعواد ثقاب فى تلك الأيام . أخذ يسوف ويؤجل العمل اليوم وغدًا لعل مشكلة اللحم تحل .

أين المعجزة التى وعدت به يا سيد ديدات؟

حتى الآن لم أقدم إلا خلفية القصة فقط . المعجزة هو تركيز كل هذا وأكثر فى أربعة آيات جامعة موجزة محكمة . أربعة جمل قصيرة فى أجمل صياغة . ولكى تقدر المهارة سوف أوجه انتباهك لما أبغى أن تلاحظه فيما يبدو لى ذروة الكمال الإعلامى .

الإعلانات الصحفية

يقع مسكنى على بعد ثلاثين كيلو مترًا شمال مدينة دربان حيث يوجد مكان عملى . وقبل إنشاء طريق سريع يوصل بمدينة دربان . كنت معتادًا على ارتياد الطريق الساحلى إلى دربان . وكان هذا الطريق يجعلنى أمر أمام منحدر عند مدخل مدينة دربان ، وعند مرورى على هذا المنحدر كنت ألاحظ بانتظام بائع جرائد يعرض جريدة الصباح « ذى ناتال ميركورى » للبيع وكان يعلق يوميًا إعلانًا بالخطوط العريضة للأخبار لجذب المشترين . وكنت كلما قرأت هذه الإعلانات أغير رأيى فى شراء الجريدة فى هذا اليوم . وعندما كنت أقوم بوضع سيارتى داخل الموقف فى دربان وأمر على بائع جرائد آخر كنت أشترى الجريدة برغم ذلك .

وبعد العديد من المرات التى كنت أغير فيها قرارى هكذا ، بدأت أفكر وأسأل نفسى عن سبب هذا التغيير ، فاكتشفت أنه بالرغم من أن الصحيفة كانت هى نفسها إلا أن طريقة العرض كانت مختلفة . فطريقة العرض عند الشاطئ كانت تهدف إلى جذب الزبون الأوروبى بينما طريقة العرض فى المنطقة الأخرى كانت موجهة للطائفة الآسيوية وبتوسيع مجال العرض الصحفى ليشمل الأمور التى تهم الإفريقيين والملونين أمكن اجتذاب هؤلاء لشراء نفس الجريدة . لذلك فالعرض الصحفى الناجح هو ذلك العرض الموحد الذى يجذب الغالبية العظم من الطوائف المختلفة كل يوم .

هذه هى قمة النجاح فى العمل الإعلامى ، ولا شك أن كل الصحفيين وافقونى على ذلك ، دعنا إذن نحلل الإعلام القرآنى وفق هذه القاعدة .

القرآن يوجه نداءه للجميع

نبى الإسلام محمد ﷺ كان فى المدينة محاطًا باليهود والمسيحيين والمسلمين والمشركين والمنافقين . نبى الله كان يعلن أنباءه (الوحى الإلهى) لكل هذه المجموعات المختلفة . ماذا يقول فى عرض هذه الأنباء . ليجذب انتباه كل هذه المجموعات المتنافرة؟ لقد أوحى الله تعالى إليه أن يعلن « وهل أتاك حديث موسى؟ » يمكنك أن تتصور مدى التأثير؟ اليهود والمسيحيون ينتظرون المزيد من السماع ، يتوقعون من محمد ﷺ أن يقع فى الخطأ مقدرين بينهم وبين أنفسهم أن هذا الأمى لا يمكن أن يعرف شيئًا عن موسى وقصته . والمسلمون متعطشون للمعرفة الحقيقية من خلال الوحى الإلهى الصادق وهو تواقون لمعرفة كل شيء عن نبى الله موسى عليه السلام .

المشركون والمنافقون يلوكون بألسنتهم مستمتعين بالانتقال بالحوار بين المسلمين والمسيحيين واليهود عن موسى عليه السلام محاولين إيجاد فرصة للوقيعة والتناقض . الكل يصغى السمع فى انتباه شديد ومحمد ﷺ يتابع إعلان الوحى « إذ رأى نارًا » .

يمكنك أن تتخيل الأحداث كأنها أمامك ومحمد يتحدث تليغرافيًا . لقد احتاج الأمر إلى ألفى عام بعد المسيح عليه السلام لكى تصل الولايات المتحدة الأمريكية (أكبر وطن للمسيحيين واليهود) إلى درجة الكمال فى مجال صياغة شعار الإعلان . ففى إرشادات « شركة الاتحاد الغربى للإعلانات » تقول الشركة لمندوبيها « لا تكتب إعلانًا اكتب تلغرافًا! » فى أى مدرسة صحفية تعلم محمد لكى يتسيد هذه الطفرة الأمريكية .

ويستمر الوحى الإلهى .

« فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارًا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى »

اختزال حاسم

من فضلك قارن الآيات السابقة مع أى ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم ، ترجمه بواسطة صديق أو خصم وستجد نفس الإيجاز والاقتصاد فى الكلمات .

ومحمد ﷺ لم يكن يجرى تجارب على مدى الإحكام والضبط فيما يقول ، ولكنه كان يبلغ كلام الله كما همس به إليه فى قلبه وعقله بواسطة الملاك جبريل عليه السلام . يجب أن نتذكر أنه لم يكن هناك إنجيل عربى فى القرن السادس من التقويم المسيحى عندما كان النبى ﷺ يتلو القرآن .

الآن قدم هدية . من فضلك أجر مقارنة بين هذا الوحى القرآنى والقصة الواردة بالكتاب المقدس ، الكتاب الثانى سفر الخروج الإصحاح ١. ٢. ٣ التى تعرض هذه الفترة من حياة نبى الله موسى عليه السلام والتى نتدارسها . وأنا هنا أقتبس بداية القصة من الكتاب المقدس .

« وهذه أسماء بنى إسرائيل الذى جاءوا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبنيه رأوبين وشمعون ولاوى ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتال وجاد وأشر وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسًا ولكن يوسف كان فى مصر .
(سفر الخروج ١: ١ – ٥)

موسى يبدأ المهمة :

فكر ببساطة هل هذه هى طريقة الله فى الحديث؟ أرجو أن تقارن هذه الآيات الخمس من الكتاب المقدس مع الآيات الأربع من القرآن الكريم الآتية بعد .

استمرارًا مع القصص القرآنى ، فإن موسى كان متوقًا إلى شيئين خلال مسيرته مع عائلته وقطيعه فى سيناء . فقد كان يبحث عن النار ليطهو بها اللحم ، ويبحث عن الطريق إلى مجتمع إنسانى فى الصحراء يجد عنده الضيافة . ويفصح الله عن خطته بتكليف موسى بحمل الدعوة بالتدريج . فموسى كان يعد من قبل الله لمهمة الدعوة إلى الله . ومن وهم إشعال الفحم إلى حقيقة إشعال الأرواح البشرية بنور الهداية الروحية لآلاف السنين ، وتوجيهها التوجيه الصحيح لخير الجنس البشرى .

النار التى رآها موسى لم تكن نارًا عادية . بالنسبة له كانت بمثابة نار متقدة يمكن أن يأخذ منها شعلة فيستخدمها فى عمل نار يطهو عليها طعامه ، كذلك فهى تشير إلى وجود بشر يمكن أن يحصل منهم على المعلومات التى تهديه إلى الطريق .

« فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » .

التاريخ الروحى للنبى ﷺ يبدأ من هنا ، وكان هذا هو مولده الروحى .. فى اصطلاحات الكتاب المقدس « اليوم أنا أنجبتك » هكذا تكلم الله مع داود عليه السلام فى مثل هذا الموقف فى المزامير ٢: ٧.

الجزء القرآنى السابق مملوء بالمعانى الروحية العالية التى تنبثق من الآيات القصيرة المنتظمة الإيقاع فى الأصل القرآنى . كلا من الإيقاع المسجوع والمعنى العميق فى القرآن الأصلى هو موطن السر الإعجازى . ولتكون المقارنة أسهل أقدم لك الآيات الأربع متتابعة .

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ * إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه : ٩ - ١٢)

وطوى وادى فى طور سيناء حيث استقبل فيه موسى الشريعة وقد أمره الله أن يخلع نعليه ومعنى ذلك كأنه خلع مصالحه الدنيوية وأى شيء له فائدة دنيوية لأن الله العلى قد اختاره لرسالته .

❊❊❊

الفصل الرابع

كتاب البرقيات الإعجازية

القرآن الكريم من الممكن وصفه بأنه كتاب البرقيات الإعجازية. فهكذا أوحى الكتاب فى صورة رسائل تلغرافية موجهة كجواب على الأسئلة.

الخمر والميسر

قال الله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]

القرآن والحديث

الآية السابقة هى مجرد نموذج واحد للطريقة الإلهية فى توجيه الحديث وستأتى الأمثلة تباعًا. هل يمكن لأى باحث عن الحقيقة بإخلاص أن يجد طريقة أكثر ملاءمة وسهولة؟ الإجابة بالطبع لا .. الله أيضًا يحاور المتمردين بالحجة بهذه الكلمات ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠]

بالطبع لا.

والآن قارن الكلمات السابقة لله العلى القدير فى موضوع الخمر (المسكرات عمومًا) مع كلمات رسوله المصطفى ﷺ. لا ننسى أن الآية السابقة (البقرة - ٢١٩) والحديث الآتى بعد مسموعين من شفتى النبى ﷺ ونقلهما عنه أصحابه.

ففى حديث عن أنس (رضى الله عنه) أنه قال: لعن رسول الله ﷺ من شارك فى إنتاج أو استهلاك أى نوع من المشروبات المسكرة.

هو يقول :

١- ملعون من زرع العنب بقصد التخمير .

٢- ملعون من يبيعها .

٣- ملعون من يعصرها .

٤- ملعون من يعبئها .

٥- ملعون من يشربها .

أو كما قال »[١]

نبى الله ﷺ قال أيضًا « **ما أسكر كثيره فقليله حرام** » .

ليس هناك عذر فى الإسلام لرشفة أو جرعة بخلاف نصيحة بولس إلى تيموثى :

« لا تشرب فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » (اتيموثى ٥: ٢٣)

أو وصية سليمان وهى توصية فكهة تصلح لاستعباد والتحكم فى شعب مقهور .

« اعطوا مسكرًا لهالك وخمرًا لمرى النفس يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد » . (الأمثال ٣١: ٦: ٧)

حتى لا تنسى من فضلك انظر مرة أخرى فى النص القرآنى وكلمات حديث النبى ﷺ السابقة وسوف لا يسعك إلا أن توافق أن الاثنين مختلفان فى الأسلوب والبناء والجلال بالرغم من أن كليهما قد خرج من نفس الشفاه .

ومثال آخر لإجابة تليغرافية (برقية) لسؤال عن الأهلة .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٩]

« كان هناك الكثير من الخرافات المتصلة بالأهلة (الصور المختلفة للقمر) كما هو الحال حتى يومنا الحاضر . لقد أمرنا ألا نلتفت إلى مثل هذه الخرافات . ويستخدم

---

(١) نص الحديث : عن أنس رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ لعن فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشترى له » رواه ابن ماجه والترمذى .

التقويم الهلالى لقياس الزمن ، والأهلة تعتبر مؤشرًا عظيمًا لمعرفة الشهور يترقبها الناس فى لهفة ، فالمناسبات الإسلامية المختلفة بما فى ذلك الحج تعرف ويتثبت منها بمولد الهلال الجديد » (على يوسف على)

تلغراف (برقية) مماثل للسؤال عن: **الإحسان**

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢١٥]

ثلاثة أسئلة مثارة عن الإحسان

١- ماذا نعطى؟ ٢- لمن نعطى؟ ٣- كيف نعطى؟

والإجابة هنا اعط أى شيء ، بشرط أن يكون صالحًا ونافعًا ومفيدًا وله قيمة . ممكن أن يكون مالًا ، ممكن أن يكون مد يد المساعدة على إنجاز شيء ، ممكن أن يكون نصيحة مفيدة ، ممكن أن يكون كلمة طيبة « وما تفعلوا من خير » فهو إحسان ، وعلى الناحية المقابلة إذا ألقيت بشيء نافع فليس هذا إحسانًا ، أو إذا فعلت شيئًا بقصد الإضرار والإيذاء مثل أن تعطى سيفًا لرجل مجنون ، أو أن تعطى دواء أو حلوى أو نقودًا لشخص ما تريد أن تستدرجه وتوقع به ، فهذا ليس إحسانًا ولكنك تعطيه عذاب الجحيم .

لمن تعطى؟

قد يكون العطاء محاولة لكسب المدح والثناء من الناس لعطيتك التى سوف يتحدثون عنها . ولكن هل بدأت بالوفاء باحتياجات من لهم الحق الأول عليك؟ إذا لم تفعل فأنت كمن يسلب مال الدائنين لتعطيه للآخرين ، وليس هذا إحسانًا يجب ألا يكون الدافع إلى العطاء هو الغرض الشخصى, وأن يكون المتلقى للعطية محتاج إليها فعلًا ، وهذه النقطة إذا لم تضعها فى اعتبارك فإن الدافع إلى العطاء هو الغرض .

كيف نعطيها؟

ما دام الله مطلعًا عليها فيجب أن تكون بعيدة عن كل تظاهر واستعراض ورياء » (على يوسف على)

محمد ﷺ تلقى تلغرافًا آخر فى إجابة لسؤال عن طبيعة : **الروح**

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]

لا أستطيع إلا أن أؤكد باستمرار أن السرد القرآنى يختلف كلية عن أى كتاب آخر على سطح الأرض، إنه يتحدث بطريقة مباشرة وفى الصميم. ليس فيه لو .. ولكن .. ولا مراوغة ولا يحوم حول الموضوعات. وفى كل الكتاب لن تجد النص المسرحى الذى يصلح «لشباك التذاكر» أو لفيلم يضرب الأرقام القياسية مثل «الوصايا العشر» و «شمشمون ودليلة» ليكون مادة إنتاجية للشاشة الفضية للسينما. ومن هذه الناحية فإن الكتاب المقدس مادة مبهجة لكتاب النصوص الفلمية والمسرحية يمكن تحويلها بسهولة إلى قدور من الذهب.

وقبل أن نترك هذه النقطة دعونى أذكر قرائى أن أبحثوا كما تشاءون بين دفتى الكتاب، فلن تجدوا حتى اسم والد ووالدة الرسول عليه الصلاة والسلام. لن تعثروا على أسماء زوجاته أو بناته أو أسماء صحابته المقربين. بالرغم من أنك تجد سورة كاملة عن السيدة مريم عليها السلام أم عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم. وعيسى عليه السلام ذكر فى كتاب الله خمسًا وعشرين مرة، بينما اسم النبى ﷺ لم يذكر إلا خمس مرات. ما السبب؟ هل لأن عيسى وأمه أهم من محمد (عليهم جميعًا صلاة الله وسلامه)؟ لا ليس كذلك, إذن لماذا هذه التغطية الإعلامية غير العادية؟ ببساطة لأن نزاهة عيسى وأمه كانت فى حاجة إلى دفاع. كان هناك العديد من الاتهامات الزائفة للأم وابنها, وكان لابد من دحضها لذلك فإن قصة بشارة الملاك والحمل بلا دنس ومولد عيسى عليه السلام لابد من تسجيلها. لم يكن نسب محمد ﷺ فى أى وقت موضع سؤال. لذلك لم تذكر كلمة واحدة فى كل الكتاب عن مولد محمد أو نسبه. القرآن ليس كتابًا عن سيرة محمد ﷺ. هذا شيء يصعب على غير المؤمنين فهمه.

دعنا نعطى مثالًا آخر لرسالة تلغرافية (برقية) من الله سبحنه وتعالى فى القرآن الكريم فى موضوع يوم القيامة وهو: **الساعة**

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]

يستحق منا الاهتمام أن نقارن هذه الآية الواحدة السابقة بالإصحاح الثالث عشر

كله من إنجيل مرقس والذى يستخدم السبع والثلاثين آية فى كل الإصحاح ليصل إلى نفس النتيجة التى وصلت إليها الآية الواحدة السابقة . اختبار بسيط لتميز صنع الإنسان من كلمات الله . ستجد القرآن خاليًا من التكلف والإسهاب .

أمثلة أخرى كثيرة يمكن تقديمها من كتاب الله للبرهان على أن طريقته فى السرد ليست هى طريقة البشر . إنه كتاب فريد بصورة مطلقة . فى الحقيقة يمكن كتابة مجلد كامل فى هذه النقطة بذاتها . وعلى كل حال سوف نختتم هذا الفصل بمثال أخير من القرآن الكريم . إنها سورة قصيرة قياسية من أربع آيات . والآيات الأربع مجتمعة أقل فى عدد الكلمات من الآية السابقة الواحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ٣- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ٤- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

فى الترجمة الإنجليزية ستجد خمس آيات بدلًا من أربع لأن ترجمة على يوسف على تعتبر بسم الله الرحمن الرحيم آية . وفى التعليقات من رقم ٦٢٩٦ إلى ٦٣٠٠ ستجد تعليله لذلك ومن الممكن أن نتفق أو نختلف حول ذلك ، لكن كلمات الله هى النسخة العربية وهى المرجع, والترجمة الإنجليزية مقبولة فقط كأحسن محاولة بشرية للترجمة .

امتحان حاسم لمصداقية الدين

حسب قول رسول الله ﷺ فإن المسلم إذا تلا الآيات الأربع السابقة بصيغتها الأصلية (العربية) ثلاث مرات فكأنه قرأ القرآن بأكمله . فما الذى يجعل لهذه السورة القصيرة هذا القدر العظيم؟

ليس الصوت أو الموسيقى لهذه السيمفونية الفريدة والتى تحرك فى النفوس نشوة الروح والدموع . إنها الرسالة ، الامتحان الحاسم للدين هو الذى يعطيها هذه المنزلة الرفيعة . ليس هناك حقيقة لاهوتية أو مفهوم عن الله يمكن أن يكون خارج نطاق هذه الآيات الأربع . إنها المحك الذهبى (Touchstone) لمعرفة الله . فمن خلال هذه الآيات يمكنك قبول أو رفض أى فكرة عن الله وأن تعرف الحق من الباطل . إنها تمامًا مثل محك الذهب الذى يستخدمه الصائغ فى اختبار الذهب إذا كان لك صديق صائغ

فاسأله كيف يعمل محك الذهب؟ لتعرف كيف يفعل محك الذهب القرآنى، سورة الإخلاص.

كانت هناك ترتيبات تعد لى لزيارة زامبيا لإلقاء عدة محاضرات فى منتصف عام ١٩٧٥. وتلقيت مكالمة هاتفية من لوكاسا بأنهم أرسلوا لى تذكرة الطائرة إلى مدينة دربات حيث أقيم، ويمكننى أخذها من المركز الرئيسى لشركة طيران جنوب أفريقيا والتى تقع فى مركز المدينة، وذهبت إلى مكاتب الشركة واقتربت من موظف الاستعلامات المسئول وأخبرته بأنى حضرت لآخذ تذكرتى التى أرسلت من لوكاسا، فأرشدنى أن أتوجه إلى إحدى السيدات وأشار إلى حوالى اثنتى عشرة سيدة يجلسن فى صورة نصف دائرة، كل منهن أمامها شاشة كومبيوتر. ولأن معظمهن كن منشغلات مع عملاء آخرين فقد سألته: أى واحدة منهن؟ وثار الموظف بصورة واضحة وأشاح بيده وقال فى خشونة «أى واحدة» مشيرًا فى اتجاه السيدات الجالسات، فى هذه اللحظة لم أستطع فهم سبب هياج هذا السيد المهذب لسؤالى البرئ والمتواضع. كنت أتطلع إلى استلام تذكرتى التى أعرف أنها مكونة من وريقات فى صورة كتيب مستطيل. لقد فعلت ذلك عدة مرات من قبل، لذلك لم يكن هناك خطأ فيما كنت أحسب. كيف يمكن أن تكون تذكرتى عند كل هؤلاء السيدات فى وقت واحد. لكن اللهجة الغاضبة فى صوت الرجل لم تترك لى فرصة لمراجعته، وتقدمت للبحث عن مزيد من المعلومات حيث أشار. وفى ارتباك اقتربت من أول سيدة رأيتها غير منشغلة بأحد ومستعدة للخدمة وأخبرتها بمهمتى، وهو أننى تلقيت مكالمة أن هناك تذكرة فى انتظارى وعلى أن تسلمها، فسألتنى عن اسمى فتهجيته لها وهى تكتبه على لوحة المفاتيح التى أمامها، وكانت تراقب الشاشة بينما هى تضرب على لوحة المفاتيح. لكنى لم أكن أستطيع أن أرى الكلمات من المكان الذى كنت أقف فيه. وأومأت برأسها وقالت: نعم مشيرة إلى أنها وجدته. فقلت لها أننى أريد أن أغادر دربان إلى جوهانسبرج مساء الثلاثاء، فاقترحت على رحلة الساعة السادسة فوافقت فأضافت بعض الكلمات إلى لوحة المفاتيح، فأخبرتها أننى أريد أن أترك جوهانسبرج لأصل إلى لوساكا حوالى الساعة الثالثة مساء فى اليوم التالى. كانت هذه تعليمات من استضافونى هناك، حيث أرادوا أن تغطى

الإذاعة والتليفزيون وصولى هناك . فقامت بإضافة بعض الكلمات ، وسألتنى إذا كنت أريد الذهاب إلى لوساكا عن طريق جابون أو مابوتو وأجبتها بأن الأمر سيان ما دمت سأصل إلى غايتى فى تمام الساعة الثالثة يوم الأربعاء . فضربت على لوحة المفاتيح مرة أخرى ثم أمعنت النظر فى الشاشة وقالت : «آسفة لأنك حجزت على الخطوط الزمباوية ، ولا نستطيع تحويل التذكرة إلى خطوط أخرى لأننا لا نستطيع اليوم الاتصال بالخطوط الزمباوية لأن لديهم اليوم عطلة بسبب أحد الأعياد الوطنية هناك . وسألتنى أن أعود فى اليوم التالى لاستكمال الإجراءات حيث تكون العطلة قد انتهت » .

لا بأس لكنى شعرت بإحباط لأن التذكرة كانت على وشك أن أحصل عليها ولكن لم تكن فى يدى . كنت لا أزال أتخيل أن التذكرة فى درج مكتبها .

الأمور تتضح

ولحيرتى سألتها « من أين حصلت على كل هذه المعلومات؟ فقالت : « من الكومبيوتر الرئيسى فى جوهانسبرج » وكانت من الكرم بحيث أعطت مزيدًا من الشرح بأن كل كمبيوتر فى البلاد له نفس هذه الوصلات يمكنه الدخول على هذا الكمبيوتر الرئيسى بمجرد الضغط على مفتاح معين . فسألتها إذا حدث عند محاولتها أن تحجز لى على طائرة الساعة السادسة المتجهة إلى جوهانسبرج وكان هناك مقعد واحد فقط وكان هناك فى نفس الوقت موظف آخر فى مكان آخر يحاول الحصول على نفس المقعد ، ماذا يحدث؟ فقالت الشخص الذى يسبق الآخر بجزء من الثانية سوف يحصل على المقعد ، والآخر سوف لا يجد أمامه شيئًا . فشكرتها شكرًا جزيلًا وغادرت المبنى .

فى طريق عودتى إلى مكتبى بدأ عقلى تتوارد عليه الأفكار ، وفكرت ، هذه هى الطريقة التى حدث بها الأمر أقصد الطريقة التى جاء بها الوحى الإلهى إلى محمد ﷺ رسوله المختار من « الكمبيوتر الرئيسى » اللوح المحفوظ

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ (البروج : ٢١ - ٢٢)

هذا اللوح ليس مثل لوح موسى الذى استخدمه فى نقش الوصايا العشر أى لوح من الحجر . وليس مثل اللوح التى يستخدمه المدرسون فى المدارس والذى يسمى السبورة ، وليس لوحًا كشاشة الكمبيوتر . إنه لوح يحفظه الله ويحميه ولا يمكن وصفه بطريقة

مادية لأنه ليس من مادة تنتمى إلى عالمنا ، إنه شيء روحانى! أما كيف يعمل؟ فإننا نخمن فقط .

مسيحيو نجران

بينما كان الإسلام يوطد أقدامه فى المدينة ، كانت أخبار رسول الله ﷺ تنتشر فى الجزيرة فى طول البلاد وعرضها . وكان هناك مجموعة من المسيحيين العرب يعيشون فى نجران ، حول اليمن . وسمع هؤلاء أن رجلًا عربيًا من الجزيرة العربية يقول أن وحيًا إلهيًا يوحى إليه وأنه نبى من قبل الله يتحدث باسمه . وجاء وفد منهم إلى المدينة ليمتحنوا النبى ويناظروا ما عندهم بما عنده وليختبروا معرفته بالله والأديان عامة .

وعندما وصلوا إلى المدينة نزلوا بمسجد النبى ﷺ . بناء بسيط حوائطه من الطين وسقفه من سعف النخيل ، المسيحيون أكلوا وناموا فى المسجد وتحاوروا مع الرسول عن الله لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وتفاصيل هذا الحوار تجده فى كتب الحديث .

خلال الحوار ، المتحدث باسم المسيحيين ضمن أسئلة أخرى كثيرة طرح سؤالًا ، « قل لنا يا محمد ما هو مفهومك عن الله؟ » لم يراوغ الرسول ولم يحم حول الإجابة باحثًا عن كلمات وأفكار ليجمع بها رده كما يفعل كل واحد منا عندما لا يكون لديه الإجابة الحاسمة ، ومحمد ﷺ لكى يتكلم ضغط على مفاتيحه الروحية (ليس هناك مفاتيح مادية ليضغط عليها) ، ولكنها مجرد تقريب للفكرة فهو ينشد الإجابة ويجيب من الله خلال اللوح المحفوظ « الكمبيوتر الرئيسى » لكل المعلومات الخاصة بالوحى . إنه يسأل لكى يتكلم « يا رب ماذا أقول؟ » وتأتى الإجابة :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (سورة الإخلاص - ١ - ٤)

بعد أن تفوه الرسول ﷺ بالعبارة السابقة عن الإيمان الخالص ، عادت المحادثة إلى الخطاب المعتاد . ليس هناك عربى يستحق هذه التسمية يمكن أن يفوته التفريق بين النغمة فى الصياغة والحدة فى التعبير بين كل من الخطابين . الكلمات السابقة لم تكن كلمات النبى لكنها كلمات الله . لقد وضعت حرفيًا فى فمه بينما هو يتلوها . كان يتحدث بلسان الله . هذه المعلومات زود بها فى قلبه وعقله قبل عقد من الزمان فى مكة

بطريقة مماثلة للكمبيوتر فى ذلك الوقت كان اليهود يحاولون حثه ليوقعوا به فى موضوع « هوية وأصل الله » ليس مثل الفريسيين الأقدمين الذين كانوا يتتبعون خطوات مسيحهم المنتظر ليشاكسوه . والمثال السابق هو مقال حقيقى عن كيفية إرسال الله وحيه لرسوله المختار وكيف تلقى الرسول هذا الوحى وحفظه وكيف استخدم فمه الطاهر لإعلان هذه الرسالة وكيف أننا أتباع النبى ﷺ علينا أن نتشرب هذه الرسالة لنستخدمها فى أمور حياتنا .

فى كل الكتب الدينية فى جميع أنحاء العالم لا توجد أى كتابة يمكن مقارنتها حتى بهذه السورة الصغيرة وهى « سورة الإخلاص » . وإذا كانت هذه السورة هى الاختبار الحاسم فى علم اللاهوت والقدرة الإلهية فى تركيز أعظم المعانى فى أقل الكلمات ، فبقية القرآن هو تفسير وتوضيح لها ومن خلال ذلك عرفنا صفات الله وتجنبنا تسلل الشرك إلى عقائدنا والذى وقعت فيه الأمم والرجال وهم يحاولون فهم حقيقة الله .

❁❁❁

الفصل الخامس

الله متفرد فى صفاته

الله سبحانه وتعالى متفرد تفردًا مطلقًا فى ذاته وصفاته . ولا يمكن مقارنته بغيره بأى حال من الأحوال وبأى صورة نعرفها أو نتخيلها ، كما هو واضح فى الآية الأخيرة من السورة المقتبسة فى الفصل السابق(١) .

الوحى الأخير والنهائى من الله وهو القرآن الكريم أعطانا تسعًا وتسعين صفة من صفات الله أولها اسم الجلالة « الله » ، وهذه الأسماء التسعة والتسعون تسمى أسماء الله الحسنى ، وهى منتشرة خلال كل النص القرآنى كعقد من حبات اللؤلؤ مع الجوهرة الكبرى « الله »

ونقدم هنا قطعة من هذه القلادة :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ .

(سورة الحشر ٢٣ - ٢٤)

أسماء الله الحسنى

فى الآيتين السابقتين نستطيع أن نعد ثلاثة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين المنثورة خلال القرآن الكريم . حتى أشد الأعداء عداوة وحقدًا على الإسلام سيجدون أنفسهم مضطرين للاعتراف بأن القرآن الكريم حتى فى صيغته المترجمة فإن أوصافه وأسلوبه جميلان ومتفردان . وفى الأصل العربى للقرآن فإن الكلمات والتراكيب تتميز بالتفرد والتسامى المطلقين .

---

(١) آية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: الآية ٤] .

كيف يمكن لأمى لا يقرأ يعيش بين شعب أمى غير متعلم أن يستنبط مثل هذه التحفة الأدبية الزاخرة عن الله منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان؟ يجب علينا أن نتذكر أنه لم يكن هناك دائرة معارف أو نصوص حتى ولو كانت غير صحيحة يرجع إليها محمد ﷺ فى صحراء الجزيرة العربية . من أين إذن حصل محمد على هذا الكنز فى علم اللاهوت؟ لقد قال أن كل ذلك جاءه من الله عن طريق الوحى . هل يمكن أن يكون هناك تفسير آخر؟ ستكون تجربة جيدة لنا أن نسأل أكثر أصدقائنا علمًا أن يسرد لنا بعض صفات الله . وأنا أؤكد لك أنه مع كل ما لديهم من علم فإن أساتذة اللاهوت والحاصلين على درجة الدكتوراه فى اللاهوت لن يستطيعوا أن يعدوا لنا حتى اثنتى عشرة صفة .

سوف يقول الخبراء الدنيويون « لقد كان محمد عبقريًا ، والعبقرى يمكنه أن ينجز عشرة أضعاف ما ننجزه نحن » ، ولهؤلاء أقول « نعم يمكن للعبقرى أن ينجز ما ينجزه عشرة منا . لكن النبى ﷺ أعطانا تسعة وتسعين صفة لله ، وما يجعل قائمته إعجازًا روحيًا إلهيًا ، أنه ترك كلمة أب خارج هذه القائمة إنها معجزة .

الأب السماوى

أى كاتب يحاول أن يضع قائمة بشرية بصفات الله فسيكون فى بدايات قائمته كلمة أب ، ومعجزة محمد ﷺ ليست فقط فى الصفات التسعة والتسعين ولكن فى كونه أبعد هذه الصفة (الأب) بالذات عن القرآن . كلمة الأب كصفة من صفات الله كانت تتردد أمامه خلال سنوات نبوته الثلاثة والعشرين التى قضاها فى تبليغ الدعوة ، لكنه نحاها بعيدًا عن مجموع الصفات التى يستخدمها عامة ولمدة تزيد عن العقدين من الزمان وبالتالى من علم اللاهوت الإسلامى ومن حقك أن تسألنى : وماذا عن صلاة المسيحيين؟ نعم ماذا عن هذه الصلاة؟ اقرأها يا سيد ديدات لذلك أنا أقرأها :

« يا أبانا الذى فى السماوات ، تقدست أسماؤك ، ظهرت مملكتك على الأرض كما فى السماوات » .

وأنت تسأل « ما الخطأ فى هذا » وأنا أجيب « لا شيء » إذن لماذا يشعر المسلمون بحساسية من ذلك؟

إننى لست متحيزًا مثل خصومنا ، وإننى أُقر بأن صلاة المسيحيين صلاة جميلة

ولكن فيها قصور . سوف لا يتعلم ابنى أبدًا اسم الله من خلال هذه الصلاة .. ما اسمه؟ فى كل الكتب السبعة والعشرين للعهد الجديد لم يذكر فيها اسم الله ولو مرة واحدة . الأب يذكر هنا كبديل وهذا ليس اسمه . كصفة من الصفات بمعنى الرب أو الإله أو الخالق فليس هناك اعتراض على ذلك . كذلك الأب المحبوب فى السماء ، وأبونا السماوى ، طالما كان هناك احتياط فى فهم المعنى . لكن المسلمين يعترضون على المعنى الجديد الإضافى لكلمة الأب .

الابن الوحيد المولود

فى علم اللاهوت المسيحى . هذه الكلمة البسيطة البريئة اكتسبت معنى جديدًا . فتبعًا للديانة المسيحية كلمة الأب تعنى الذى أنجب ابنه يسوع . هم يقولون فى كتاب الكاتيشزم - وهو كتاب يشتمل على خلاصة التعاليم المسيحية على صورة سؤال وجواب - « عيسى هو الإله الحقيقى من الإله الحقيقى ، مولود من الأب مولود وليس مخلوق » .

تبعًا للإنجيل فإن الله له أبناء كثيرون . على سبيل المثال آدم ، إسرائيل ، إبراهيم ، داود ، سليمان إلخ ولكن المسيحيين يقولون أن كل هؤلاء أبناء على سبيل المجاز . الله القدير كخالق ومعز هو الأب المجازى لكل مخلوقاته ، كل إنسان وحيوان . لكن عيسى (عليه السلام) فى نظر المسيحيين ليس مثل هؤلاء . هو مولود وليس مخلوق . وهذا تبعًا للإسلام أبغض ما يقال فى حق الله ، أن ننسب إليه طبيعة حيوانية هى أدنى الوظائف الحيوانية .

تغيير المعانى

فى البداية كانت كلمة الأب المنسوبة لله لا تحمل أى كفر أو تحريف أو تداعى للمعانى المرتبطة ذهنيًا . ولكن الكلمات تتغير معانيها المقصودة مع الزمن . وسأضرب مثالًا بكلمتين وهما كلمتا Comrade (وتعنى رفيق) وكلمة Gay (وتعنى مبتهج) فكلمة Comrade فى أصلها كلمة جميلة وبريئة وهى تعنى صديق أو رفيق أو زميل . وهى مشتقة من الكلمة الفرنسية القديمة Comrade وهى تعنى المشارك فى نفس الحجر أو الجندى المشارك فى نفس الدفعة . ولكن اليوم تستخدم نفس الكلمة فى العرف الأمريكى للتعبير عن شخص عضو فى الحزب الماركسى اللينينى ، أو عن شخص

راديكالى (متطرف) يصور على أنه هدام أو ثورى يجب التخلص منه لأنه وباء مؤذ وكائن طفيلى . لو أن أى صديق أحمق دعاك بأنك Comrade (صديق أو رفيق أو زميل) فى الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يمكن أن يفقدك وظيفتك بل ربما حياتك .

وكلمة Gay بمعنى مرح أو مبتهج أو سعيد . ما العيب فى هذه الكلمة؟ لا شيء على الإطلاق . لقد تعلمت هذه الكلمة فى بداية التحاقى بالمدرسة على أنها تعنى المبتهج الخالى من الهموم المنتشى بالسعادة . وتعلمت أن أنشد أغنية تقول « السادة السعداء والسيدات السعيدات يبدءون يومهم بتسلق الجبال » .

لقد نسيت وزن القصيدة ولكنى أفهم المراد من Gay هنا بأنها تعنى السعادة والمرح . لم أكن أتصور أبدًا أن يأتى اليوم الذى تأخذ فيه هذه الكلمة - التى كانوا يعلمونها لأطفال المدارس ليغنوها - معنى فاحشًا بذيئًا ليكون معناها لوطى شاذ ثنائى الجنس لأول وهلة عند ذكرها . وعلى ذلك يكون معنى السيدات السعيدات بمعنى السيدات الشاذات . بطريقة مشابهة تحولت كلمة الأب المحترمة الموقرة لتصبح محرفة بالاعتقاد (بالابن المولود للأب) .

رب أم أب

الله سبحانه وتعالى من خلال محمد ﷺ حفظ الإسلام والمسلمين باستبعاد هذه الكلمة من المصطلحات الدينية الإسلامية بعد أن أخذت معنى مغايرًا . إنها حقيقة إعجازية أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل تسعة وتسعين صفة لله مشتملة على كلمة رب والتى تعنى السيد والمعز والمساند .. إلأخ .

وكلمة الرب مذكورة فى القرآن عشرات المرات . ولكن الكلمة الأسهل نطقًا أب لم تستخدم ولا مرة واحدة . وهذا حفظًا للمسلمين من التجديف بمثل الابن الوحيد المولود) لمن نقدم التقدير لهذه الحماية . لله أو لمحمد ﷺ؟ رسول الله ﷺ لا يدعى هذا الفضل فهو دائمًا ينسب الفضل لله ويقول إنما هو مبلغ لما يتلقاه بالوحى فالكلمات التى تسمعها ليست كلماته ولكنها كلمات الله التى أوحى بها إليه .

❁❁❁

الفصل السادس

تسوية الخلاف

القرآن الكريم معجزة كبيرة . هو كتاب معجزات يمكن أن يعرض من جوانب لا تحصى . ولقد حاولت أن أشارك فى بعض هذه الجوانب التى بدت لى كرجل غير متخصص والتى بهرتنى ، وليس هناك نهاية لمثل هذه الأبحاث . وأترك هذه المهمة إلى إخوتى الأكثر علمًا والمختصين بالدراسات الإسلامية . وأتمنى أن أعيش لأرى نتيجة جهدهم . دعنى أختتم هذه الدراسة بمثال أخير .

نداء إلى السويد

منذ بضع سنوات شب خلاف فى السويد . الملك سوبرذا فقد مليكته المختارة . وبدأت الكنائس المسيحية فى البلاد تتحدث بالمواربة عن موضوع الفترة التى يمكن أن يقضيها الرجل منتظرًا قبل أن يتزوج مرة أخرى . لم تكن المشكلة خطيرة التناول لأن الملك لديه ثمانى زوجات أخريات ، لذلك تحول الموضوع إلى الفترة التى تنتظرها المرأة بعد موت زوجها ، وبينما كانت المجادلة تحتدم بشدة فى المملكة الصغيرة أمر الملك الطيب مجمع الكنائس فى كل البلاد لبحث هذه المشكلة .

السيد موسى بورمان وهو أخ سويدى اعتنق الإسلام طلب الإذن من الملك أن يدخل الإسلام أيضًا طرفًا فى المناظرة وبموافقة الملك تشرفت بأن أكون أنا أيضًا طرفًا فى الحوار .

وفى يوم من أيام الأحد صباحًا . وفى أحد صالات الاجتماع الملكية وبحضور مندوبين عن كل الطوائف المسيحية اجتمعوا للوصول إلى اتفاق جماعى لموضوع فترة الترمل .

وقام المتحدث إثر المتحدث يدلى بما عنده . وكان المستمعون يصفقون بحماس فى نهاية كل خطبة . ثم يأتى المتحدث التالى ويرفض نهائيًا ما قاله سلفه مستخدمًا تعبير Paalish والتى معناها ثريد يقصد بذلك أن هذا الكلام تافهًا لا وزن له ثم يقوم بأداء دوره الذى ينتهى بعاصفة من التصفيق، واستمر هذا العرض من الصباح إلى المساء وحوالى الساعة الخامسة بعد الظهر جاء دورى . وقمت وأنا أمسك بنسخة من القرآن فى يدى وبدأت أقول « من الصباح إلى المساء ونحن نلتمس الإجابة عن المدة التى تنتظرها الزوجة بعد وفاة زوجها لكى تتزوج بآخر ولقد سمعنا ما قاله العهد القديم (التوراة) وما قاله العهد الجديد (الإنجيل) ثم ما قاله العهد الجديد وما قاله العهد القديم ولكننا لم نحصل على الإجابة بعد لأن حل المشكلة موجود فى العهد الأخير .

العهد الأخير

وكان ذكر العهد الأخير مفاجأة أذهلت القساوسة والمبشرين، لم يسمعوا من قبل تعبير العهد الأخير طوال حياتهم أبدًا، وقلت « الاستشهاد بالقديم والجديد، والجديد والقديم لن يساعد أبدًا لأن الإجابة موجودة فى العهد الخير من الله للبشرية » ولوحت بالكتاب من فوق رأسى وقرأت، بالإنجليزية الآية ٢٣٤ من سورة البقرة .

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤]

وسألت المستمعين « أربعة أشهر وعشرة أيام . هل تحتاجون إلى ترجمة من الإنجليزية إلى لغتكم المحلية؟ فأجابوا جميعًا بصوت واحد « لا » وبدأت أشرح الحكمة من وراء مدة الأربعة أشهر وعشرة أيام فى الآيات السابقة فى العهد الأخير والنهائى من الله . لقد أخبرنا عن المدة التى تنتظرها المرأة بعد الطلاق

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨]

هذا لكى نرى إذا كان هذا الزواج الذى انتهى بالطلاق قد أثمر جنينًا فى بطن المطلقة . بينما فى حالة الترمل توجد فترة إضافية مدتها شهر وعشرة أيام . أمر منطقى ولكن ما المعجزة فى هذا . أى رجل عاقل يمكن أن يخمن فترة ثلاث شهور بعد الطلاق

وأربعة شهور وعشرة أيام بعد وفاة الزوج . ومحمد ﷺ يمكنه أن يخمن كأى شخص آخر . هذا صحيح ولكن الدليل على أن كل تعاليمه الصحيحة والمفيدة ليست من عنده ولكن من عند الله هى الآيات التى تلت فترة أربعة شهور وعشرة أيام حيث يقول الله تعالى :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥]

حكمة الله :

﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥] أى لا تعقدوا الزواج حتى تنتهى فترة الانتظار هذه . هذه ليست مهارة محمد ﷺ . هذه هى حكمة الله الحكيم . فالله خالق المخلوقات يعرف مواطن الضعف فيها . فرغبة الرجل وتوقه إلى المرأة قد تدفعه إلى استغلال الأرملة المضطربة المسكينة المكلومة لفقد زوجها . فقد فقدت لتوها عمودها الفقرى ودعامتها ومورد رزقها . وقد يكون عندها أفواه صغيرة تريد أن تطعمها . وربما تكون قد فقدت جمالها وتدهورت قيمتها فى سوق الزواج . وفى هذه الفترة تريد أن تتعلق بأى قشة للنجاة . وفى حالتها غير المستقرة والمنفعلة عاطفيًا يمكن أن يتقدم لطلب الزواج مستغل نهاز للفرص . وفى تسرعها وقلقها قد توافق . ولكن الخالق العالم بالنفوس (وليس محمد ﷺ) يعمل حسابًا لكل الشراك التى قد يضعها الرجال . لذلك فهو يقول ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥] .

وعدة الطلاق ثلاثة شهور ولكنه هنا يضيف أربعين يومًا حتى تستعيد الأرملة توازنها ورباطة جأشها وفى نفس الوقت إذا جاءها عرض للزواج يكون لديها الفسحة لمناقشة الأمر على روية مع أصدقائها وأقاربها . وفى هذه الحالة تستطيع أن تتجنب الأخطار المتسترة واتخاذ القرارات المتسرعة والتى تؤدى إلى تطورات وعواقب مؤلمة .

هل فكر محمد وعمل حسابًا لكل هذه الأخطار المتشعبة منذ أربعة عشر قرنًا من تلقاء نفسه هراء . إنك تعطيه قيمة هائلة فوق طبيعة البشر . لقد أمر أن يكرر مراراً وتكرارًا أن هذه الحكم القرآنية ليست من صنعه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ (سورة النجم : ٤ – ٥) .. إنها من عند الله الخالق الرحيم وإذا كنت لا تزال تشك فى هذه الأدلة . إذن فواجه التحدى . .. لقد أوحى إليه .

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]

لقد تحدى العالم أن يأتوا بكتاب مثل القرآن الكريم ولم يأت أحد بمثله خلال أربعة عشر قرنًا من الزمان ولقد حاول البعض تقليد القرآن الكريم فاستعاروا الجمل والكلمات وحاولوا تقليد الأسلوب حتى بسم الله الرحمن الرحيم أخذوها محاولين أن يخرجوا كتابًا مقدسًا على طريقة القرآن ولكن هيهات .

إن هذه المحاولة برهان آخر على أن القرآن لا يمكن مضاهاته . حاول ما شئت لكن التحدى يظل قائمًا .

إن القرآن العظيم هو كلمة الله الموحاة إلى محمد ﷺ وهو معجزة المعجزات .

وكما قال القس بوسوبرت اسمث : « وأى معجزة هو حقًا » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحمد ديدات

❁❁❁

أحمد ديدات وك.س. رامكرشنة راو

محمد صلى الله عليه وسلم
المثال الأسمى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . والصلاة والسلام على هذا النبى محمد وعلى آله وأزواجه وأتباعه ومن والاه إلى يوم الدين .

أما بعد .

فإن هذا الكتاب « محمد ﷺ المثال الأسمى » يعرض كما هو ظاهر من عنوانه لجوانب من حياة محمد رسول الله ﷺ ورسالته وآثاره على العالمين . وقد قسمته إلى قسمين :

الأول : بقلم الداعية الإسلامى المجاهد أحمد ديدات ، وسميته « محمد ﷺ وما يسطرون » .

والثانى : كتاب من تأليف ك . س . رامكرشنة راو أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور فى الهند . وقد ترجمته عن الطبعة الإنجليزية الصادرة عن المركز العالمى للدعوة الإسلامية بدربان فى جمهورية جنوب إفريقية الذى يرأسه الداعية الإسلامى المجاهد أحمد ديدات .

وعنوان الكتاب بالإنجليزية كما يلى : (Mohammed the Propher of Islam) وترجمته : « محمد نبى الإسلام » .

وحين أقدم هذا الكتاب لقراء العربية لا أهدف أساسًا إلى تقديم وجهة نظر الشرق فى محمد ﷺ ، فى مقابل مؤلفات أخرى كثيرة تناولت وجهة نظر الغرب فيه ، باعتباره رجلًا أثر فى العالم تأثيرًا بارزًا وباقيًا ، فمحمد ﷺ بحياته وآثاره فوق شهادة جميع المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الذين عرضوا له بالترجمة ، وإنما قصدت أن أقدم مُؤَلَّفًا يظهر عالمية محمد الرسول ﷺ ، ويبرهن على أن بعثته ورسالته كانت وما تزال رحمة تشمل العالم شرقه وغربه - بكل تناقضاته وصراعاته وتطلعاته وآماله ..

كما أنه يقدم وجهة نظر الأستاذ ك . س . رامكرشنة راو وهو رجل هندوسى شرقى

مثقف معاصر ذو مكانة علمية وأدبية معتبرة ، يمثل مجتمعًا شرقيًا يحمل تقاليد وقيمًا وتراثًا فكريًا وثقافيًا وحضاريًا مختلفًا عن تلك التى يحملها المجتمع الغربى .

إن قيمة هذا الكتاب ترجع لعرض مؤلفه للرسول والرسالة والمسلمين عرضًا علميًا وتاريخيًا حاول فيه أن يكون محايدًا .. فيبين فضائل نبى الإسلام وفضل الإسلام على العالم . ويرد على بعض الشبهات والافتراءات التى أثارها حوله أعداؤه من المستشرقين وغيرهم من الحاقدين ..

وأقرر ابتداءً عدم اتفاقى مع الأستاذ رامكرشنة راو فى بعض آرائه الشخصية وغيرها من الأفكار التى أوردها فى كتابه نقلًا عن غيره مما استلزم تعقب هذه الأفكار وتصحيحها بقدر علمى واستطاعتى وذلك بواسطة التعليق بالهامش . ولكن هذا لا يقلل من أهمية الكتاب وقيمته فهو بصفة عامة محاولة جادة نحو فهم علمى وتاريخى محايد للرسول والرسالة والمسلمين .

والكتاب على صغره يعرض لكثير من الجوانب الهامة فى حياة الرسول ﷺ والرسالة بأسلوب سهل يجمع بين وضوح الفكرة ودقة العبارة ..

إنه بمثابة رحلة فى أعماق التاريخ ومحاولة للكشف عن جوانب شخصية الرسول العظيمة واستخلاص العبرة من حياة محمد النبى ﷺ والمثال الأسمى للعالمين .

وقد اختار الداعية المجاهد الأستاذ أحمد ديدات هذا البحث الجيد وقام بطبعه ونشره باللغة الإنجليزية ليصدر عن المركز العالمى لنشر الإسلام بجنوب إفريقية والذى يشرف عليه ديدات .

وفى نهاية الكتاب قدمنا آخر محاضرة ألقاها الأستاذ أحمد ديدات فى مكة المكرمة تحت عنوان « الكتاب المقدس يؤكد نزول الوحى على النبى ﷺ » .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

محمد مختار

٥ رجب سنة ١٤١٢ هجرية
الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٩٢ ب . م .

❁❁❁

محمد ﷺ وما يسطرون

المحمديون؟

إن الغربى خبير فى اختراع الأسماء . وعندما اخترع المصابيح الكهربائية المتوهجة الضياء أطلق عليها « مصابيح مازدا » . و « مازدا » هو « إله النور » عند « الزرادشتيين »[١] . وفى جنوب إفريقية يحقق السكان ذوو الأصل الأوربى نجاحًا فائقًا من بيع سمن صناعى نباتى اسمه « راما »[٢] . و « راما » هو « الإله البشرى » عند عدد كبير من السكان هنا[٣] . إن الرجل الأبيض يصف نفسه بأنه مسيحى لأنه يعبد المسيح . وهو يسمى من يعبد « بوذا » « بالبوذى » . وبنفس المنطق فإنه يسمى المسلم « محمدى » لافتراضه أنه « أى المسلم » يعبد محمدًا ﷺ . ولكن حقيقة الأمر أنه لا يوجد أى امرىء من بين الألف مليون مسلم فى العالم يفعل ذلك . ودعنا نفترض أنه ثمة مجنون يعبد محمدًا ﷺ والذى يمكن أن يسمى محمديًا بسبب تعصبه الأعمى . والآن إذا ذهب هذا « المحمدى »

---

(١) (الزرادشتيون) : جمع الزرادشتى : وهو أحد أتباع « زرادشت » . و « الزرادشتية » : ديانة فارسية قديمة أسسها « زرادشت » فى القرن السادس قبل الميلاد وهى منشورة فى الـ « زند - افستا » (Zend - Avesta) (أى شرح التعاليم) وهو كتاب الزرادشتين المقدس . وهى ديانة تقول بوجود إلهين : واحد يمثل الخير والنور وهو الإله أو الموجود الأعلى « أورمزد » (Ormuzdor. Or.. Ormazd) وأصل التسمية فى اللغة الفارسية « أهورا - مازدة » (أى الإله أو الرب الحى الخالق اعظيم أو الإله الحكيم) . والآخر يمثل الشر والظلمة وهو « أهريمان » (أى الروح العدائية) وهو عدو « أهورا - مازدة » . وأن الصراع بينهما لا ينقطع . مجموع بتصرف من قاموس المورد (١٩٩٠) وقاموس ويستر الجديد للطلبة (١٩٧٧) وقاموس تشيمبرز للقرن العشرين (١٩٧٣) . المترجم

(٢) (راما) : هو إله أو بطل مؤله عند الهندوس المتأخرين الذين يعبدونه باعتباره تجسيد للإله « فيشنو » : الإله الثانى فى الثالوث الهندوسى . قاموس ويستر الجديد للطلبة (١٩٧٧) طبعة الولايات المتحدة الأمريكية . وقاموس تشميبرز للقرن العشرين (١٩٧٣) طبعة الهند . (المترجم)

(٣) يعنى الهندوس فى جمهورية جنوب إفريقية . (المترجم)

المفترض بكل تحمس دفعه للارتحال لكى يبشر بمحمديته « عبادة محمد ﷺ» بين السكان البدائيين فى جنوب أستراليا ويجادل هذا الشعب المتخلف المسكين ويطالبه بقبول محمد ﷺ كإله لهم ، فحينئذ يمكنك أن تتخيل جيدًا هذا الإنسان الفطرى وهو يسأل صاحبنا المضلل : « هل كان محمد « أتناتو »[(١)]؟

سيجيب كل أحد حتى صاحبنا المجنون : « لا! » .

وماذا عن أبطال وبطلات العالم الذين يعبدهم اليوم ملايين من الرجال والنساء المتحضرين فى زمننا هذا؟ فلتقدم إلى هذا الرجل البدائى جميع من رشحتهم للألوهية واحدًا تلو الآخر - ولماذا لا تحاول تقديم « آلهتك البشريين » سواء الأصلى منهم أو المتوهم ، سواء الذكور منهم أو الإناث ، بواسطة « الأتناتو »! (أى مفهومه السامى عن الإله) . أليس ذلك البدائى أسمى فى مفهومه عن الإله ، عن الملايين من البشر فى أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقية؟[(٢)] .

الكراهية المتعهَّدَة :

لا يمكن أن نلوم المسيحيين على نزعتهم التشككية . فقد بُرمجوا كذلك منذ قرون . لقد وُجِّهوا لأن يظنوا بهذا الرجل : محمد ﷺ ودينه : الإسلام ظن السوء .

وما أنسب ما قاله « توماس كارلايل » عن إخوته المسيحيين منذ أكثر من مائة وخمسين سنة مضت :

« إن الأكاذيب التى أثارتها الحماسة الصادرة عن حسن نية حول هذا الرجل (أى محمد ﷺ لا تشين إلا أنفسنا » .

---

(١) « أتناتو » هو الاسم الذى يطلقه سكان جنوب أستراليا الأصليين القدماء على إلههم ومعبودهم . ومفهومهم عن الإله أنه منزه تمامًا عن الحاجة ، فهو قائم بذاته ولا يعتمد على أحد غيره . ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ، معنى السؤال هنا : « هل كان محمد كذلك؟ » راجع من كتاب : « والله فى اليهودية والمسيحية والإسلام » للأستاذ أحمد ديدات وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

(٢) راجع من كتاب : « الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام » للأستاذ أحمد ديدات وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

ونحن المسلمين مسئولون إلى حد ما عن هذا الجهل المذهل للمليار ومائتى مليون مسيحى فى العالم . إننا لم نفعل أى شيء هام لكى نزيل نسيج العنكبوت (المضروب علينا)[١] .

مصدر رسالته ﷺ :

كانت هذه هى القصة[٢] . ولكن كيف علم بها محمد ﷺ؟

لقد كان أميًا فلم يعرف القراءة ولا الكتابة . إن الله القدير جعله يجيب عن هذا السؤال فى الآية المذكورة آنفًا بأن يقول إن ذلك كله كان « بواسطة الوحى الإلهى »[٣] .

سيعترض الذى يكثر المجادلة قائلًا : « لا! هذا اختلاق محمد نفسه . لقد نقل وحيه عن اليهود والنصارى ، لقد انتحله . لقد زوَّره » .

وعلى الرغم من تمام علمنا وإيماننا الكامل بأن القرآن الكريم هو كلام الله الحقيقى ، فإننا مع ذلك سنفترض جدلًا للحظة صدق أعداء محمد ﷺ فيما زعموا من أنه ألف القرآن الكريم بنفسه . والآن يمكننا أن نتوقع بعض الاستجابة من غير المؤمن .

الآن اسأل المجادل : « هل تشك فى أن محمدًا ﷺ كان عربيًا؟ » لن يتردد فى التسليم بهذا الأمر إلا المعاند الأحمق . وفى هذه الحالة لا جدوى من مواصلة المناقشة . عندئذ اقطع الحديث وأغلق الكتاب!

إنما نواصل المناقشة مع رجل ذى عقل رشيد . اسأله : هل تشك فى أن هذا النبى العربى إنما كان يخاطب فى أول الأمر عربًا أيضًا؟ إنه لم يكن يخاطب مسلمى الهند ولا مسلمى الصين ولا مسلمى نيجيريا بل كان يخاطب قومه من العرب .

وسواء وافقوه أو لم يوافقوه ، فقد أخبرهم فى أسمى الأساليب وبكلمات كادت

---

(١) راجع من كتاب « المسيح فى الإسلام » تأليف أحمد ديدات . وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى بالقاهرة ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

(٢) يقصد قصة ولادة مريم (عليها السلام) وكفالتها المذكورة فى (آل عمران) : ٤٢ - ٤٤) .

(٣) وذلك فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ٤٤] .

تحترق فى قلوب وأفئدة مستمعيه : أن مريم أم عيسى (عليهما السلام) اليهودية[١] اصطفاها الله على نساء العالمين .

فلم تكن التى اصطفيت أمه (أى أم محمد ﷺ أو زوجته ولا ابنته ولا أى امرأة عربية أخرى ، بل كانت امرأة يهودية!

فهل يمكن لأحد أن يعلل ويفسر هذا الأمر؟ فبالنسبة لكل أحد تأتى أمه وزوجته وابنته قبل نساء العالمين فى المنزلة .

فما الذى يدعو نبى الإسلام أن يكرم امرأة من المعارضين أو المخالفين؟! وبخاصة من اليهود؟! وهى تنتمى إلى جنس طالما ازدرى قومه (العرب) لثلاثة آلاف سنة ، تمامًا كما يزدرون اليوم إخوتهم العرب .

سارة وهاجر :

يستمد اليهود عنصريتهم الحاقدة من « كتابهم المقدس »[٢] ، حيث يقال لهم أن

---

(١) إن مريم (عليها السلام) لم تكن يهودية الديانة بل كانت تعبد إله آبائها إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وزكريا إلهًا واحدًا مخلصة له الدين . فهى حنيفية مسلمة وما كانت من المشركين . أما من ناحية الجنسية فهى إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل وهو نبى الله يعقوب ﷺ . أما القول بأنها كانت يهودية (Jew) نسبة إلى عقيدة وديانة يهود زمانها أو القول بأنها نصرانية فهو قول مجانب للصواب ومناف للحقيقة . أما إذا كان الأستاذ أحمد ديدات يقصد هنا أنها يهودية (Judean) نسبة إلى موطنها المسمى بـ « اليهودية » أو يهوذا أو جوديا (Judea) وأغلب الظن أنه قصد ذلك - فلا بأس وكان من الأفضل لو قال إنها امرأة « إسرائيلية » بدلًا من القول بأنها « يهودية » دفعًا للشبهة وتحريًا للدقة . والله أعلم . (المترجم)

(٢) جاء فى الكتاب المقدس ما يلى :

« فقال أبرام (وهو الاسم القديم لإبراهيم) لساراى (وهو الاسم القديم لسارة) هو ذا جاريتك فى يدك . افعلى بها ما يحسن فى عينيك . فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها » . (التكوين ١٦: ٦)

« وقال (ملاك الرب) يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين . فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى ساراى » . « التكوين ١٦: ٨)

« وإنه (أى إسماعيل) يكون إنسانًا وحشيًا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن » . (التكوين ١٦: ١٢) .

« وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد ابنًا وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدى معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا . اثنا عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت من السنة الآتية » . (التكوين ١٧: ١٨ - ٢١) .

أباهم إبراهيم كان له زوجتان هما : سارة وهاجر[1] . وهم يقولون أنهم أبناء إبراهيم من زوجته « الشرعية » سارة . أما إخوتهم العرب فهم من سلالة « الجارية » هاجر ، ولذلك فالعرب هم نسل أدنى منزلة وأقل شأنًا فى نظرهم .

فهل يتفضل أى أحد ويشرح لنا لماذا يختار محمد ﷺ – « إذا كان هو مؤلف القرآن » – هذه المرأة اليهودية لمثل هذا المقام الرفيع مخالفًا بذلك كل قياس؟

والإجابة بسيطة وهى : أنه لم يكن لديه خيار : لم يكن لديه الحق فى التعبير عن هواه الخاص . ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النّجم: الآية ٤] .

سورة مريم :

هناك سورة فى القرآن الكريم تسمى سورة مريم وقد سميت بهذا الاسم تكريمًا لمريم أم عيسى (عليهما السلام) . ولم تَحْظَ مريم (عليها السلام) بمثل هذا التكريم (حتى) فى الكتاب المقدس . ومن بين (٦٦) ستة وستين كتابًا للبروتستانت و (٧٣) ثلاثة وسبعين كتابًا للرومان الكاثوليك لا يوجد كتاب واحد يسمى باسم مريم أو ابنها

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم (أى إسماعيل) يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق . فقبح الكلام جدًا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه (إسماعيل ») . (التكوين ٢١: ٩ أ١١) .

« وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم . فقال هأنذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » . (التكوين ٢٢: ١، ٢) .

« فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته ، وقال أحجب وجهى عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم . إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم . هم أغارونى بما ليس إلهًا . أغاظونى بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعبًا (يعنى العرب) . بأمة غبية أغيظهم » . (التثنية ٣٢: ١٩ – ٢١) . (المترجم) .

(١) كانت هاجر أميرة مصرية ولم تكن « جارية » أو أمة ، إن المؤلف سيثبت بطريقة مقنعة وحاسمة من خلال كل وسيلة منطقية أنه وفقًا لعلم تحسين النسل ووفقًا للديانة اليهودية ووفقًا للفطرة السليمة ، فإن ذرية هاجر أرفع مقامًا ومنزلة من ذرية سارة وذلك فى كتاب يصدر فى المستقبل بعنوان : « ما لإسرائيل وما عليها » . (المؤلف)

ملحوظة : صدر هذا الكتاب بعنوان : « والعرب وإسرائيل صراع أم مصالحة؟ » . وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه وصدر بالعنوان الأخير وهو من نشر مكتبة النور بالقاهرة . لمزيد من التفصيل راجع (ص ٥٠ – ٥٣) . والتعليق رقم ١٦ و ٢١، ص ١٠٢ و ١٠٣ على الترتيب بالكتاب المذكور . (المترجم)

(عليهما السلام). وإنك لتجد كتبًا تسمى باسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس بالإضافة لضعف هذا العدد من الكتب ذات الأسماء الغامضة، ولكن ليس هناك كتاب واحد من بينها ينسب إلى عيسى أو مريم (عليهما السلام)!

ولو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن الكريم، ما كان ليعجز عن أن يضمن فيه بجانب اسم مريم أم عيسى (عليهما السلام)، اسم أمه «آمنة» أو زوجته العزيزة «خديجة» أو ابنته الحبيبة «فاطمة» «رضى الله عنهن أجمعين».

ولكن كلا! وحاشاه أن يفعل! إن هذا لا يمكن أبدًا أن يكون. فالقرآن الكريم ليس من صنع محمد ﷺ[1].

دفاع عن عيسى (عليه السلام):

إن القرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد ﷺ ليجعل هذا الرسول يبرئ عيسى (عليه السلام) من تهم وافتراءات أعدائه الكاذبة[2].

---

(١) راجع من كتاب «المسيح فى الإسلام» تأليف أحمد ديدات وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة «مكتبة ديدات». (المترجم)

(٢) من هم أعداء المسيح- عليه السلام- الحقيقيون؟ إنهم اليهود الذين عرضوا له فى شرعية ولادته ورسالته ورموه بالكفر والسحر والشعوذة وقالوا فيه وفى أمه ما قالوا وتآمروا عليه وحاولوا قتله عدة مرات. وكذلك أتباعه المزعومون الذين غلّوا فيه ورفعوه فوق منزلته الحقيقية وقالوا إنه «ابن الله» المولود وليس مخلوقًا لله وعبدوه وأمه وأعطوه مجدًا لم يطلبه لنفسه. فكان صادقًا معهم وقال لهم أنه لا يطلب مجدًا لنفسه ولكن مجد ربه وبين لهم إنه بذلك يكون قد برأ ذمته منهم وأظهر لهم أنه «صادق وليس فيه ظلم». إن مجد المسيح الحقيقى هو فى تمام عبوديته لله وهو ما أظهره بوضوح أمام تلاميذه بسجوده وتضرعه لله فى الصلاة وأقرب ما يكون «العبد» من الله وهو ساجد وبما فعل من أفعال التواضع بغسله أرجل التلاميذ كما جاء فى بعض الأناجيل حتى لا يدخل قلبه ذرة كبر. فالكبرياء والعظمة لله وحده. لأنه كان يعلم أنه لن يدخل الجنة من كان فى قلبه ذرة كبر. ولأنه كان يقول «ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده» (متى ١٠: ٢٤).

وقد تنبأ المسيح وبشر الحواريين برسول يأتى من بعده اسمه «أحمد». وقد ذكر لهم بعض صفاته وأفعاله كما هو مبين فى الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا.

فوصفه بأنه «المعزى» وقد عزى محمد ﷺ النصارى بأنه أخبرهم بحقيقة المسيح وأن اليهود ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الله رفعه إليه وطهره من الذين كفروا. كما وصف المسيح محمدًا ﷺ قائلًا: «ذاك يمجدنى». وقد مجد محمد ﷺ المسيح (عليه السلام) بأن أظهر للجميع عبوديته وبين منزلته الحقيقية وأعلن أن المسيح سيقف بين يدى الله ليسأله عن عبادة أتباعه المزعومين واتخاذهم إياه وأمه إلهين من دون الله. فأقام الله الحجة على

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: الآية ٣٢] .

محمد بشارة المسيح :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: الآية ٦]

إنه مما يحسب لعيسى ابن مريم عليه السلام ممارسته لما كان يعظ به ويدعو إليه . فهو لم يدع أبدًا أمميًا[1] واحدًا طوال حياته إلى دين الله . واحتاط لأن تكون حفنة مختاريه (حوارييه الاثنى عشر) منتمية إلى بنى جلدته .

كما أنه لم يأت بدين مبتدع وما جاء إلا مؤكدًا للتعاليم التى بين يديه . وقد قال :

« لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا فى ملكوت السموات » . (متى ٥: ١٧ - ١٩) .

وقارن قوله تبارك وتعالى : ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [الصَّف: الآية ٦] بما جاء فى هذه الفقرات الثلاثة من الإصحاح الخامس من إنجيل متى المذكورة أعلاه ، وسوف تلاحظ أن الأسلوب القرآنى لا يسرف فى استخدام الكلمات . إنه يبلغ بإيجاز رسالة الله بوضوح ودقة .

النصارى بمحمد ﷺ وبالقرآن الذى أخبر بوقوع هذا المشهد من مشاهد القيامة وبما يكون من جواب عيسى عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ . (المائدة : ١١٦ - ١١٨) (المترجم)

راجع من كتاب : « المسيح فى الإسلام » تأليف أحمد ديدات وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

(١) (الأممى) : (غير اليهودى)

البشارة أو النبأ السار :

إننى لا أستحى ولا داعى للحياء لنقلى تعليق عبد الله يوسف على ، على كلمة « أحمد » فى ترجمته الإنجليزية ، نقلًا حرفيًا . ولكن قبل أن أفعل ذلك دعنى أعبر على نحو ملائم عن احترامى وإعجابى « بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف » بالمدينة المنورة الذى يقوم بطباعة الملايين من النسخ المترجمة لمعانى القرآن الكريم فى عديد من اللغات المختلفة .

إن السبب الذى دعاهم إلى استخدام ترجمة عبد الله يوسف على كأساس لطبعتهم تلخصه هذه الكلمات :

« جازف عدد من الأفراد فى الماضى بترجمة القرآن ولكن أعمالهم كانت بصفة عامة محاولات شخصية متأثرة لدرجة كبيرة بالأهواء والأغراض والأحكام المسبقة .

ولقد أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المرسوم الملكى (رقم ١٩٨٨٨ بتاريخ ١٤٠٠/٨/١٦هـ) حينما كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ، من أجل إصدار ترجمة معتمدة خالية من الأهواء والاتجاهات الشخصية ..

وبناء عليه فقد اختيرت ترجمة المرحوم الأستاذ عبد الله يوسف على لخصائصها الممتازة المتمثلة فى أسلوبها الرائع الرفيع واختيار الكلمات القريبة لمعانى النص الأصلية والتعليقات العلمية والتفسيرات المصاحبة » .

(رئاسة البحوث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد) .

إن التعليق المعطى أدناه هو أحد تعليقات ثلاثة فى شرح النبوءة التى وردت على لسان عيسى (عليه السلام) فيما يتعلق بمجئ محمد رسول الله ﷺ ، وذلك من بين أكثر من ستة آلاف تعليق توضيحى متسم بعمق الفكر فى ترجمة عبد الله يوسف على .

من هو « المعزى »؟

« أحمد » أو « محمد » المثنى عليه أو الممدوح أو المحمود (the Praised One) هو تقريبًا ترجمة للكلمة اليونانية « بيريكليتوس » (Periclytos) ؛ وفى إنجيل يوحنا الموجود حاليًا (يوحنا ١٤ : ١٦ ؛ ١٥ : ٢٦ و ١٦ : ٧) تأتى كلمة « كومفورتر » (Comforter) فى النسخة الإنجليزية (والتى تترجم فى التراجم العربية بـ « المعزى »)

عوضًا عن الكلمة اليونانية « باراكليتوس » (Paracletos) التى تعنى « المحامى » أو « المؤيد » أو « الشفيع » (Advocate) « الذى يُدعى لمساعدة أو معاونة (إنسان) آخر، الصديق أو الولى الودود الحنون » . وهذه الترجمة مفضلة عن ترجمتها بـ « المعزى » . ويؤكد علماؤنا (الحاصلين على درجة الدكتوارة فى الأدب والفلسفة)[١] أن كلمة « باراكليتوس » (Paracletos) تفسير خاص محرف أو قراءة محرفة لكلمة « بيريكليتوس » . (Periclytos) . ومعناها المستوجب للحمد وأنه كان هناك فى القول الأصلى لعيسى نبؤة خاصة بنبينا الكريم « أحمد » بالاسم . وحتى لو قرأناها « باراكليت » (بارقليط أو فارقليط) (Paraclete)، فإنها تشير إلى النبى الكريم (المبعوث) ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] وهو ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] . وانظر أيضًا تعليقنا رقم ٤١٦ على الآية ٨١ من سورة آل عمران[٢] .

محمد ﷺ هو « الباراكليت » :

إنه من الواضح لكل الباحثين عن الحق بإخلاص أن محمدًا ﷺ هو « الباراكليت »[٣] الموعود (The Promised Paraclete) أو المعزى

---

(١) يقول الدكتور أحمد حجازى السقا الحائز على درجة الدكتوراة من كلية أصول الدين جامعة الأزهر فى موضوع « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل » : « المعزى : النائب عن المسيح أو الوكيل . وهى ترجمة كلمة (فارقليط) أو (بارقليط) . وأصل الكلمة « فيرقليط » أو « بيرقليط » . ومعناها « أحمد » ﷺ . والكلمة العبرانية التى نطقها المسيح هى « بيرقليط » وتترجم فى اللغة اليونانية « بيرقليطوس » ولكن النصارى . للأسف - حرفوا نطقها إلى « بارقليط » التى تترجم فى اللغة اليونانية « بارقليطوس » ثم حذفوها من التراجم الحديثة ووضعوا بدلها « المعزى » . . . ولو علمت أن حروف المد من ألف أو ياء أو واو لا وجود لها فى اللغة العبرانية قبل القرن الخامس الميلادى لعلمت أن شكل كلمة بيرقليط هو نفس شكل بارقليط » ا. هـ . مختصر من تعليق د . أحمد حجازى السقا على كتاب « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » لابن قيم الجوزية .
ص ٩٨ بالهامش . نشر المكتبة القيمة . الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ) المترجم)

(٢) راجع الفصل الثانى من كتاب : « محمد بشارة المسيح » . تأليف أحمد ديدات وقد قمنا بترجمته والتعليق عليه . (المترجم)

(٣) اختلفت التراجم الإنجليزية للكتاب المقدس فى ترجمة كلمة « الباراكليت » . وقد ذكر الأستاذ أحمد ديدات هنا أربعة منها . وقد بتحقيق هذه المعلومات فى تعليقنا بهامش مقدمة كتاب : : « من المعمدانية إلى الإسلام » =

(Comforter) ، المسمى أيضًا على سبيل التخيير بالمساعد أو المعين (Helper) والمحامى أو المؤيد أو الشفيع (Advocate) والناصح (الأمين) أو المشير (Conusellor) .. إلخ المذكور فى نبؤات عيسى (ﷺ) فى إنجيل يوحنا .

وهناك الملايين من الرجال والنساء النصارى الذين يتشوقون ويتوقون إلى هذه الرسالة البسيطة المباشرة الصريحة المستقيمة[١] .

« فلما جاءهم بالبينات[٢] قالوا هذا سحر مبين » :

هكذا تنتهى الآية السادسة من سورة الصف .

« إن نبى الإسلام سبق وتنبأ به الأنبياء من قبل بأساليب كثيرة . وعندما جاء أراهم العديد من الآيات البينات ، وما كانت حياته كلها من أولها إلى آخرها إلا معجزة كبرى .

فلقد قاتل وانتصر عكس كل التوقعات . وعلم الناس أسمى درجات الحكمة بدون أن ينال من البشر أدنى قسط من التعليم .

ولقد ألان القلوب القاسية وقوى القلوب الرقيقة المحتاجة إلى المساعدة والتأييد[٣] .

إن الرجال ذوى البصيرة والفطنة أدركوا فى كل أقواله وأفعاله قدرة الله وتوفيقه » .

ومع هذا فقد وصفها الشكاكون بالشعوذة والتحايل والسحر!

يقول توماس كارلايل فى (ص ٨٨) من كتابه « الأبطال وعبادة الأبطال » :

= قصة إسلام المهتدية جهادة جاريز ومعه « الدعوة الإسلامية فى مواجهة التنصير » بقلم أحمد ديدات . وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

(١) راجع الفصل الثالث من كتاب : « محمد بشارة المسيح » تأليف أحمد ديدات وقد قمت بترجمته والتعليق عليه . (المترجم)

(٢) قال خالد الزعفرانى فى مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبرى : « (فلما جاءهم بالبينات) محمد ﷺ) . المترجم

(٣) « المساعد » Helper) و « المؤيد » (Advocate) هى بعض المترادفات العديدة لكلمة « باراكليتوس » اليونانية التى جاءت فى الترجمة اليونانية لإنجيل يوحنا (يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦: ١٥: ٢٦ ؛ ١٦: ٧) . فى معرض نبؤة المسيح ﷺ عن النبى الذى سيأتى من بعده . (راجع التعليق رقم ٢ ص ٣٠ بالهامش) . (المترجم)

« محمد مزورًا ومحتالًا أو مشعوذًا؟! كلا! ثم كلا! إن هذا القلب الكبير المفعم بالعاطفة الجياشة الذى يغلى كمرجل أو مَوقِد هائل من الأفكار ، لم يكن قلب محتال أو مشعوذ » .

وهم يصفون تحقيق (هذا النبى) وتصديقه لنبؤة من قبله من المرسلين بالسحر والشعوذة والفتنة ، هذا الذى صار أكثر الحقائق ثباتًا فى تاريخ البشرية : أعنى الإسلام![1] .

❁❁❁

(١) انظر نهاية الفصل الثانى من كتاب « محمد بشارة المسيح » تأليف أحمد ديدات وقد قمت بترجمته والتعليق . (المترجم)

محمد ﷺ
المثال الأسمى
رؤية فيلسوف هندوسي معاصر
لنبي الإسلام ﷺ

ك.س. رامكرشنة راو
أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور في الهند

الفصل الأول

محمد نبي الإسلام ﷺ

البدايات[١] :

ولد محمد وفقًا لما قرره المؤرخون المسلمون فى صحراء شبه الجزيرة العربية يوم العشرين من شهر أبريل فى عام خمسمائة وواحد وسبعين بعد المسيح . واسمه يعنى « المثنى عليه أو الممدوح أو المحمود حمدًا كثيرًا »[٢] . وهو بالنسبة لى أعظم عقل مفكر أنجبته الجزيرة العربية على الإطلاق .

إنه أعظم بكثير من جميع الشعراء والملوك الذين عاشوا قبله أو جاءوا بعده فى هذه الصحراء المعزولة ذات الرمال الحمراء .

وحينما ظهر محمد لم تكن الجزيرة العربية شيئًا مذكورًا . ومن هذه الصحراء التى لم تكن شيئًا مذكورًا استطاع محمد بروحه العظيمة أن ينشئ منها عالمًا جديدًا وحياة جديدة وثقافة جديدة وحضارة جديدة ومملكة جديدة امتدت من مراكش إلى شبه القارة الهندية ، وأن يؤثر فى فكر وحياة ثلاث قارات هى آسيا وإفريقية وأوروبا .

الحاجة إلى التفاهم :

عندما فكرت فى الكتابة عن النبى محمد كنت مترددًا بعض الشيء لأننى سأكتب عن دين لا أعتنقه[٣] . وإنه لأمر بالغ الحساسية أن يفعل المرء ذلك لأنه يوجد الكثير من الناس الذين يعتنقون ديانات متنوعة وينتمون إلى مذاهب فكرية وطوائف مختلفة حتى

---

(١) انظر كتاب « ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ» تأليف أحمد ديدات .

(٢) راجع نفس الكتاب .

(٣) المؤلف يعتنق الهندوسية .

داخل الدين الواحد . وعلى الرغم من أن البعض يزعم أحيانًا أن الديانة مسألة شخصية تمامًا فإنه لا يمكن إغفال أن الدين يميل إلى الإحاطة بالكون بأسره ما نرى منه وما لا نرى أيضًا . وهو بطريقة ما يتخلل من حين إلى آخر قلوبنا وأنفسنا وعقولنا فى مناطق الوعى (subconscious) واللا وعى (unconscious) منها ، أو أى من تلك المناطق التى تشتمل عليها أو يفترض أنها تشتمل عليها . وتأخذ المسألة أهمية بالغة عندما نقتنع اقتناعًا راسخًا أن ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا رهن هذا الخيط الحريرى اللين الدقيق المسمى بالدين . أما إذا كنا شديدى الحساسية فإن مركز الثقل يكون فى الغالب دائمًا فى حالة توتر قصوى . وبالنظر إلى المسألة من هذه الزاوية يتضح لنا أنه كلما قل الكلام عن ديانة الآخرين كلما كان ذلك أفضل . ولندع أدياننا واعتقاداتنا مخفية ومغمورة فى أعماق ثنايا قلوبنا الداخلية محصنة بأختام من شفاهنا لا تنكسر .

جماعية الإنسان :

ولكن يوجد جانب آخر لهذه المسألة . فالإنسان يعيش فى المجتمع وترتبط حياتنا شئنا أم أبينا وبطريقة مباشرة وغير مباشرة - بحياة الكثيرين . فنحن جميعًا نأكل من ثمرات تزرع فى نفس الأرض ونشرب الماء من نفس النبع ونستنشق هواء نفس الجو . ومع تمسكنا الشديد بآرائنا الشخصية فإنه سيكون من المفيد - لا لغرض آخر سوى تشجيع الانضباط المناسب فى البيئة المحيطة بنا - لو أننا عرفنا أيضًا بدرجة أو بأخرى كيف يفكر جارنا وما هى المنابع الأصلية لتصرفاته .

ومن زاوية الرؤية هذه تصبح محاولة المرء للتعرف على جميع أديان العالم شيئًا مرغوبًا فيه ، وذلك بالروح الصحيحة ، من أجل تشجيع التفاهم المتبادل والتقبل الأفضل لجيراننا على المدى القريب والبعيد .

كما أن أفكارنا ليست متناثرة ومبعثرة كما تبدو كذلك فى الظاهر . فلقد تبلورت تلك الأفكار فى شكل أديان العالم الكبرى والعقائد الحية التى ترشد وتدفع حياة الملايين من سكان أرضنا هذه . وإذا كنا نفكر فى أن نصبح فى يوم من الأيام مواطنين للعالم الذى بين يدينا ، فمن واجبنا أن نحاول ولو محاولة صغيرة التعرف على أديان العالم الكبرى ونظم الفلسفة التى تحكم البشرية .

النبى شخصية تاريخية[١] :

وعلى الرغم من هذه الملاحظات التمهيدية فإن الأرض التى يجرى عليها الصراع بين العقل والعاطفة فى مجال الدين زلقة جدًا لدرجة أن المرء ليُذكِّر باستمرار بالحمقى الذين يندفعون حيث تهاب الملائكة الاقتراب . والأمر أيضًا معقد جدًا لسبب آخر . فموضوع كتابى هو شرائع ديانة تاريخية ونبيها ، وهو أيضًا شخصية تاريخية لدرجة أن ناقدًا عدوانيًا مثل السير « وليم موير » يقول متحدثًا عن القرآن الكريم : « لا يوجد فى العالم على الأرجح كتابًا آخر بقى اثنى عشر قرنًا[٢] بنص بمثل هذا النقاء » . ويمكننى أن أضيف أن النبى محمد شخصية تاريخية[٣] أيضًا . فكل حادثة فى حياته دونت بدقة بالغة وحتى أدق التفاصيل حفظت سليمة للمتأخرين . إن حياته وأعماله لم يكتنفهما الغموض ولم تكن محاطة بالأسرار . ولا يحتاج المرء إلى البحث المجهد عن المعلومات الدقيقة ولا الانطلاق فى رحلات مرهقة لكى يفصل القشرة عن حبة الحق[٤] .

إساءة عرض وتقديم الإسلام فى الماضى :

إن عملى هذا مستنير لأن الأيام التى كان يساء فيها إلى حد بعيد عرض الإسلام وتقديمه بواسطة نقاده[٥] لأسباب سياسية وغير سياسية هى فى إدبار وإلى زوال .

يقول الأستاذ بيفان (Prof. Bevan) فى « كتاب كمبردج لتاريخ العصور الوسطى » : « إن التقارير التى وصف فيها محمدًا والإسلام المنشورة فى أوروبا قبل بداية

---

(١) تاريخية يعنى حقيقية من واقع التاريخ . (المترجم)

(٢) لقد بقى القرآن حتى الآن أربعة عشر قرنًا نقيًا ومحفوظًا (المؤلف) وسيظل كذلك إلى أن يرث الله لأرض ومن عليها تصديقًا لقول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: الآية ٩] . المترجم

(٣) تقول دائرة المعارف البريطانية عن محمد إنه « الأكثر تاريخية من بين جميع الشخصيات الدينية » . (المؤلف)

(٤) يقصد المؤلف إنه من اليسير التمييز بين الغث والثمين مما روى عن محمد ﷺ أو نسب إليه من أحاديثه أو أخبار وقد وضعت فى ذلك العلوم وصنفت فيه التصانيف . (المترجم)

(٥) يقول توماس كارلايل (الكاتب والمؤرخ والفيلسوف الإنجليزى المشهور) : « إن الأكاذيب التى أثارتها الحماسة الصادرة عن حسن نية حول هذا الرجل (أى محمد ﷺ لا تشين إلا لأنفسنا » . انظر كتاب « المسيح فى الإسلام » تأليف أحمد ديدات وهو من ترجمتنا ونشر عن دار المختار الإسلامى بالقاهرة .

القرن التاسع عشر يجب اعتبارها الآن مجرد فضول أدبى أو استثناءات أدبية (literary curiosities).

إن المشكلة التى أواجهها من أجل كتابة هذه الفقرة أصبحت أكثر سهولة من ذى قبل لأننا كنقاد وبوجه عام لم نعد نقتات الآن على مثل هذا النوع من التاريخ . ولسنا فى حاجة إلى كثير من الوقت نمضيه فى الإشارة إلى إساءاتنا فى عرض الإسلام وتقديمه .

فمثلاً النظرية التى تقول بانتشار الإسلام بالسيف لم تعد تردد الآن بكثرة فى أى دائرة تستحق الذكر . فمبدأ « لا إكراه فى الدين »[١] هو مبدأ معروف ومشهور جدًا فى الإسلام .

يقول المؤرخ العالمى الشهير « جيبون » :[٢]

« إن شريعة خبيثة قد ألصقت بالمحمديين[٣] وهى واجب استئصال جميع الأديان بالسيف »[٤] .

---

(١) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٢) هو إدوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤ بعد المسيح) مؤرخ إنجليزى ، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز فى عصره . (المورد) (١٩٩٠) .

(٣) المؤلف يقصد المسلمين ، فكلمة « المحمديون » قد توحى بعبادتهم للنبى الكريم محمد ﷺ . ولا يوجد بين المسلمين من يتخذ هذا النبى الكريم إلها أو يعبده (المركز العالمى للدعوة الإسلامية) .

(٤) هذه ليست شريعة الإسلام ولا القرآن ولا محمد ﷺ . يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المُمتحنَة: الآية ٨] قال خالد الزعفرانى فى مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبرى : « (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم) من جميع الملل » . قلت : إذن فلم يأمر الله فى القرآن ولا رسوله ﷺ فى السنة باستئصال من لا يؤمن بالإسلام من الملل الأخرى .

قارن ذلك بما جاء فى الكتاب المقدس عن ما فعله يهود بنو إسرائيل بسكان الأرض المقدسة « فلسطين » حين دخلوها مع يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام الذى يسمونه عندهم يوشع بن نون خادم موسى (يشوع ١: ١) .

« وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » (يشوع ٦: ٢١) .

حرموا كل ما فى المدينة : أى حرموا سبى أهلها واستحيائهم والغنيمة أى جعلوا أهلها حرامًا عليهم سبيهم واستحياءهم وأخذ أنعامهم وقتلوهم جميعًا بحد السيف ولم يبقوا منهم أحدًا . راجع (ص ٤٦ - ٤٨) من كتاب « العرب وإسرائيل صراع أم مصالحة؟ » تأليف أحمد ديدات وهو من ترجمتنا ونشر مكتبة النور - القاهرة .

ويقول المؤرخ البارز أن هذه التهمة الجاهلة والمتطرفة يدحضها القرآن كما يدحضها تاريخ الفتوحات الإسلامية . وما اشتهر الفاتحون به من تسامح تجاه العبادة المسيحية معروف ومشروع .

إن أعظم نجاح فى حياة محمد جاء نتيجة للقوة الأخلاقية فقط وبلا ضربة سيف واحدة .

❁❁❁

والتعليقات رقم ١٨ و ١٩ و ٢٠ بالهامش ص ١٠٢ و ١٠٣ من نفس الكتاب . (المترجم)

الفصل الثاني

المصطفى

« والكاظمين الغيظ »[١] :

كان العرب يتقاتلون لأربعين سنة بسبب حادث بسيط كاقتحام جمل يملكه ضيف إحدى القبائل داخل مراعى القبيلة الأخرى ، وتقاتل كلا الجانبين حتى أن سبعين ألف نفس قد حصدت مما هدد بفناء القبيلتين . لمثل هؤلاء العرب الشرسين جاء نبى الإسلام ليعلمهم ضبط النفس والانضباط إلى حد إقامة الصلاة فى ساحة القتال .

الحرب دفاعا عن النفس[٢] :

بعد أن أخفقت تمامًا الجهود المتكررة الرامية إلى المصالحة وطرأت ظروف

---

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٢) إن الحرب دفاعًا عن النفس أمر طبيعى ومشروع فى كل عرف ودين . ويحلو لبعض المستشرقين وغيرهم عند الكلام عن دواعى الحرب فى الإسلام الزعم بأن الإسلام جاء ليفرض على الجميع بحد السيف وذلك لإظهار الإسلام بصورة زائفة مشوهة والصد عنه بإخفاء حقيقة تعاليمه السمحة أو القول بأن الإسلام انتشر بالسيف كمحاولة للنيل من عظمة الإسلام والتقليل من شأنه . وفريق آخر من المسلمين ومعهم بعض المستشرقين وربما بإيعاز ووحى منهم أو تأثرًا بهم فى محاولة منهم لإظهار ما يسمونه « الوجه الحضارى للإسلام » (كأن للإسلام وجها آخر ليس كذلك) أو إرضاء لدعاوى تفريغ الإسلام من مضمونه وتزييف حقائقه وتمسكًا منهم بأحاديث ضعيفة وربما موضوعة مما ينسبونه للرسول ﷺ من قول : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . ويفسرون الجهاد الأصغر بأنه القتال فى سبيل الله ..

إن القول بأن الإسلام انتشر بالسيف بمعنى أن الناس أكرهوا على اعتناقه هو غلط شنيع . كما أن القول بأن الإسلام لم يرفع سيفًا فى نشره هو أيضًا خطأ جسيم . فإن الإسلام يشرع استخدام السيف فى مرحلة متأخرة عند منع تبليغ الإسلام سلمًا . إذن فالإسلام شرع القتال عند الامتناع عن دفع الجزية أو الوقوف حائلًا دون نشر الدين فضلًا عن شرعه للدفاع عن النفس . (المتجم)

اضطرته إلى ساحة القتال اضطرارًا دفاعًا عن النفس ، بدل نبى الإسلام فن (استراتيجية) القتال بالكامل . إن إجمالى الخسائر فى الأنفس فى جميع الحروب التى وقعت خلال حياته حين دانت له الجزيرة العربية كلها لا يتعدى بضع مئات . لقد علَّم أهماج[(١)] العرب أن يصلوا لله القدير جماعة لا فرادى ، حتى وسط غبار العواصف والقتال . وكلما حان وقت الصلاة ، وهو يحين خمس مرات فى كل يوم يجب ألا تترك أو تؤجل صلاة الجماعة . فينبغى أن تصلى طائفة فتركع وتسجد بين يدى ربها بينما تشتبك الطائفة الأخرى مع العدو . فإذا قضيت الصلاة فينبغى أن تغير كلتا الطائفتين موقعهما[(٢)] .

التمدن والإنسانية فى ساحة القتال :

إن ساحة القتال نفسها صارت مجالًا للتحضر الإنسانى . وصدرت توجيهات صارمة بعدم الفساد أو الإتلاف وعدم الغش وعدم نقض المواثيق وعدم انتهاك الحرمات وعدم التمثيل بالقتلى وعدم قتل الولدان ولا النساء ولا الشيوخ وعدم قطع النخل أو حرقه وعدم قطع شجرة مثمرة وعدم التعرض للرهبان والأشخاص المشغولين بالعبادة .

إن معاملة محمد الشخصية لألد أعدائه هى المثال الأسمى لأتباعه . فقد كان فى أوج قوته عند فتح مكة . إن القرية التى عذبته هو وأتباعه وأخرجته هو وقومه إلى المغترب واضطهدته وقاطعته بقسوة حتى حينما لجأ إلى مكان يبعد عنها أكثر من مائتى ميل ، هذه القرية كانت خاضعة له تمامًا فى ذلك الحين . وقد كان يحق له حسب قوانين الحرب أن يثأر منها للأعمال الوحشية التى أنزلتها به وبقومه . ولكن أى معاملة تلك التى قابلهم بها؟ لقد فاض قلب محمد بفطرة الحب والرحمة حين صرح قائلًا :

---

(١) (أهماج) : جمع همج : (وهم) الرعاع من الناس لا نظام لهم . (المعجم الوسيط) .

(٢) يشير المؤلف هناك إلى صلاة الخوف التى صلاها الرسول ﷺ بالمسلمين فى ساحة القتال استجابة لأمر ربه وبالكيفية التى علمها له ربه حيث يقول فى كتابه العزيز : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ . (النساء ١٠١، ١٠٢) (المترجم)

« لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فأنتم الطلقاء »[١] **.**

العفو عن ألد الأعداء :

لقد كان أحد الأهداف الرئيسية التى أجاز بسببها الحرب دفاعًا عن النفس هو توحيد البشر . وحينما تحقق هذا الهدف عفا عن ألد أعدائه حتى أولئك الذين قتلوا عمه الحبيب حمزة وانتهكوا حرمة جسده ومثلوا به فشقوه ولاكوا جزءًا من كبده .

النظرية تمتزج بالتطبيق :

إن مبدأ الأخوة العالمية[٢] وعقدية وتعاليم المساواة بين البشر التى أعلنها ونادى بها تمثل مساهمة عظيمة جدًا من محمد للارتقاء الاجتماعى للإنسانية . إن جميع الأديان الكبرى دعت أيضًا إلى نفس العقيدة والتعاليم ولكن نبى الإسلام وضع هذه النظرية فى التطبيق الواقعى . وسوف يُعترف بقيمة هذه العقيدة والتعاليم[٣] بعد فترة ، ربما حين يستيقظ الضمير العالمى فتختفى التحيزات والتحاملات والأحكام العنصرية المسبقة ويخرج مفهوم أقوى لأخوة البشر إلى الوجود .

الفلاح والملك متساويان أمام الله :

تقول الشاعرة الهندية « ساروجينى نايدو » عن هذا المظهر من مظاهر الإسلام :
« لقد كان الإسلام أول دين يبشر بالديمقراطية ويمارسها . فيجتمع المصلون سويًا

---

(١) انظر كتاب : « زاد المعاد فى هدى خير العباد » لابن قيم الجوزية . طبعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ بعد المسيح . نشر المكتبة التوفيقية بالحسين م ١ جـ ٢ ص ١٦٥. (المترجم)

(٢) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠] (الحجرات : ١٠) ويقول تعالى : *!*﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران : ١٠٣) ويقول رسول الله ﷺ « المسلم أخ المسلم » ويقول أيضًا « وكونوا عباد الله إخوانًا » (الأحاديث بمعانيها) .

(٣) يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣] ويقول تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النِّساء: الآية ١] ويقول ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط . ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » . وقال رسول الله ﷺ أيضًا : « كلكم لآدم وآدم من تراب » وقال ﷺ أيضًا : **« إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم »** (الأحاديث بمعانيها) (المترجم) .

فى المساجد حين يرفع الآذان لتتجسد ديمقراطية الإسلام خمس مرات فى اليوم عندما يركع ويسجد الفلاح والملك جنبًا إلى جنب معلنين أن « الله أكبر » . وتمضى شاعرة الهند العظيمة قائلة : « وقد أدهشتنى مرة أخرى هذه الوحدة الإسلامية التى لا انفصام لها ، التى تجعل المرء أخًا بالفطرة . فأنت حين تقابل مصريًا وجزائريًا وهنديًا وتركيًا فى لندن فلا فرق إلا أن مصر هى بلدة أحدهم والهند بلدة الآخر » .

الإسلام حضَّر أسبانيا وهو اليوم الحل للمشاكل الاجتماعية :

يقول « المهاتما غاندى »[1] بأسلوبه الذى لا يحاكى :

« لقد قال أحد الأوربيين فى جنوب إفريقية أنهم يخشون مجئ الإسلام . الإسلام الذى حضَّر ومدَّن أسبانيا . الإسلام الذى حمل مشعل النور إلى مراكش وبشر العالم ببشارة[2] (Gospel of Brotherhood) إن الأوروبيين فى جنوب إفريقية يخشون مجئ الإسلام لأنه يقرر ويؤكد مساواة الملونين بالأجناس البيضاء . فليخشونه بجد . وإذا كانت الأخوة خطيئة وإذا كانت المساواة بالأجناس الملونة هو ما يخشونه ، فخشيتهم إذن فى محلها » .

الحج شهادة حية :

يرى العالم كل عام فى موسم الحج المشهد الرائع لهذا الاستعراض العالمى للإسلام وهو يسوى جميع الفوارق فى الجنس واللون والمكانة . ولا يجتمع الأوربيون والأفارقة والفرس والهنود والصينيون سويًا فى مكة كأفراد أسرة ربانية واحدة فحسب ، ولكنهم

---

(١) هو « موهانداس كرمشند غاندى » (١٨٦٩ - ١٩٤٨ بعد المسيح) : زعيم سياسى وروحى هندى . نادى باللا عنف ، وبالمقاومة السلبية ، وعمل لاستقلال الهند . « المورد » (١٩٩٠) .

(٢) تترجم كلمة « جوسيل » (Gospel) بالبشارة . كما تترجم أيضًا بالإنجيل . واصلها فى الإنجليزية القديمة « جودسبل » (Godspel (١ » وهى ترجمة للكلمة اللاتينية « إفانجليوم » (evengelium) التى تعنى حرفيًا القصة الطيبة . (قاموس تشيمبرز للقرن العشرين) . والبعض يترجمها بالبشارة أو النبأ السار أو السعيد أو الخبر المفرح . وقد بشر الإسلام بالأخوة الدينية فى أسمى معانيها ودرجاتها على أساس من تقوى الله وتكافل البشرية . وما أكثر السرور والسعادة والفرح الذى تدخله هذه البشارة على قلوب المؤمنين . (المترجم)

يرتدون زيًا موحدًا أيضًا (إزارًا) فيرتدى كل رجل منهم قطعتين ساذجتين[١] من القماش الأبيض غير المخيط إحداهما حول سوءته والأخرى فوق كتفيه (رداء) وهو حاسر الرأس فى غير خيلاء ولا تكلف مرددًا : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك »[٢] .

وبذلك لا يبقى ما يفرق بين الرفيع والوضيع . ويحمل كل حاج معه إلى بلده انطباعًا بالمدلول العالمى للإسلام .

إن كلمات الأستاذ هرجرونجى توضح هذه المسألة حيث يقول : « إن عصبة الأمم التى أسسها نبى الإسلام تضع مبدأ الوحدة الإسلامية والأخوة الإنسانية على أسس عالمية بحيث تعطى للأمم الأخرى مثالًا يحتذى » . ويمضى قائلًا : « الحقيقة هى أنه لا توجد أمة فى العالم يمكن أن تضاهى ما فعله الإسلام حيال تحقيق فكرة عصبة الأمم » .

الإسلام منارة لعالم ضل السبيل :

إن نبى الإسلام قد جاء بحكم الديمقراطية فى أحسن أشكالها[٣] .

إن الخليفة عمر والخليفة على زوج ابنة النبى والخلفاء المنصور والعباس بن الخليفة المأمون وخلفاء وملوكًا آخرين كثيرين كان عليهم أن يمثلوا أمام القضاة كرجال عاديين

---

(١) (الساذج) : الخالص غير المشوب ، وغير المنقوش . وهى ساذجة . (معرب ، فارسيته : ساده) (المعجم الوسيط) .

(٢) يسمى هذا المنسك من مناسك الحج « بالتلبية » ولفظها : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » وهى شعار الحد ودليل الإحرام . « ويقال : لبيك : لزومًا لطاعتك . أو إلبابا بعد إلباب ، وإقامة بعد إقامة ، وإجابة بعد إجابة . أو معناه : اتجاهى إليك وقصدى وإقبالى على أمرك . مأخوذ من قولهم : دارى تلب داره : تواجهها وتحاذيها ، وهو مصدر منصوب ثنى على معنى التأكيد . (ولبى) بالحج : قال لبيك اللهم لبيك » . (المعجم الوسيط) (المترجم)

(٣) لولا يسمون الأشياء بأسمائها وينسبونها لأصحابها . فالذى جاء به محمد ﷺ هو القرآن وهو كلام الله وشرعه وحكمه . والله هو الذى قرر مبدأ الشورى فأمر الرسول ﷺ بمشاورة أصحابه إذا يقول :
﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩] ومدح المسلمين فقال عنهم : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشّورى: الآية ٣٨] . إن الديمقراطية فى أفضل تصوراتها هى حرية الشعب فى إبداء رأيه والمشاركة فى الحكم فى وطنه . وهى كما ترى لا تخلو من النقائص البشرية . أما الحكم فى الإسلام فهو قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع والشورى . هذا حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٠] ولا أحد! فهلا فهم الناس الفرق؟! (المترجم)

فى المحاكم الإسلامية ، ونحن نعلم كيف يُعامَل السود بواسطة الأجناس البيضاء المتحضرة حتى يومنا هذا .

ولنأخذ كمثال منزلة بلال العبد الحبشى فى أيام نبى الإسلام زهاء أربعة عشر قرنًا خلت . إن العمل كمؤذن لصلاة المسلمين كان يعتبر عملًا يدعو للاحترام فى أيام الإسلام المبكرة . وقد أعطى هذا العمل لهذا العبد الحبشى . وأمره النبى بعد فتح مكة أن ينادى للصلاة فوقف هذا العبد الحبشى ذو البشرة السوداء والشفتين الغليظتين على سطح الكعبة المشرفة أكثر الأماكن عراقة وقداسة فى العالم الإسلامى . وهنالك صرح أحد العرب المستكبرين بصوت عال متألمًا : « الويل لهذا العبد الحبشى الأسود . إنه يقف فوق سطح الكعبة المشرفة لينادى للصلاة » .

وقد ألقى نبى الإسلام خطبة كانت كأنها الرد على هذه الثورة التى تفوح منها رائحة الكبرياء والهوى اللذين عزم نبى الإسلام على استئصالهما ، قال فيها ما معناه :

« الحمد لله الذى اذهب عنا نخوة[1] الجاهلية وتفاخرها بالأنساب . أيها الناس اعلموا أن الناس فريقين : الأبرار المتقين الفائزين عند الله . والفجار القاسية قلوبهم السفلة الذين تزدريهم عين الله . ألا فإن الناس كلهم لآدم وخلق الله آدم من تراب » .

وقد صدق القرآن هذا فيما بعد وأكده بهذه الكلمات :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: الآية ١٣]

التحول فوق العادى :

إن نبى الإسلام أحدث تحولًا هو من العظم بحيث إن أكرم العرب وأخلصهم نسبًا عرضوا بناتهم للزواج من هذا العبد الحبشى . وكلما رأى خليفة الإسلام الثانى المعروف فى التاريخ بأمير المؤمنين عمر العظيم ، هذا العبد الحبشى وقف له احترامًا ورحب به معلنًا : « ها هو قد جاء سيدنا ها هو قد جاء مولانا » .

فيا له من تحول هائل هذا الذى أحدثه القرآن والنبى محمد فى العرب أكثر الناس

---

(١) (النخوة) : العظمة والتكبر . (المعجم الوسيط

تفاخرًا بالأنساب على الأرض فى ذلك الحين . وهذا هو السبب الذى دعا جوته[١] (Goethe) أعظم الشعراء الألمان يعلن وهو يتكلم عن القرآن الكريم أن : « هذا الكتاب سيستمر فى ممارسة تأثير قوى جدًا عبر جميع العصور » .

وهو السبب أيضًا الذى دعا جورج برنارد شو[٢] (George Bernard Show) يقول : « لو قدر لأى دين أن يسود إنجلترا ، لا بل أوروبا فى غضون المائة عام المقبلة ، فالإسلام هو هذا الدين » .

الإسلام حرر المرأة .

لقد كانت نفس روح الإسلام الديمقراطية هذه هى التى حررت المرأة من قهر الرجال . يقول السير « تشارلز إدوارد أرشيبالد هاملتون » .

« إن الإسلام يُعلّمُ البراءة الأصلية[٣] للإنسان . ويعلم أن الرجل والمرأة جاءا من نفس واحدة[٤] وأنهما يملكان نفس الروح وأنهما مُنحا قدرات متساوية من المواهب العقلية أو الفكرية والروحية أو الدينية والأخلاقية »[٥] .

---

(١) هو « يوهان فولفجانج فون جوته » (١٧٤٩ - ١٨٣٢ بعد المسيح) : شاعر ألمانى ، يعتبر أعظم الشعراء الألمان فى جميع العصور . « المورد » (١٩٩٠) .

(٢) جورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠ بعد المسيح) كاتب مسرحى إنجليزى إيرلندى المولد . تزخر آثاره بالظرف والسخرية . (المورد) (١٩٩٠) .

(٣) أى أن الإنسان يولد بريئًا بلا ذنوب ، بخلاف ما تعلمه المسيحية من القول بالخطيئة الأصلية للإنسان (Original Sin) . وبأن البشرية ورثت خطيئة آدم وأن الأبناء يرثون خطايا الآباء . فالإسلام يعلم أن المرء يولد على الفطرة وأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣٨] وأن الله لا يكلف ﴿نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّجم: الآية ٣٩] (النجم : ٣٩) . ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام: الآية ١٦٤] (الأنعام : ١٦٤) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ . (الزلزلة : ٧ ، ٨) (المترجم) .

(٤) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (من الآية الأولى من سورة النساء) .

(٥) يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: الآية ٩٧] ويقول تبارك وتعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النِّساء: الآية ١٢٤] .

إقرار حق الملكية للنساء :

كان للعرب عادة شديدة التأصل هى أن من يرث هو فقط من يطعن بالرمح ويصنع السيف . ولكن جاء الإسلام ليدافع عن الجنس الضعيف وأعطى المرأة حق المشاركة فى وراثة الوالدين[١] . وأعطى الإسلام المرأة من قرون مضت حق ملكية المال . بينما طبقت إنجلترا ، التى يفترض أنها مهد الديمقراطية هذا المبدأ الإسلامى بعد اثنى عشر قرنًا وفى عام ١٨٨١ بعد المسيح فقط . وصدر مرسوم سمى « مرسوم النساء المتزوجات » (The Married Women's Act).

ولكن قبل ذلك بقرون كان نبى الإسلام قد أعلن أن « النساء شقائق الرجال وحقوق النساء مقدسة » « لا تبخسوا النساء حقًا مما فرض لهن » « استوصوا بالنساء خيرًا » (الأحاديث بالمعنى) .

❁❁❁

---

(١) قال تبارك وتعالى : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النِّساء: الآية ٧] وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النِّساء: الآية ١٩] . قال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فى صفوة البيان لمعانى القرآن : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا » أى تأخذوهن على سبيل الإرث ، كما يؤخذ المال الموروث بعد موت أزواجهن مكرهين لهن على ذلك ، وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية . قلت : فقد كان الرجل منهم يرث زوجة أبيه ويتزوجها من بعده فنهى الله تبارك وتعالى عن ذلك فى قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النِّساء: الآية ٢٢] (المترجم)

الفصل الثالث

الأمين

الوسطية القيمة :

لا يعنى الإسلام مباشرة بالأنظمة السياسية والاقتصادية ولكنه يعنى بها بطريقة غير مباشرة .

وبقدر ما تؤثر الشئون السياسية والاقتصادية على سلوك الإنسان يرسى الإسلام بعض المبادئ الهامة جدًا للحياة الاقتصادية .

ووفقًا للأستاذ ماسينيون (Prof. Massignon) فالإسلام يحافظ على التوازن بين الأضداد المبالغ فيها ويضع دائمًا نصب عينيه بناء الشخصية التى هى أساس الحضارة . وقد ضمن ذلك بشرائعه فى الميراث وبنظام الصدقة المنظمة غير الاختيارية المعروفة بالزكاة وبتحريم جميع الممارسات المضادة للاجتماع (antisocial) فى مجال الاقتصاد مثل الاحتكار والربا والحصول على فوائد وأرباح محددة أو معينة سلفًا والتحكم فى الأسواق (بالامتناع عن البيع لرفع الأسعار) والاختزان وخلق ندرة مصطنعة لأى سلعة من أجل دفع السعر إلى الارتفاع . والميسر (المقامرة) حرام أيضًا . وأسمى أعمال البر فى الإسلام هى التبرع للمدارس ودور العبادة والمستشفيات وحفر آبار المياه وبناء ملاجئ للأيتام . ويقال أن ملاجئ الأيتام نشأت لأول مرة وفقًا لتعاليم نبى الإسلام[1] . والعالم مدين بملاجئ أيتامه لهذا النبى الذى كان نفسه يتيمًا .

يقول توماس كارلايل عن محمد : «إن الصوت الفطرى للإنسانية والتقوى

---

(١) خصص رسول الله ﷺ جزءًا من مسجده بالمدينة المنورة لإقامة الفقراء والمساكين الذين لا مأوى لهم . (المترجم)

والإنصاف الساكن فى قلب هذا الابن البرى للطبيعة ، يتكلم » .

الاختبار :

قال أحد المؤرخين ذات مرة : يجب أن يحكم بعظمة الرجل من خلال ثلاثة اختبارات :

(١) هل كان عند معاصريه ذا عزم صادق؟

(٢) هل كان من العظمة بحيث يرتفع فوق مستوى من هم فى سنه؟

(٣) هل ترك شيئًا كتراث دائم للعالم كافة؟[١]

يمكن لهذه القائمة أن تمتد إلى مدى أبعد ولكن كل هذه الاختبارات الثلاثة للعظمة تتحقق بوضوح ولأعلى درجة فى حالة النبى محمد .

وقد ذكرنا من قبل بعض الأمثلة فيما يتعلق بالاختبارين الأخيرين .

دعنا نتناول أول هذه الاختبارات وهو :

هل كان نبى الإسلام عند معاصريه ذا عزم صادق؟

الشخصية المعصومة :

تظهر السجلات التاريخية أن جميع معاصرى محمد الأصدقاء والأعداء اعترفوا بالشمائل النقية والاستقامة الخالصة والفضائل الكريمة والإخلاص المطلق والأمانة المطلقة لرسول الإسلام فى جميع نواحى الحياة وفى كل مجال للنشاط الإنسانى . حتى أن اليهود وأولئك الذين لم يؤمنوا برسالته قبلوه حكمًا فى نزاعاتهم الشخصية[٢] بسبب ما عرفوه عنه من تحريه عدم التحيز .

---

(١) يقول رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا : كتاب الله وسنتى» (معنى الحديث) (المترجم)

(٢) لقد فضح الله تعالى موقفهم المتناقض برفضهم للرسالة التى جاء بها محمد ﷺ معتذرين بأنهم أهل كتاب ولهم كتاب وشرع كامل لا يزيد ولا ينقص ولا ينسخ ، صالح لكل الأزمنة والمجتمعات ، وذلك بما حفظه لنا من تحاكمهم إلى محمد ﷺ إذ يقول الله تبارك وتعالى مخاطبًا محمد ﷺ فى القرآن : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ٤٣] .

وحتى أولئك الذين لم يؤمنوا برسالته اضطروا لأن يقولوا : « يا محمد إننا لا نكذبك ولكننا نكفر بالذى أعطاك كتابًا وأوحى إليك بالرسالة »[١] .

وقد ظنوا أن به جنة . وحاولوا علاجه بالعنف . ولكن أحسنهم طريقة رأوا نورًا جديدًا أشرق عليه وأسرعوا فى طلب هذا التنوير .

إن الميزة البارزة فى سيرة نبى الإسلام أن عشيرته الأقربين كابن عمه الحبيب وأصحابه الحميمين الذين عرفوه معرفة وثيقة جدًا تشربوا بالكامل بصدق رسالته واقتنعوا بأصالة الوحى الإلهى الذى جاء به .

يقول سيد أمير على فى كتابه « روح الإسلام » :

« لو أن هؤلاء الرجال والنساء الشرفاء والعقلاء ، ومن المؤكد أنهم لم يكونوا أقل تعليمًا وثقافة من صيادى السمك بالجليل[٢] ، شعروا بأدنى إشارة إلى رغبة المعلم[٣]

---

(١) يصدق ذلك ما جاء فى القرآن من قوله تبارك وتعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام : ٣٣)

(٢) يشير المؤلف هنا إلى تلاميذ المسيح حسب ما جاء فى أناجيل النصارى المعتمدة . وما يثير الدهشة هو أن النصارى يؤمنون بأن مؤلفى الأناجيل هم من هؤلاء الصيادين البسطاء . وهو الأمر الذى ينفيه العلم كما ينفيه ما تضمنته بعض تلك الأناجيل من أساليب وثقافة بعيدة كل البعد عن صيادى الجليل . ولم يكن باستطاعة أحد تلاميذ المسيح (وكلهم يهود) بل ولم يكن مسموحًا لهم الاطلاع على هذه الثقافات والمقالات الوثنية التى وردت فى الأناجيل وخاصة فى إنجيل يوحنا . ونحن نستبعد نسبة أى من هذه الأناجيل لمؤلفيها المفترضين أحد تلاميذ المسيح حقًا كما يزعم فى متى وإلى درجة أقل فى يوحنا ، كما نميل إلى القول بأن أحدًا منهم لم يعرف الكتابة سوى متى العشار « جاب الضرائب» استنادًا لما روى عن ذلك فى الأناجيل مع الافتقار إلى الدليل وفقدان العصمة ووقوع الخطأ فى جميع أسفار الكتاب المقدس . راجع كتاب هل الكتاب المقدس كلام الله؟ لأحمد ديدات . ومقال بعنوان « خمسون ألف خطأ فى الكتاب المقدس» نشر فى مجلة أويك المسيحية فى ١٩٥٧/٩/٨ من منشورات دار المختار الإسلامى .

أما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فقد مدحهم المولى سبحانه وتعالى فى عدة مواضع من كتابه العزيز وشهد لهم بالإيمان ويرضى الله عنهم . وكذلك شهد رسول الله ﷺ لهم بالفضل والخيرية فى أحاديثه .

وهذا كله خلاف وصف الكتاب المقدس لأتباع أنبياء بنى إسرائيل بالكفر وقلة الإيمان وعدم الفطنة وسوء الخلق والجهل . هذا وقد سطر التاريخ بأحرف من نور سير هؤلاء الصحابة كتراث خالد للعالم كله ومعالم للهداية الإنسانية . (المترجم)

(٣) يقصد الرسول ﷺ . وقد أثبت الله فى كتابه المبين صفة التعليم لسيد المرسلين وأقرها له وجعلها مهمة مشروعة من مهام رسالته هذا بعكس ما يردده بعض الجهلاء من أقاويل تزعم أن دوره كان مقتصرًا على تبليغ=

الدنيوية وخداعه أو نقص إيمانه ، لكان رجاء محمد فى التجديد الأخلاقى والإصلاح الاجتماعى قد انهار إلى أنقاض فى لحظة » .

إننا نجد على العكس إخلاص أتباعه له يتمثل فى اعترافهم به بإرادتهم كقائد لحياتهم . وقد تحملوا من أجله الاضطهاد والخطر بشجاعة وآمنوا به ووثقوا فيه وأطاعوه ووقروه حتى فى خلال تعرضهم لأشد العذاب والكرب العقلى بسبب فرض العزلة عليهم حتى الموت .

هل يكون هذا هو حالهم لو أنهم لاحظوا على قائدهم أدنى اعوجاج؟

الحب السرمدى للنبى الكريم :

لتقرأ سيرة المهتدين الأوائل إلى الإسلام وسينفطر كل قلب لمنظر المعاملة الوحشية للرجال والنساء الأبرياء . فقد مزقوا بقسوة سمية تلك المرأة البريئة كل ممزق بالطعن النافذ بالحراب . أما ياسر (زوجها) فقد جعلوه عبرة وشدوا ساقيه إلى ناقتين وسيقت الدابتان فى اتجاهين معاكسين .

أما خباب بن الأرت فجعلوه يرقد على سرير من الجمرات المحترقة وجثم الطغاة عديمو الرحمة بأرجلهم بوحشية فوق صدره حتى لا يتحرك مما جعل الشحم تحت جلده ينصهر .

وخباب بن عَدىّ الذى قتلوه بطريقة وحشية ومثلوا بجسده وانتهكوا حرمته ومزقوه إربًا إربًا .

وحينما كان يُسأل فى وسط هذا التعذيب إن كان يرجو أن محمدًا كان مكانه وهو آمن فى بيته بين أهله كان يصرخ معلنًا أنه مستعد عن طيب خاطر أن يفتدى محمدًا بنفسه وأهله وأبنائه ومن فى الأرض جميعًا ثم ينجيه من وخزة الشوكة حتى لا يشاكها .

= الرسالة فى محاولة منهم لنفى أى دور أو مهمة تعليمية لمحمد رسول الله ﷺ المعلم الأول للبشرية وهاديها ومرشدها وخير مبعوث وأنفعهم لها وأرحمهم بها ويقول الله تبارك وتعالى فى ذلك : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجُمُعَة: الآية ٢] (المترجم)

ويمكننا أن نروى روايات لا حصر لها عن أحداث من هذا القبيل تنفطر لها القلوب .

ولكن ما الذى تظهره كل هذه الأحداث؟

ما السبب فى أن أبناء وبنات الإسلام هؤلاء لم يُسَلِّموا لنبيهم طاعة وتسليمًا فحسب ، وإنما جعلوا أجسامهم وقلوبهم وأنفسهم فداه؟

ألم يكن إيمان أتباع محمد المباشرين واقتناعهم الشديد أرفع شهادة على صدقه واستغراقه التام فى المهمة التى كلف بها؟

أتباعه من أحسن الناس عقلاً ومنزلة :

ولم يكن أصحابه من السفلة أو من ذوى العقليات المتدنية . بل الذين التفوا حوله فى وقت مبكر نسبيًا هم أفضل وأشرف من فى مكة . كانوا وجوه القوم وصفوتهم . رجالًا لهم مراكزهم ومكانتهم وثراؤهم وثقافتهم من الأصحاب والأقارب الذين عرفوا أدق التفاصيل فى حياته .

إن جميع الخلفاء الأربعة الأوائل بشخصياتهم الشامخة كانوا ممن اهتدى فى هذه الفترة المبكرة .

تقول دائرة المعارف البريطانية : «إن محمدًا هو الأكثر نجاحًا وتوفيقًا من كل الأنبياء والشخصيات الدينية» .

ولكن هذا النجاح لم يكن نتيجة مصادفة مجردة . لم يكن ثمرة أسقطتها الرياح . لقد كان اعترافًا بحقيقة أن معاصريه وجدوه ذا عزم صادق . وكان نتيجة لشخصيته التى تدعو إلى الإعجاب وتدفع بشدة إلى الانتباه .

❁❁❁

الفصل الرابع

الصادق

المثال الكامل لحياة البشر :

إنه من الصعب جدًا أن نصل إلى الحقيقة الكاملة لشخصية محمد . إننى لم أستطيع الحصول إلا على لمحة سريعة منها . يا لها من تعاقب مثير لمشاهد رائعة!

فهناك محمد النبى ومحمد القائد ومحمد الملك ومحمد المقاتل ومحمد التاجر ومحمد الواعظ أو البشير ومحمد الحكيم ومحمد رجل الدولة ومحمد الخطيب ومحمد المصلح والمجدد ومحمد ملاذ اليتامى ومحمد حامى العبيد (الرقيق) والمدافع عنهم[١] ومحمد محرر النساء[٢] ومحمد القاضى والحكم ومحمد القديس .

---

(١) جاء فى الأصل الإنجليزى جملة (Protector of Alaves) بمعنى حامى العبيد والمدافع عنهم . وكلمة (Protector) الإنجليزية المستخدمة هنا قريبة فى معناها من كلمة (Advocate) التى تعنى « الحامى » و « المؤيد » (القضية أو اقتراح) والفعل (advocate) معناه : يدافع عن أو يؤيد كما جاء فى « المورد » (١٩٩٠. بعد المسيح) .

وكلمة (Advocate) هى إحدى الترجمات الإنجليزية لكلمة « البارقليط » (Paraclete) التى وردت فى إنجيل يوحنا على لسان السيد المسيح (عليه السلام) باعتباره « اسم » النبى الموعود . ويقول علماء اللغة إن كلمة « بارقليط » تحريف لكلمة بيرقليط (Periclyte) وهى الكلمة التى يعتقد أن السيد المسيح (عليه السلام) تلفظ بها . وقد قال بعض علماء أهل الكتاب (من أسلم منهم ومن لم يسلم) أنها كلمة سريانية أو أرامية بمعنى « أحمد » أو الإنسان الذى يحمد حمدًا كثيرًا . لمزيد من التفصيل . راجع كتاب : « من المعمدانية إلى الإسلام » قصة إسلام الأمريكية المهتدية جهادة جلكريز . التعليق رقم (١) (ص ٢٤، ٢٥) ورقم (٢) (٢٦، ٢٧) وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . نشر المختار الإسلامى بالقاهرة .

(٢) نعم إن محمدًا ﷺ حرر المرأة كما حرر الرجل ولكن مفهوم الحرية الذى نقصده ليس حرية أن تفعل كل ما تشاء كيف تشاء متى تشاء وإنما هى حرية قيمة تؤدى بالمرأة إلى الإيمان بالله والخضوع والاستسلام له ومعرفة الله الذى لا إله إلا هو رب العالمين والانصياع لأوامره ونواهيه . فمنتهى الحرية أن تتحرر من جهل وأوهام وخرافات=

ولقد كان محمد بطلاً فى كل هذه المهام الجليلة وفى جميع مجالات النشاط الإنسانى على حد سواء.

إن حال اليتيم هو منتهى الضعف وانعدام الحيلة. وقد بدأ محمد حياته يتيمًا. والملك هو ذروة السلطة المادية. وقد انتهت إليه حياته[١].

وقد تقلب حاله من صبى يتيم إلى لاجئ مضطهد ثم إلى سيد[٢] - بالمفهوم الدينى والدنيوى أيضًا - لأمة بأكملها، مقررًا لمصيرها بكل ما فيه من تجارب وإغراءات ومخاطر وبكل ما فيه من تقلبات وتغيرات ومن ضياء وظلام ومن ارتقاء وانحدار ومن فظاعة وعظمة.

لقد قاوم محن الدنيا وخرج منها سالمًا ليكون مثالاً يحتذى فى كل مرحلة من مراحل الحياة. ولم تقتصر إنجازاته على جانب واحد من جوانب الحياة ولكنها شملت أيضًا جميع أوضاع البشرية الاجتماعية.

= التعددية والشرك والتثليث والمفاهيم الباطلة والعقائد المتهافتة والشرائع الناقصة والجائرة والعادات الجاهلية وتكون عبدًا مُخلَصًا مُخَلَصًا لله الواحد القهار. (المترجم)

(١) إن محمدًا ﷺ لم يدع أنه ملك، ولم يدع لنفسه أى لقب من الألقاب التى يلقب بها الناس أنفسهم مثل لقب الإمبراطور أو قيصر أو كسرى أو عظيم القبط أو خاقان البحرين أو شاهنشاه (أى ملك الملوك) أو الفيورير (أى الزعيم المطلق) أو الميكادو (أى الباب العالى) أو الزعيم الخالد أو القائد الملهم أو زعيم «النظام العالمى الجديد» أو غيرها من الألقاب .. وإنما ادعى لنفسه لقبين لا ينفكان عن بعضهما البعض: عبد الله ورسوله. عبد الله أولًا، يقر فيها ويشهد ببشريته وبعبوديته لله وبأنه مخلوق لله .. ثم رسول الله يقر فيها ويشهد برسالته ومهمته التى اختصه الله وشرفه وكلفه بها للعالمين. (المترجم)

(٢) حقًا إن محمدًا ﷺ هو سيد البشر. وليس بدعًا أن يقال له «سيد» فى النطاق البشرى فقد قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم عن نبيه يحيى عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩) وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ويبن سبب اكتسابه هذه المنزلة والسيادة بين بنى آدم كلهم هو أن جميع البشر بما فيهم الرسل والأنبياء يأتى كل منهم يوم القيامة يقول: «نفسى، نفسى»، إلا رسول الله ﷺ فيقول «أمتى، أمتى». فصلوات ربى وسلامه وبركاته عليك وعلى آلك يا نبى الرأفة والرحمة يا سيدى يا رسول الله. (المترجم)

محمد الأعظم :

لو أن العظمة تكمن فى تنقية وتطهير أمة مشربة بالهمجية والتخلف ومنغمسة فى ظلام أخلاقى مطلق ، فإن الشخص المتميز بالفاعلية والمليء بالقوة والنشاط الذى استطاع أن يحول ويهذب وينهض بأمة بأكملها غارقة فى الحضيض - كما كان حال العرب - ويجعلهم حملة مشاعل الحضارة والمدنية والتعليم ، له كل الحق فى هذه العظمة .

ولو أن العظمة تكمن فى توحيد العناصر المتنافرة والمتضاربة والمتشاكسة والمختلفة فى المجتمع برابطة الأخوة والإحسان ، فإن لنبى الصحراء كل الحق لهذا الامتياز .

ولو أن العظمة تكمن فى إصلاح هؤلاء الغارقين فى أوهام ومعتقدات خرافية منحطة ومخزية وممارسات خبيثة مهلكة متعددة الأنواع ، فإن نبى الإسلام قد بدد الأوهام والمعتقدات الخرافية والمخاوف المنافية للعقل والمنطق من قلوب الملايين .

ولو أن العظمة تكمن فى نشر الأخلاق السامية ، فإن الأعداء والأصحاب شهدوا لمحمد بأنه الصادق الأمين .

ولو أن الفاتح المنتصر رجل عظيم ، فها هو إنسان قد بلغ مرتبة مساوية للأكاسرة والقياصرة بعد أن كان مخلوقًا بسيطًا وصبيًا يتيمًا لا حول له ولا قوة . وأسس إمبراطورية عظيمة ظلت كذلك على مدى هذه القرون الأربعة عشر .

ولو أن الحب الشديد الذى يناله القائد هو المقياس للعظمة ، فإن مجرد ذكر اسم هذا النبى له تأثير الرقية الفاتنة - حتى فى يومنا هذا - على ملايين الأنفس المنتشرة فى جميع أنحاء العالم .

النبى الأمى :

لم يدرس محمد الفلسفة أو الحكمة فى مدارس أثينا أو روما أو فارس أو الهند أو الصين . ومع ذلك فقد استطاع أن يكشف للبشرية أسمى وأعلى الحقائق الخالدة القيمة . وبالرغم من كونه أميًا فقد كان يستطيع الكلام بفصاحة وحماسة تدفع الرجال

إلى دموع الفرحة . ومع أنه ولد يتيمًا وبلا أموال دنيوية فقد كان محبوبًا من الجميع .

كما أنه لم يدرس فى أية أكاديمية عسكرية ومع ذلك فقد كان يستطيع تنظيم قواته فى مواجهة ظروف مروعة وانتصر بواسطة القوات العسكرية ذات الخلق والدين التى كان ينظم ويرتب صفوفها بنفسه .

إنه نادرًا ما نجد الرجال الموهوبين بالقدرة الفائقة على الوعظ والحديث الجاد . وقد اعتبر « ديكارت »[١] (Descartes) الواعظ الماهر ضمن أندر أصناف الرجال فى العالم .

وقد عبر « هتلر »[٢] عن رأى مشابه فى كتابه « كفاحى » . حيث يقول : « من النادر أن يكون واضع النظريات (theorist) قائدًا عظيمًا . أما المحرك الاجتماعى أو السياسى فامتلاكه لتلك الصفات التى ترشحه للقيادة أرجح إلى حد بعيد . فهو دائمًا قائد أفضل . فالقيادة تعنى القدرة على تحريك جموع البشر . والقدرة على تقديم الأفكار لا علاقة لها بالقدرة على القيادة » .

ولكنه يضيف : « إن اتحاد صفات وضع النظريات والتنظيم والقيادة فى شخص واحد فى ظاهرة من النادر جدًا حدوثها فى هذا العالم . وهنالك تكمن العظمة » .

وقد شاهد العالم هذه الظاهرة النادرة تتجسد فى شخص عاش على الأرض هو نبى الإسلام .

يقول « كارلايل »[٣] فى كتابه « الأبطال وعبادة الأبطال » :

« لقد كان (محمد) رجلًا فقيرًا ، شديد الكدح ، غير قادر على الإعالة ، لا يهتم بما يجتهد فى طلبه الرعاع أو السوقة . وفيما أرى فإنه لم يكن امرؤ سوء ، ولم يكن طالب

---

(١) هو « رينيه ديكارت » (١٥٩٦ - ١٦٥٠ بعد المسيح) : فيلسوف وفيزيائى ورياضى فرنسى . يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة « المورد » (١٩٩٠) .

(٢) هو « أدولف هتلر » (Adolf Hitler) (١٨٨٩ - ١٩٤٥ بعد المسيح) زعيم ألمانيا النازية . أدت سياسته التوسعية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية . انتحر « المورد » (١٩٩٠) .

(٣) هو توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١) : كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنجليزى (المورد) (١٩٩٠) .

شهوة من أى نوع ، وإلا ما وقره هؤلاء الرجال الوحشيون[١] . الذين قاتلوا وخاضوا الملاحم طوع أمره خلال ثلاث وعشرين سنة ، وهم فى ذلك وثيقو الصلة به دائمًا ، كل هذا التوقير!

« لقد كانوا رجالًا وحشيين يندفعون بين الفينة والفينة بقوة إلى التشاجر وكل ألوان التشاحن العنيف . وما كان يستطيع أى رجل أن يقودهم بدون أن يمتلك القيمة الأخلاقية والشجاعة .

أو إنكم لتعجبون كيف دعوه واعتبروه نبيًا؟

أو لم يقف وسطهم ظاهرًا لهم يواجهونه ويخاطبونه بلا حاجب بينه وبينهم غير محاط بأى سر من الأسرار الدينية أو غموض ما . فكان يرى وهو يرقع ثوبه ويصلح نعله ، ويقاتل ويستشير ويصدر الأوامر وهو بينهم . فلابد أنهم أدركوا أى نوع من الرجال كان .

ولتسمه ولتدعه ما تشاء! إنه لم يطع إمبراطورًا جليلًا متوجًا مثلما أطيع هذا الرجل فى ثوب رقعه بنفسه .

وإننى لأجد أن خوضه ثلاثة وعشرين عامًا من التجارب الحرجة الصعبة يستلزم بالضرورة نوعًا من البطولة الحقيقية » .

والأعجب من ذلك ما يقوله القس « بوزوورث سميث » (Bosworth Smith):

« لقد كان رئيسًا للدولة ولجماعة تدين بنفس العقيدة ، لقد كان يجمع سلطة ومقام القيصر والبابا معًا ، ولكنه بابًا بدون خيلاء البابا وغروره ، وقيصر بلا فيلق[٢] أو حشوده وبلا جيش عامل ولا حارس شخصى ولا قوة من الشرطة ولا دخل ثابت . لو أن ثمة رجل

---

(١) عذر كارلايل أن ثقافته مستمدة من الكتاب المقدس حيث يقال له إن إسماعيل (عليه السلام) كان إنسانًا وحشيًا . واستنادًا إلى ذلك سواء بوعى أو من غير وعى منه أطلق صفة « الوحشية » على العرب بنى إسماعيل عليه السلام . فقد جاء فى الكتاب المقدس « وأنه (أى إسماعيل) يكون إنسانًا وحشيًا » (التكوين ١٦: ١٢) .

(٢) (الفيلق) وحدة من ثلثمائة إلى ستمائة جندى فى زمن قدماء الرومان « قاموس تشيمبرز للقرن العشرين » طبعة الهند (١٩٧٢) .

كان له الحق فى أن يدعى أنه يحكم بالحق الإلهى فقد كان هذا الرجل هو محمد . فقد كانت معه جميع السلطات من غير أن يكون معه ما يدعمها أو يحافظ عليها . وقد كانت بساطة حياته الخاصة متطابقة ومنسجمة مع حياته العامة » .

محمد الطاهر النقى :

لقد صارت مساحة تقدر بمليون ميل مربع تحت تصرفه بعد فتح مكة . إن سيد جزيرة العرب كان يصلح نعله ويرتق أو يرفو ملابسه الصوفية الخشنة ويحلب الشياه ويكنس البيت ويوقد النار ويقوم بالأعمال المنزلية الأخرى التى يعهد بها إلى الخدم عادة . وفى الأيام الأخيرة من حياته كانت المدينة حيث كان يقيم قد صارت أكثر غنى . وكان الذهب والفضة متوفرين فى كل مكان . وعلى الرغم من الرخاء الاقتصادى الذى كانت تشهده المدينة فى تلك الأيام فإن أسابيع كثيرة كانت تمضى من غير أن توقد النار فى بيت ملك جزيرة العرب[١] .

وكان طعامه يقتصر على (الأسودين) التمر والماء . وكان أهل بيته يبيتون جوعى ليالى عديدة متعاقبة لأنه ليس ثمة طعام يأكلونه فى تلك الليالى . ولم يكن محمد ينام على فراش وثير وإنما كان فراشه حصيرًا مصنوعًا من ألياف النخل بعد يوم شاق طويل . وقضى معظم ليله فى الصلاة[٢] .

وكثيرًا ما كان يندفع إلى البكاء بين يدى خالقه طالبًا أن يمنحه القوة للقيام بواجباته .

وكما تذكر لنا الروايات فقد كان صوته يكاد يحبس بسبب بكائه فيبدو كأنه أزيز[٣] مرجل[٤] بدأ يغلى على النار .

---

(١) يقصد محمدًا عبد الله ورسوله ﷺ . (المترجم)

(٢) استجابة وطاعة لأمر ربه فى القرآن الكريم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ (المزمل : ١ - ٤) (المترجم)

(٣) (الأزيز) : يقال لجوفه أزيز : صوت . و (أز) - أزًا ، وأزيزًا ، وأزازًا : تحرك واضطرب . (وأزَّ) : صوَّت من شدة الحركة أو الغليان ويقال : (أز) الرعد والقدر والطائرة . و (أز) القدر وبها : جعلها تئز من الغليان . (المعجم الوسيط)

(٤) (المرجل) : (القدر من الطين المطبوخ ، أو النحاس . (المعجم الوسيط) .

وكان كل ما يملكه يوم وفاته هو بضعة دراهم، قسم منها قضى به دين له وأعطى الباقى لبعض الفقراء الذين جاءوا إلى بيته يطلبون إحسانًا.

والثوب الذى كان يلبسه حينما فاضت روحه إلى بارئها كان به رقعًا عديدة.

أما البيت الذى طالما انتشر منه النور إلى العالم فكان معتمًا لأنه لم يكن فى المصباح زيتًا.

الثبات على المبدأ حتى الموت:

لقد تغيرت الظروف المحيطة به ولكن نبى الله لم يتغير. وكانت لمحمد نفس الشخصية سواء فى حال النصر أو الهزيمة وسواء فى حالة القوة أو المحنة وسواء فى ساعة اليسر أو العسر. فرسل الله وأنبياؤه لا يتبدلون كما لا تتبدل طرق الله وسننه ونواميسه.

محمد الأعظم[1]:

يقول المؤرخ الفرنسى لامارتين[2] فى كتابه: «تاريخ تركيا». طبعة باريس ١٨٥٤. المجلد الثانى ص ٢٧٦ و ٢٧٧:

«لو أن عظم الغاية

وصغر الوسائل وقلة الموارد

والنتائج المدهشة

هى ثلاثة معايير لعبقرية الإنسان، فمن يجرؤ على مقارنة أى رجل عظيم فى التاريخ الحديث بمحمد؟

إن أشهر الرجال صنعوا الأسلحة وشرعوا القوانين ووضعوا النظريات وأسسوا الإمبراطوريات فقط. فهم لم يؤسسوا - لو اعتبرنا أنهم أسسوا شيئًا يذكر - أكثر من قوى مادية أو سلطات مادية كثيرًا ما انهارت وزالت أمام أعينهم.

---

(١) هذا العنوان وما بعده من كلام المؤرخ الفرنسى لامارتين ملحق بنهاية الفصل الرابع من هذا الكتاب كهامش، مما يرجح أنه إضافة من قبل المركز العالمى للدعوة الإسلامية فى دربان بجمهورية جنوب إفريقية. وقد رأينا لاعتبارات فنية جعله فى المتن الأصلى للكتاب مع وجوب التنويه على ذلك. (المترجم)

(٢) هو «ألفونس دو لامارتين» (Alphonse de Lamartine) (١٧٩٠ - ١٨٦٩ بعد المسيح) شاعر وسياسى فرنسى. يعتبر أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانتيكية الفرنسية. «المورد» (١٩٩٠).

أما هذا الرجل، محمد، فإنه لم يحرك ويؤثر فى الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة فقط ولكنه حرك وأثر فى ملايين الرجال، بل الأكثر من ذلك أنه أزاح الأنصاب[١] والمذابح والآلهة الزائفة وأثر فى الأديان وغير الأفكار والاعتقادات والأنفس.

واستنادًا إلى كتاب كل حرف منه صار يمثل شريعة، أسس محمد قومية روحية (أو دينية) (spiritual nationality) امتزجت فيها بتآلف سويًا شعوب من كل لسان ومن كل جنس.

إن فكرة وحدانية الله التى أعلنها ونادى بها ودعا إليها وسط السأم الشديد من النظريات اللاهوتية[٢] الخرافية غير القابلة للتصديق (fabulous theologies)، كانت فى نفسها معجزة بحيث إنه بمجرد أن صرح بها دمرت جميع الاعتقادات الخرافية القديمة ..

إن صلواته ودعواته المتصلة، وأحاديثه الغيبية أو مناجاته مع الله، ووفاته ونجاحه وانتصاره بعد وفاته، كلها أمور لا تشهد على أنه كان دجالًا أو مدعيًا للنبوة ولكنها تشهد على إيمان راسخ منحه القوة لكى يحيى ويجدد العقيدة. وهذه العقيدة كانت ذات شقين هما: وحدانية الله وأن الله ليس كمثله شيء. فالشق الأول يثبت لنا ما لله (من أسماء

---

(١) (الأنصاب): جمع مفرده نصب. (والنصب): ما يذبح عليه لغير الله. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المَائدة: الآية ٣] (المائدة: ٣) ويقول خالد الزعفرانى فى مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبرى: «(وما ذبح على النصب) يعنى: حرم عليكم - أيضًا - ما ذبح على النصب وهى الأوثان. وكانت حجارة تجمع، ويذبح عليها» ويقول أيضًا «(الأنصاب) التى كانوا يذبحون عندها» ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: الآية ٩٠] و(النصب) أيضًا: ما نصب وعبد من دون الله. (المعجم الوسيط). (المترجم).

(٢) (اللاهوت): الألوهية، كما يقال الناسوت: لطبيعة الإنسان. و(علم اللاهوت): علم يبحث فى وجود الله وذاته وصفاته. ويقوم عند المسيحيين مقام علم الكلام عند المسلمين وسمى أيضًا علم الربوبية والإلهات. (المعجم الوسيط). قلت: ومقارنته بعلم الكلام عند المسلمي فيه نظر لما ورد فى الحديث النبوى من النهى عن التفكر فى ذات الله لأنه يؤدى إلى الهلاك. (المترجم)

وصفات) (what God is) والشق الآخر ينفى عنه ما ليس له (what God is not) . . .[1]

« .. حكيم وخطيب ورسول ومشرع ومقاتل وسيد على الأفكار ومحيى ومجدد للاعتقادات المعقولة والمنطقية ولدين بلا تماثيل ولا صور ، ومؤسس لعشرين إمبراطورية أرضية أو دنيوية (terrestrial) وإمبراطورية واحدة روحية أو دينية (spiritual) ، هذا هو محمد .

ووفقًا لكل المقاييس التى يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل : هل هناك أى إنسان أعظم منه؟ »

❁❁❁

---

(١) يعنى أن العقيدة الإسلامية كانت أشمل وأدق فيما يتعلق بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وذلك حين أثبتت ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه من أسماء وصفات وأفعال فى القرآن الكريم وما أثبته له رسول الله ﷺ من ذلك فى أحاديثه . ونفت ما نفاه الله تعالى عن نفسه من أسماء وصفات وأفعال فى القرآن الكريم وما نفاه عنه رسوله ﷺ من ذلك فى أحاديثه . (المترجم)

الفصل الخامس

تراث خالد للعالم

أكثر من أمين :

هناك قول مأثور بأن الرجل الأمين هو أفضل خلق الله . وقد كان محمد أكثر من أمين[١] . لقد كان إنسانًا بكل ما فى الكلمة من معان . وكانت سعادة نفسه ورضاها فى التعاطف والتواد والمحبة الإنسانية .

لقد كان الهدف من بعثته ورسالته وكل الغاية من حياته ومنتهاها هو أن يخدم الإنسان ، وأن يهذب الإنسان ، وأن يزكى الإنسان ، وأن يعلم الإنسان ، وباختصار أن يجعل من الإنسان إنسانًا متمدنًا متحضرًا .

لقد كان مصدر إلهامه الوحيد والقاعدة الهادية الوحيدة له فى أفكاره وأقواله وأفعاله هو المصلحة البشرية[٢] .

---

(١) (الأمين) : صفة من صفات النبى ﷺ اشتهر بها بين الناس حتى قبل بعثته . فقد عرف بالصادق الأمين . والكلمة التى استخدمها المؤلف فى الأصل الإنجليزى هى «أونست» (honest) وهى تعنى الأمين وتعنى أيضًا الصادق والمحترم والفاضل والمستقيم والصريح والمخلص . وكما هو معروف فإنها جميعها صفات تنطبق على محمد ﷺ . وقد اخترنا ترجمتها بلفظ الأمين لأنها الصفة التى اتصف بها وشاركه الأنبياء من قبله فى الاتصاف بها كما جاء فى القرآن الكريم عن موسى عليه السلام فى قول تبارك وتعالى : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القَصَص: الآية ٢٦] (المترجم)

(٢) نحن نؤمن بأن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية وحى من عند الله كما قال الله تبارك وتعالى : واصفًا عبده ورسوله فى كتابه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ (النجم : ٣ - ٥) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التّحريم: الآية ٣] وهو يدل على أن ثمة وحى آخر غير القرآن الكريم يظهر الله نبيه عليه . وكما قال ﷺ : «ألا إننى أوتيت القرآن ومثله معه» (معنى الحديث) . (المترجم)

لقد كان محمد غير متباه وغير متفاخر إلى أبعد الحدود وكان منكرًا لذاته إلى أقصى درجة . وما هى الألقاب التى اتخذها لنفسه؟ إنهما لقبان فقط : عبد الله ورسوله . عبده أولًا ثم رسوله . رسول نبى مثل كثير من الأنبياء فى كل مكان من هذا العالم بعضهم معروف لنا وكثيرًا منهم لا نعرفهم(١) .

وإذا لم يعتقد إنسان ما بأى من هذه الحقائق فإنه لم يعد مسلمًا . إنها من شروط إيمان جميع المسلمين .

يقول أحد الكتاب الغربيين :

« إذا نظرنا إلى الظروف المحيطة فى زمنه والاحترام غير المحدود من أتباعه له ، فإن أكثر الأمور إعجازًا فى شأن محمد هو أنه لم يدع أبدًا القوة أو القدرة على عمل المعجزات » .

لقد جرت المعجزات على يديه ولكن ليس لكى ينشر دينه . وكان يعزوها بالكلية إلى الله وقدرته التى هى فوق البحث والتفسير . وكان يقول بصراحة ووضح أنه بشر مثلهم(٢) . فلم يكن له كنوز فى الأرض ولا فى السماء . ولم يزعم أنه يعلم أسرار المستقبل . كل ذلك جرى فى زمن كانت تعتبر فيه المعجزات حوادث عادية ، تجرى بإرادة أقل القديسين قدرًا ، وعندما كان الجو كله مشحونًا بالإيمان بالقوة الخارقة الطبيعية سواء فى جزيرة العرب أو خارجها .

التوجه العلمى تركة محمد :

لقد وجه محمد انتباه أتباعه للنظر فى الكون وسننه حتى يفهمونها ويقدروا مجد الله حق قدره .

يقول القرآن :

---

(١) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٦٤] وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فَاطِر: الآية ٢٤] (المترجم) .

(٢) يقول الله تبارك وتعالى لنبيه فى القرآن الكريم : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠] المترجم

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ . (الدخان : ٣٨، ٣٩)[١]

إن العالم ليس وهمًا أو خدعة ولا هو مخلوق بلا هدف . إنه خلق بالحق . إن عدد آيات القرآن الداعية إلى تدبر الكون هى عدة أضعاف تلك الآيات المتعلقة بالصلاة والصوم والحج .. إلخ ، مجتمعة ، وقد بدأ المسلمون بتأثيرها يلاحظون الكون ملاحظة دقيقة وتولد عن هذا روح الملاحظة والتجربة العلمية التى لم تكن معروفة لقدماء اليونانيين .

إن ابن البيطار[٢] عالم النبات المسلم كتب مؤلفاته فى علم النبات بعد أن جمع النباتات من جميع أنحاء العالم وقد وصفه « ماير » (Mayer) فى كتابه (Gesch der Botanika) بأنه أحد أبرز علماء الصناعة .

وارتحل البيرونى[٣] مدة أربعين سنة لجمع العينات الخاصة بعلم المعادن . وقد رصد علماء الفلك المسلمون بعض المشاهدات الدقيقة على امتداد أكثر من اثنتى عشرة سنة ، بينما كتب أرسطو[٤] مؤلفاته فى علم الطبيعة بدون إجراء تجربة واحدة . وكتب بإهمال فى التاريخ الطبيعى مقررًا أن للإنسان أسنانًا أكثر من الحيوان بدون أن يكلف نفسه عناء التحقق بالتجربة من هذه الحقيقة التى يمكن إثباتها ببساطة شديدة .

---

(١) الخلق كله هو من أجل هدف حكيم عادل . ولكن الناس عادة لا يدركون ولا يفهمون ذلك ، لأنهم منغمسون فى جهلهم وحماقتهم وأهوائهم (المؤلف أو المركز العالمى للدعوة الإسلامية فى دربان بجمهورية جنوب إفريقية .

ملحوظة : هذا كلام المؤلف الهندوسى .

(٢) هو « عبد الله بن أحمد » (المعروف بابن البيطار) (توفى عام ١٢٤٨ بعد المسيح) : عالم نبات عربى أشهر مصنفاته : « الأدوية المفردة » . « المورد » (١٩٩٠) .

(٣) البيرونى (٩٧٣ - ١٠٤٨ بعد المسيح) : مؤرخ ورياضى وعالم فلكى عربى . قال بأن الأرض تدور حول محورها . « المورد » (١٩٩٠)

(٤) أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل ميلاد المسيح) : فيلسوف يونانى .؟ يعد واحدًا من أعظم الفلاسفة فى جميع العصور . « المورد » (١٩٩٠) .

الغرب مدين للعرب فى العلوم :

أخبر « جالين »[١] أعظم خبير فى علم التشريح التقليدى بأن الفك السفلى يتكون من عظمتين . وقد ظل هذا التقرير مقبولًا بلا اعتراض لقرون حتى تجشم عبد اللطيف مشقة فحص الهيكل العظمى للإنسان .

ويعطى « روبر بريفو » (Robert Briffault) فى كتابه المعروف « صناعة البشرية » (The Making of Humanity) عدة أمثلة أخرى مشابهة ثم يقرر :

« إن دين علمنا للعرب لا يكمن فى الاكتشافات المثيرة أو النظريات الثورية . إن العلم مدين لثقافة العرب[٢] بشيء أعظم من ذلك بكثير . إنه مدين لها بوجوده » . ويقول نفس المؤلف : « إن قدماء اليونانيين نظموا وصنفوا ورتبوا منهجيًا وعمموا ووضعوا النظريات ولكن الأساليب والطرق المتأنية فى البحث وتجميع العلم الإيجابى أو الحقيقى وطرق العلم الدقيقة والملاحظة الدقيقة والممتدة والبحث التجريبى ، كلها أمور بعيدة عن المزاج اليونانى ومخالفة له . إن ما نسميه علمًا نشأ فى أوروبا نتيجة لطرق جديدة للبحث ونتيجة لطريقة التجربة والملاحظة والقياس ونتيجة لتطور الرياضيات بشكل لم يكن معروفًا لليونانيين . .. إن هذه الروح وتلك الطرق أدخلت إلى العالم الأوروبى للمرة الأولى بواسطة العرب » .



---

(١) جالينوس (١٢٩ - ١٩٩؟ م) : طبيب يونانى . يعد أحد أكبر الأطباء فى العصور القديمة « المورد ١٩٩٠م» .

(٢) ما هو مصدر ثقافة العرب وحضارتهم غير القرآن والإسلام . انظر كتاب « التراث العربى للحضارة الغربية » تأليف « روم لاندو » وسوف نقوم بترجمته والتعليق عليه بعون الله قريبًا إن شاء الله . (المترجم)

الفصل السادس

محمد رسول الله ﷺ

الإسلام طريقة كاملة للحياة :

إن نفس الصفة العملية لتعاليم النبى محمد هى التى ولَّدت الروح العملية وجعلت أيضًا الأعمال اليومية وما يسمى بالأمور الدنيوية مقدسة .

إن القرآن يقول إن الله خلق الإنسان ليعبده[1] . ولكن كلمة « العبادة » هنا لها دلالة خاصة . فعبادة الله لا تقتصر على الصلاة وحدها ولكن كل عمل يرضى الله يُعمَل بهدف الفوز وهو فى مصلحة البشر يدخل فى نطاق هذه الكلمة .

إن الإسلام يقدس الحياة وكل سعى وكفاح فى الحياة ، مادام أن هذا الكفاح وذلك السعى عَمِلَ بأمانة وصدق وعدل ونوايا مخلصة .

والإسلام يلغى الفصل أو التمييز القديم بين ما هو دينى وما هو دنيوى . فالقرآن يقول أنك إذا أكلت الأشياء الطيبة وشكرت الله عليها . فإن هذا يعد عملًا من أعمال العبادة . وهناك مقولة لنبى الإسلام بأن اللقمة التى يضعها المرء فى فم زوجته هى من أعمال البر التى يثيبه الله عليها . وهناك حديث نبوى آخر معناه : « إن الذى يقضى شهوته يؤجره الله عليها مادام أتاها من طريق حلال » . فتعجب أحد المستمعين إليه قائلًا : « يا نبى الله إنما هو يستجيب لشهواته » . فأجابه النبى بما معناه « أرأيت إن أتاها عن طريق حرام أما كان عليه وزر؟ فكذلك إن أتاها من طريق حلال كان له فيها أجر » .

---

(١) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] . المترجم)

التعاليم السامقة :

إن هذا الفهم الجديد للدين على أنه يجب أن يهتم بتحسين هذه الحياة أكثر من انحصار اهتمامه بالأمور فوق الدنيوية أو العلوية (Supermundane) ، أدى إلى توجه جديد للقيم الأخلاقية . إن التأثير الثابت على العلاقات المشتركة للبشر فى أمور الحياة اليومية وسلطته الشديدة على الجماهير وتنظيمه لفهمهم للحقوق والواجبات وصلاحيته وموافقته للإنسان البدائى الجاهل وللفيلسوف الحكيم على حد سواء ، هى معالم مميزة لتعاليم نبى الإسلام .

الإسلام الصحيح والعمل الصالح هما الأساس :

يجب الأخذ فى الاعتبار بعناية بالغة أن هذا التأكيد والتركيز على الأعمال الصالحة فى الإسلام ليس على حساب صحة الإيمان .

وبينما تعظم إحدى المذاهب الفكرية الكثيرة الإيمان على حساب العمل[1] وتحض

---

(١) هذه هى مسيحية بولس كما شرحها فى رسائله التى بلغت أربع عشرة رسالة أو سفرًا من بين سبعة وعشرين سفرًا هى مجموع أسفار كتاب المسيحيين المقدس المعروف بالعهد الجديد . واشتهر بولس بلقب الرسول وهو اللقب الذى يطلقه المسيحيون أيضًا على تلاميذ المسيح الاثنى عشر الذين ينسب إليه اختيارهم . وبولس هذا ليس من تلاميذ المسيح ، بل ولم يشاهده ولم يتلق منه حرفًا واحدًا من الإنجيل بل كان مضطهدًا لأتباعه . وهو الذى تزخر رسائله بما يخالف تعاليم المسيح عليه السلام والنبيين من قبله ، وهو الذى نقض الوصايا والناموس أو الشريعة وأحل أتباع المسيح من التكاليف والأعمال وقال أن الإنسان لا يتبرر بالأعمال ، أو بحفظ الناموس ولكن بالإيمان : يسوع ابن الله الوحيد المصلوب . وقال إنه لم يزمع أن يعرف شيئًا إلا المسيح وإياه مطلوبًا . وهو الذى ادعى افتراء وكذبًا رؤية المسيح بعد رفعه وأنه اختاره وأرسله إلى الأمميين . وأن الله أفرزه (أى اختاره) وهو لم يزل جنينًا فى بطن أمه؟! كما تزخر رسائل بولس بالعقائد والتعاليم الوثنية وبالنفاق والاضطراب والتذبذب . وقد وصفه أحد تلاميذ المسيح عليه السلام فى إحدى أسفار العهد الجديد بالهذيان وبأن قراءاته الكثيرة فى كتب الفلاسفة وأساطير الأولين قد أفسدت عقله . إن ملايين المسيحيين يقدسون بولس ويقدمونه حتى على المسيح نفسه ، سيد بولس ومولاه وربه فى زعمه . وقد حذر المسيح من أنبياء كذبة ورسل كذبة وقال « فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى « أصغر » فى ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٨) . وهذا هو عين ما فعله بولس فهو الأولى بذلك اللقب كما قال سيده . فلا شك أن بولس هو « الأصغر » فى ملكوت الله وهو « الرسول الكذاب » وهو « ضد المسيح » . ولا شك أن بولس هو مبدل دين المسيح وليس أعظم من بشر به كما يعتقد أكثر المسيحيون المضللون . راجع تعليقنا على كتاب « الخمر بين المسيحية والإسلام » تأليف أحمد ديدات والمركز العالمى للدعوة =

الأخرى على الأعمال المختلفة بما يضر بالإيمان الصحيح[١]، نجد الإسلام مبنيا على صحة الإيمان والأعمال . فالوسيلة فى الإسلام تستوى مع الغاية فى أهميتها والغاية تماثل الوسيلة فى خطورتها . إنهما يعتبران وحدة عنصرية . وهما يعيشان ويزدهران معًا .

وكلاهما يضمحلان وينتهيان حين نفصلهما عن بعضهما البعض . إننا فى الإسلام لا يمكننا أن نفصل الإيمان عن العمل . فالعلم الصحيح يجب أن يترجم إلى عمل صحيح حتى تأتى النتائج الصحيحة المرجوة .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (الكهف : ١٠٧)

وكم وردت مثل هذه الكلمات فى القرآن؟ ليس أقل من خمسين مرة . ترددت مثل هذه الكلمات فى القرآن مرارًا وتكرارًا .

إن التفكير أو التدبر أمر مطلوب فى الإسلام ولكن مجرد التفكر أو التدبر ليس هو الهدف .

إن الذين آمنوا ولم يعملوا شيئًا لا يمكن أن يكون لهم وجود فى الإسلام .

أما الذين آمنوا ثم عملوا السيئات فقد وقعوا فى تناقض شديد .

إن الشرع الإلهى هو شرع يستلزم المجاهدة وليس شرعًا ذهنيًا أو نظريًا .

(Divine law is the law of effort and not of ideals)

إنه يهدى الناس إلى طريق الارتقاء السرمدى من العلم إلى العمل ومن العمل إلى الرضى .

= الإسلامية بجمهورية جنوب إفريقية بالهامش وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . وانظر كتاب « حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر » للأستاذ اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب . نشر مكتبة وهبة بالقاهرة . (المترجم)

(١) كما هو حال اليهود الذين يبالغون فى التقيد الشديد بالأشكال الخارجية فى الدين وبالطقوس الدينية وميلهم إلى الإتباع الحرفى للشريعة مع تجاهلهم لقصدها ومعناها الحقيقى وتنافيها مع الإيمان الصحيح . راجع من كتاب « المسيح فى الإسلام » تأليف أحمد ديدات وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر عن دار المختار الإسلامى ضمن سلسلة « مكتبة ديدات » . (المترجم)

الله لم يكن له كفوًا أحد[1] :

ولكن ما هو الإيمان الصحيح الذى ينشأ عنه العمل الصالح تلقائيًا ويسفر عنهما الرضا الكامل؟

إن العقيدة الرئيسية والتعليم الرئيسى فى الإسلام هى وحدانية الله . إن شهادة أن : لا إله إلا الله[2] ، هى الأساس الذى يتوقف عليها جميع تعاليم الإسلام وممارساته .

إن الله فرد[3] ليس كمثله شيء ، ليس فقط فيما يختص بذاته الإلهية ولكن أيضًا فيما يختص بصفاته الإلهية .

وفيما يتعلق بصفات الله فإن الإسلام يتخذ مسلكًا وسطًا قيمًا[4] كما هو شأنه فى الأمور الأخرى أيضًا .

فالإسلام يبطل من جهة الفكرة التى تسلب أو تجرد الذات الإلهية من كل صفة ويرفض من جهة أخرى الفكرة التى تشبهه بالأشياء المادية .

والقرآن يصرح من جهة أنه « ليس كمثله شيء »[5] ومن جهة أخرى يؤكد أنه سميع بصير عليم . إنه الملك المنزه عن العيب والخطأ والنقص . وملكوته الذى هو مظهر من مظاهر قوته ، يقوم على القسطاس والعدل . وهو الرحمن الرحيم . وهو على كل شيء حفيظ .

والإسلام لا يقف عند هذا الحد بهذا التقرير الإثباتى ، بل إنه يمضى - وهذه هى أكثر مميزاته الخاصة - فيضيف جانب النفى للمسألة . فلا يوجد أحد غير الله حفيظ

---

(١) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ . (الإخلاص : ١ - ٤)

(٢) إن الأساس الأول الذى بنى عليه الإسلام هو « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » . كما جاء فى الحديث المشهور « بنى الإسلام على خمس ... إلخ » . (المترجم)

(٣) (الفرد) : المنفرد المتوحد . (المعجم الوسيط)

(٤) (القيّم) أمر قيّم : مستقيم . والأمة القيّمة : المستقيمة المعتدلة . وفى التنزيل العزيز : ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: الآية ٥] (المعجم الوسيط) .

(٥) « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (من الآية ١١ من سورة الشورى)

على كل شيء . وهو الجبار . وهو يجبر[١] كل كسر ولا يوجد أحد غير الله يجبر كل كسر . وهو الذى يخلف على خلقه مهما كان مقدار الخسارة .

فلا إله إلا الله المنزه عن الحاجة ، خالق الأجساد وبارئ النَّسم[٢] ، مالك يوم الدين .

والقرآن يوجز هذا المعنى بقوله :

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: الآية ١١٠] .

مكانة البشر بين الخلق :

يقول القرآن عن مكانة الإنسان بالنسبة للكون : ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الجاثية : ١٢، ١٣)

أما عن مكانة الإنسان بالنسبة لله فيقول القرآن :

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[٣][٤] . (الملك : ١، ٢)

فعلى الرغم مما يتمتع به الإنسان إلى حد ما من حرية الإرادة فإن كل امرئ يولد فى ظروف خاصة ويظل يعيش فى ظل ظروف خاصة خارجة عن سيطرته ، ووفقًا للإسلام فإن الله يقول فى هذا الصدد ، إنها إرادتى أن أخلق كل إنسان فى ظل الظروف التى أرى أنها الأفضل له . والبشر القاصرون المحدودو العقل والعمر لا يستطيعون فهم السنن الكونية أو التدبير الإلهى فهمًا كاملًا . ولكنى بكل تأكيد سأبلوكم بالغنى والفقر وبالصحة والمرض وبالرفع والخفض .

(١) (جبر) : العظم الكسير جبرًا وجبورًا وجبارة : أصلحه . (المعجم الوسيط) .

(٢) (النسم) : (جمع واحده (النسمة) : (وهى) كل كائن حى فيه روح . (المعجم الوسيط)

(٣) « خلق الموت والحياة » : إن الموت فى هذا الموضع مقدم على الحياة . كما أنه مخلوق . ولذلك فهو ليس مجرد حالة سلبية . (المؤلف)

(٤) أورد المؤلف هنا الآية الثانية فقط من سورة الملك ولزيادة الإيضاح وفهم السياق رأينا إيراد الآية الأولى أيضًا . لذا لزم التنويه . (المترجم)

وطريقتى فى الابتلاء تختلف من إنسان لإنسان ومن ساعة لأخرى . ولكن لا تيأسوا عند الفقر .

ولا تلجئوا إلى الوسائل المحرمة[١] . فما هذه الحياة إلا مرحلة زائلة لا محالة .

ولا تنسوا الله فى الغنى ، فما أعطاك الله إنما هو على سبيل الأمانة أو الوديعة[٢] . وأنت دائمًا أبدًا فى اختبار وفى كل لحظة فى امتحان .

وفى هذه الحياة الدنيا « ليس لهم أن يعقلوا العلل والأسباب وإنما عليهم أن يعملوا ثم يموتوا » .

فإذا عشت فعش فى توافق مع الله وإذا مت فمت على منهج الله أو فى سبيل الله .

ولنسم هذا التصور بالجبرية[٣] (Fatalism) . ولكن هذا النوع من الجبرية هو حالة من الجهد الشديد المتزايد الذى يجعلك دائمًا يقظًا حذرًا .

ولا تعتبر هذه الحياة الدنيا الزائلة منتهى الوجود البشرى . فهناك حياة بعد الموت وهى حياة خالدة . إن الحياة بعد الموت هى مجرد وصلة ربط أو باب يفتح على الحقيقة الغائبة للحياة[٤] .

---

(١) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النّساء: الآية ٦] .
ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (من الآية ٨ من سورة المائدة) .

(٢) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحَديد: الآية ٧] . .

(٣) لا جبرية فى الإسلام وإنما هو القدر . فأحد أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره . فالإنسان ليس مسيرًا على الإطلاق ولا مخيرًا على الإطلاق وإنما هو « ميسر لما خلق له » . ولمن أراد الاستزادة فى هذه المسألة الخطيرة فليرجع إلى كتاب « شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » لابن قيم الجوزية . (المترجم)

(٤) ربما يقصد هنا الحياة البرزخية التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٠] . قال خالد الزعفرانى فى مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبرى : (برزخ) حاجز : وهى الفترة بين البعث والموت) .
وقال تبارك وتعالى عن فرعون وأهل طاعته : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: الآية ٤٦] . وجاء فى الحديث أن « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » . مما يدل على أن الموتى ينعمون أو يعذبون فى قبورهم فى هذه الحياة البرزخية إلى يوم البعث وهو يوم القيامة حيث يبعثهم الله تبارك وتعالى : ويخلد المبعوثون إذ لا موت ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدّخان: الآية ٥٦] فريق فى الجنة وفريق فى السعير . (المترجم)

وكل عمل فى الحياة الدنيا مهما كان ضئيلًا يحدث أثرًا باقيًا[١] ، ويتسم تسجيله بدقة بطريقة ما[٢] .

الدنيا إعداد للآخرة :

إن بعض طرق الله معروفة لك ولكن كثيرًا منها يخفى عليك . وسوف ينكشف ويتضح أمامك فى الآخرة ما كان مستورًا عنك ومخفيًا داخلك فى هذه الحياة الدنيا . وسوف يسعد المحسنون بأنعم الله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وسوف يتقدمون وسوف يرتقون فيبلغون الدرجات العلا من الجنة .

وأولئك الذين أضاعوا الفرصة فى هذه الحياة الدنيا سوف يخضعون للسنة الحتمية بأن يذوقوا وبال ما كسبوا ويخضعون لفترة تطهير من الذنوب التى عملتها أيديهم .

والحذر كل الحذر فإن الحساب عسير . إنه يمكنك أن تتحمل الألم الجسدى إلى حد ما . ولكن العذاب الروحى هو جهنم[٣] ولن تستطيع تحمله .

---

(١) يقول تبارك وتعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ (الزلزلة : ٧، ٨)

(٢) وذلك بواسطة الملائكة الحفظة الكرام الذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ (الانفطار : ١٠ - ١٢) وقول سبحانه وتعالى ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٨٠] (الزخرف : ٨٠) وقوله تبارك وتعالى ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: الآية ٢١]

وقوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ . (الإسراء : ١٣، ١٤)

(٣) إن عذاب جهنم مادى ومعنوى أيضًا . فالبعث والحشر بالجسد والروح . ومما يدل على أن عذاب جهنم مادى قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ . (المزمل : ١٢، ١٣) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء : ٥٦) وقال تعالى ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًاإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماًكَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ (العلق : ١٥، ١٦) وقال تبارك وتعالى : ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمّد: الآية ١٥] (من الآية الخامسة عشرة من سورة محمد) وقال سبحانه وتعالى ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝٥٦﴾ (الواقعة : ٥٤ - ٥٦) وقال تعالى =

ولتجاهدن فى هذه الحياة الدنيا نزعات النفس الأمارة بالسوء[1] التى تغويك وتغريك على ارتكاب الظلم . ولتصلن إلى المرحلة التالية حينما تستيقظ فى ضميرك النفس اللوامة[2] وترغب النفس فى بلوغ الامتياز الأخلاقى وتثور ضد التمرد والعصيان . وهذا سيصل بك إلى المرحلة الأخيرة مرحلة النفس المطمئنة[3] الراضية بالله والتى تجد السعادة والفرح بالله وحده . فلا تزل النفس بعد هذا . فتولى مرحلة الكدح . وينتصر الحق ويزهق الباطل . وتنحل حينئذ جميع العقد . ولن يكون بيتك منقسمًا على نفسه . وستتوحد وتتحد شخصيتك حول جوهر التسليم الرئيسى لإرادة الله وتسلم تسليمًا كاملًا لغاية الله البصيرة (divine purpose) . وستنطلق حينئذ فى سلام ، وسيخاطبك الله[4] عندئذ قائلًا :

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر : ٢٧ - ٣٠)

مصير الإنسان :

هذه هى الغاية النهائية للإنسان . أن يصبح من ناحية سيدًا للكون ، وأن يدرك من ناحية أخرى أن نفسه ستطمئن بالإيمان بربها ليس فقط برضى ربه عنه ولكن برضاه عن

= ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (الدخان : ٤٣ - ٤٩) وقال تعالى : ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: الآية ٢١] . كما أن عذاب جهنم قد يكون معنويًا أيضًا وهو ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: الآية ٢٢] (المترجم) .

(١) وهى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم على لسان امرأة العزيز فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف : ٥٣)

(٢) وهى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم حيث أقسم الله سبحانه وتعالى بها فى قوله تعالى : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ (القيامة : ١، ٢)

(٣) وهى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٧]

(٤) يقول خالد الزعفرانى فى مصحف القادسية لمفسر مختصر تفسير الطبرى « (ارجعى إلى ربك) : تأمرها الملائكة عند البعث أن ترجع إلى جسد صاحبها (راضية مرضية) وعنى بـ « الرب » صاحبها » . (المترجم)

ربه أيضًا ، وسينتج عن ذلك ؛ الاطمئنان كل الاطمئنان والرضا كل الرضا والسلام كل السلام .

ويصير حب الله فى هذه المرحلة بمثابة زاده فينهل من أعماق ينبوع الحياة . فلا الحزن ولا العجز يغلبه ولا النجاح يجعله فرحًا فخورًا .

وقد كتب توماس كارلايل منبهرًا بهذه النظرة الحكيمة عن الحياة فى كتابه « الأبطال وعبادة الأبطال » يقول :

« ثم إن الإسلام أيضًا يعنى أنه ينبغى أن نسلم ونخضع لله ، وأن قوتنا الكاملة وعافيتنا إنما تكمن فى الطاعة المذعنة لله . ومهما فعل بنا ، ومهما أنزله بنا أو بعثه علينا من شيء ، وإن كان الموت أو ما هو أسوأ من الموت ، فهو الشيء الطيب والأفضل لنا ، ونحن نسلم أمرنا لله » .

ويمضى توماس كارلايل يقول « إن جوته »[1] يقول :

« إذا كان هذا هو الإسلام ، ألسنا جميعًا نحيا بالإسلام؟ » .

إن توماس كارلايل يجيب بنفسه عن هذا السؤال الذى طرحه جوته بقوله :

« بلى ، نحن جميعًا نحيا كذلك ، كل من يحيا منا حياة أخلاقية . وهذه أيضًا أسمى حكمة أنزلها الله إلى أرضنا » .

ويمضى توماس كارلايل قائلًا :

« إن رسالة هذا الرجل (محمد ﷺ إنما هى صوت نابع من الفطرة . إن الناس يصغون وينبغى أن يصغوا إلى هذه الفطرة كما لم يصغوا إلى شيء آخر . فكل شيء آخر بالمقارنة لها إنما هو لغو . .» .

---

(١) هو « يوهان فولفجانج فون جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢ بعد المسيح) شاعر ألمانى : يعتبر أعظم الشعراء الألمان فى جميع العصور . « المورد » (١٩٩٠) ومن أشهر أعماله : مسرحية « فاوست » و « الديوان الشرقى والغربى » . وقد أفرد مجموعة من قصائده فى مدح رسول الله ﷺ سماها « أنشودة محمد » . ويغلب على شعره الطابع الصوفى . (المترجم)

شهادة غير المسلمين فى محمد ﷺ والقرآن[1]

١- يقول « إدوارد جيبون »[2] وسيمون أوكلى » فى كتاب « تاريخ الإمبراطورية العربية الإسلامية » طبعة لندن (١٨٧٠) ص ٥٤:

« لا إله إلا الله محمد رسول الله هى عقيدة الإسلام البسيطة والثابتة . إن التصور الفكرى للإله (فى الإسلام) لم ينحدر أبدًا إلى وثن مرئى أو منظور . ولم يتجاوز توقير المسلمين للرسول أبدًا حد اعتباره بشرًا ، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتنان والعرفان تجاهه ، داخل حدود العقل والدين » .

٢- يقول « ديوان شند شرمة » فى كتابه : « أنبياء الشرق » . طبعة كلكتا (١٩٣٥) ص ١٢٢:

« لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدًا » .

٣- يقول « جون وليام دربير » الحاصل على دكتوراة فى الطب والحقوق فى كتابه « تاريخ التطور الفكرى الأوروبى » . طبعة لندن (١٨٧٥) المجلد الأول ، ص ٢٢٩ و ٢٣٠:

« ولد فى مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩ بعد المسيح ، بعد أربع سنوات من موت جوستنيان الأول[3] ، الرجل الذى كان له من دون جميع الرجال ، أعظم تأثير على الجنس البشرى .. وهو محمد » .

٤- يقول ر . ف . س . بودلى فى : « الرسول » لندن (١٩٤٦) ص ٩:

---

(١) هذا الملحق موجود بنهاية الطبعة الإنجليزية الرابعة للكتاب الصادرة عن المركز العالمى للدعوة الإسلامية فى دربان بجمهورية جنوب إفريقية فى يونيو سنة ١٩٨٨ بعد المسيح . (المترجم) .

(٢) إدوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤ بعد المسيح) . مؤرخ إنجليزى ، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز فى عصره . « المورد » (١٩٩٠) .

(٣) جوستنيان أوبوستنيانوس الأول (٤٨٣ - ٥٦٥ بعد المسيح) : إمبراطور بيزنطى (٥٢٧ - ٥٦٥ بعد المسيح) جمع الشرائع الرومانية ودونها . « المورد » (١٩٩٠) .

« إننى أشك أن أى إنسان لا يتغير لكى يلائم ويوافق التغيرات الكثيرة جدًا فى ظروفه الخارجية ، كما لم يتغير محمد » .

٥- يقول هـ - أ . ر . جب[١] فى كتاب « المحمدية »[٢] طبعة لندن (١٩٥٣) ص ٣٣:

« إنه من المسلم به عالميًا بصفة عامة أن إصلاحاته (أى محمد) رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الاجتماعى والشرعى »[٣] .

٦- ويقول « جون أوستن » فى مقال له بعنوان « محمد نبى الله » فى مجلة ت . ب . وكاسل الأسبوعية فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧ بعد المسيح :

« لقد أصبح محمد بالفعل فى خلال ما يربو قليلًا عن العام ما يمكن أن نسميه بالحاكم الروحى والدنيوى للمدينة ، ويده على الرافعة التى كان مقدر لها أن تهز العالم » .

٧- ويقول « ج . كرستى ولسن » فى كتاب « التعريف بالإسلام » طبعة نيويورك (١٩٥٠) ص ٣٠:

« يعد القرآن أكثر الكتب الدينية فى العالم إجلالًا وأكثرها قوة بعد الكتاب المقدس »[٤] .

---

(١) هو « هاملتون الكسندر جب » (١٨٩٥): مستشرق إنجليزى. عني بتعريف الغربيين بالتراث الإسلامي. «المورد . (١٩٩٠) .

(٢) يقصد الإسلام . ولكن كبر على المشركين ما يدعوهم محمد ﷺ إليه ، فنسبوا الدعوة والرسالة إليه لكى ينفوا نبوته ورسالته ظلمًا وعلوا واستكبارًا ومكرًا ولكن هيهات ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٢] (المترجم)

(٣) لقد أعطى الإسلام المرأة الحق فى الحياة والحرية وقد كانت توءد من قبل وتُوَرَّث . وأعطاها الحق فى أن ترث وتشهد وتبيع وتشترى وتمتلك وسمح لها بالمشاركة فى البناء الروحى والفكرى والمادى وبجملة الحضارى للأمة . وهى جميعها حقوق ومجالات كانت محرومة منها ومحظورة عليها قبل أن يقررها الإسلام . (المترجم) .

(٤) إننا لن نعترض على هذه المرتبة الثانية للقرآن باعتبارها صادرة عن ناقد مسيحى للإسلام . (المؤلف أو المركز العالمى للدعوة الإسلامية) لمزيد من التعرف بالقرآن وأوجه عظمته اقرأ كتاب : « الطريق إلى القرآن » وسوف أقوم بترجمته والتعليق عليه ليصدر إن شاء الله ضمن سلسة « مكتبة ديدات » نشر المختار الإسلامى بالقاهرة . (المترجم)

٨- ويقول « تشارلز فرانسيس بوتر » فى كتاب « الأديان التى يحيا بها البشر » . نشر كينجزوود ، سرى (١٩٥٥) ص ٨١:

« إن القرآن هو الأكثر قراءة من أى كتاب آخر فى العالم .

قد يكون الكتاب المقدس المسيحى أكثر الكتب مبيعًا فى العالم ، ولكن هناك حوالى ٢٥٠ مليون مسلم[1] من أتباع النبى محمد يقرءون أو يتلون أجزاء طويلة من القرآن خمس مرات يوميًا فى كل يوم من أيام حياتهم من يوم استطاعتهم الكلام » .

٩- ويقول « ج . شليدى » أستاذ اللاهوت فى كتاب « السيد المسيح فى القرآن » طبعة سورات (١٩١٣) ص ١١١:

« إن القرآن هو كتاب المحمديين[2] المقدس . وهو ينال توقيرًا أكثر من أى كتاب مقدس آخر ، أكثر من العهد القديم اليهودى والعهد الجددي المسيحى » .

١٠- ويقول « هـ . أ . ر . جب »[3] فى كتاب « المحمدية » طبعة لندن (١٩٥٣) ص ٣٣:

« إذن لو كان القرآن من تأليف محمد لكان من الممكن أن ينافسه ويضارعه رجال آخرون . وليأتوا بعشر آيات من مثله مفتريات . وإذا لم يستطيعوا (ومن الواضح أنهم لم يستطيعوا) فليقبلوا القرآن كمعجزة وبرهان ظاهر » .

١١- ويقول « باسنتا كوماربوز » فى كتاب « المحمدية » طبعة كلكتا (١٩٣١) ص ٤:

« فلم يكن هناك مجال لأى تزييف أو حيلة كاذبة فى القرآن وهذا ما يميزه عن جميع الأعمال الدينية[4] الهامة تقريبًا التى ترجع إلى الأزمنة القديمة ..

---

(١) آخر الإحصاءات تقدر عدد المسلمين فى العالم اليوم بمليار نسمة . (المؤلف أو المركز الإسلامى) .
(٢) راجع ما ذكر عن هذا الموضوع فى هذا الكتاب . (المترجم)
(٣) سبق التعريف به بالهامش .
(٤) إن القرآن ليس « عملًا » دينيًا بمفهوم اللغة أو النقد الأدبى للكلمة ولكنه كتاب هداية وشريعة وتنزيل من رب العالمين . (المترجم)

إنه لأمر بعيد جدًا أن يكون هذا الإنسان الأمى قد ألف أفضل كتاب فى اللغة العربية » .

١٢- ويقول « أ. س . تريتون » فى كتاب « الإسلام » طبعة لندن (١٩٥١) ص ٢١ : « إن صورة الجندى المسلم المتقدم وبإحدى يديه سيف وبالأخرى مصحف هى صورة زائفة تمامًا » .

١٣- ويقول « دو لاسى أوليرى » فى كتاب : « الإسلام فى مفترق الطرق » طبعة لندن (١٩٢٣) ص ٨:

(وبالرغم من ذلك فقد أوضح التاريخ أن الأسطورة القائلة باجتياح المسلمين المتعصبين للعالم وفرضهم الإسلام على الأجناس المقهورة تحت تهديد السلاح ، هى إحدى كبرى الأساطير أو الخرافات الخيالية ، التى رددها فى أى وقت المؤرخون ، سخافة ومنافاة للعقل » .

❋❋❋

المراجع

أولاً: مصادر تعليقات المترجم

١- القرآن الكريم .

٢- صفوة البيان لمعانى القرآن . الشيخ حسنين محمد مخلوف .

٣- مصحف القادسية المفسر «مختصر تفسير الطبرى» .

٤- الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط (١٩٨٧م)

٥- زاد المعاد فى هدى خير العباد . ابن قيم الجوزية .

٦- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى . ابن قيم الجوزيه . تقديم وتحقيق وتعليق د . أحمد حجازى السقا . المكتبة القيمة . الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ) .

٧- حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر - الأستاذ اللواء أحمد عبد الوهاب . مكتبة وهبة . الطبعة الأولى (١٩٨١م) .

٨- هل الكتاب المقدس كلام الله؟ أحمد ديدات ترجمة نورة أحمد النومان .

٩- محمد ﷺ بشارة المسيح . أحمد ديدات ترجمة وتعليق محمد مختار .

١٠- الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام . أحمد ديدات ترجمة وتعليق محمد مختار . المختار الإسلامى الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

١١- العرب وإسرائيل صراع أم مصالحة؟ أحمد ديدات .. تقديم د . مصطفى الشكعة . ترجمة وتعليق محمد مختار . مكتبة النور . الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

١٢- المسيح فى الإسلام . أحمد ديدات . ترجمة وتعليق محمد مختار . المختار الإسلامى - الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .

١٣- من المعمدانية إلى الإسلام . أحمد ديدات . جهادة جلكرير ، ترجمة وتعليق محمد مختار . المختار الإسلامى . الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

١٤- الخمر بين المسيحية والإسلام. أحمد ديدات. المركز العالمى للدعوة الإسلامية بدربان فى جمهورية جنوب إفريقية. ترجمة وتعليق محمد مختار. المختار الإسلامى. الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

١٥- المعجم الوسيط.

١٦- المورد (١٩٩٠م).

ثانيا : المراجع الأجنبية

1.50,000 Errors in the Bible ? Islamic Propagation Centre International. Durban, Republic of South Africa, reprint of pages 25 and 16 of Awake) (a Christian magazine) Volume XXXVIII Number 17, Brooklyn, New York, U.S.A. September 8, 1957 .

2. Webster New Collegiate Dictionary (1977) G & C. Merriam Campany, Spring Field, Massachusetts, U. S. A.

3. Chambers Twentieth Century Dictionary (New Ed 1972, Reprint (1973) Allied Publishers Private Ltd; New Delhi, India.

❁❁❁

ديدات يحاضر فى أبناء مكة المكرمة :

الكتاب المقدس يؤكد نزول الوحى على النبى ﷺ

« كيف كانت بداية الوحى على النبى ﷺ وما هى الأشياء التى وردت فى الكتاب المقدس (الإنجيل) والتى تؤكد صدق رواية الوحى؟ » كان هذا عنوان المحاضرة القيمة التى ألقاها الداعية الكبير الشيخ أحمد ديدات فى نادى مكة الثقافى وحضرها عدد غفير من أبناء مكة المكرمة وتحدث فيها عن تجربته الثرية فى مجال الدعوة والمناظرة مع أتباع الديانات الأخرى، كما تحدث عن الأصولية وما يريده الغرب من إلصاق تهمة التطرف والإرهاب بالمسلمين فى يومنا هذا.

بدأ فضيلة الشيخ أحمد ديدات محاضرته بالقول أن موضوعها كان وليد الساعة ولم يكن سابق التحديد، وذكر أن ما أوحى إليه بالموضوع هو زيارته إلى غار حراء بجبل النور صباح يوم المحاضرة وهو المكان الذى كان النبى ﷺ يمضى فيه كثيرًا من الوقت مرارًا وتكرارًا فى تأمل هادئ آمن، ليس انتظارًا لأن يبعث نبيًا فلم يكن يدور بخلده أدنى تصور كهذا، بل تفكرًا فيما آل إليه حال قومه أهل مكة أيام الجاهلية من انغماس فى الرذائل كشرب الخمر والزنى والقمار والتقاتل لأتفه الأسباب ووأد البنات والزواج من زوجات الآباء لدرجة صاروا فيها وحسب وصف المؤرخ الكبير جيبون – لا يتميزون عن الحيوانات سوى بهيئاتهم كبشر. وقال إنه فى هذا المكان بدأ الوحى ينزل على النبى ﷺ حيث نزلت أول خمس آيات من القرآن وهى التى فى أول سورة العلق وذلك عندما ألقاها إليه جبريل عليه السلام بلسان عربى مبين قائلًا : « اقرأ ».

تأكيد الكتاب المقدس للوحى :

وذكر ديدات أن الراوية السابقة عن بداية نزول الوحى على النبى ﷺ قد جاء ما يؤكدها فى الكتاب المقدس لليهود والنصارى، كما يفضل فضيلته تسميته – وليس الإنجيل. وأوضح أن هذا الكتاب ينقسم إلى قسمين هما : العهد القديم الذى يؤمن به كل اليهود والنصارى على أنه كلام الله، والعهد الجديد الذى يؤمن به النصارى وحدهم

أنه كلام الله وأن هذا الكتاب المقدس عبارة عن موسوعة تضم أسفارًا أصغر تبلغ ستًا وستين منها : سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر العدد ، وسفر التثنية وغيرها من الأسفار . وقال ديدات أن الجزء الذى جاء فيه تأكيد لتلك الرواية هو فى سفر « أشعياء » أحد كتب العهد القديم الذى يؤمن به كل من اليهود والنصارى على أنه كلام الله ، حيث ورد فى الفصل التاسع والعشرين منه النص رقم ١٢ الذى يقول : « فى الكتاب المنزل إليه ، وهو الأمى ، قل : اقرأ فيقول : ما أنا بقارئ »(١) ، وأشار إلى أنه وردت نبوءات كثيرة فى الكتاب المقدس عن مجئ نبينا ﷺ مؤكدة الآيات القرآنية فى هذا الخصوص . مثال ذلك آية « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله » . ورد تأكيدها فى كتاب التثنية فى النص رقم ١٨ : ١٨ الذى يقول : « أقيم لهم نبيًا من سط إخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به » .

نقطة التحول

وقال ديدات عن نفسه أنه إنسان عادى مثل بقية الناس رغم ما يتردد عنه فى أوساطهم من أنه عالم كبير ، فهو لم يدرس فى أية جامعة وإنما بدأ حياته بائعًا فى بقالة ومعرض أثاث وسائقًا لشاحنة وإنه كان شغوفًا بالقراءة فكان يقرأ كل ما تقع عليه عينه ويتحدث بلا ملل عن كل ما يقرأ حتى بلغ بحمد الله تعالى ما هو عليه الآن من احتراف للدعوة إلى الله والدفاع عن الإسلام . وذكر أن اهتمامه بمناظرة غير المسلمين يعود إلى ما قبل خمسين عامًا حين ترك المدرسة والتحق بالعمل بائعًا فى بقالة ريفية ، وأمام البقالة كان يقع مقر بعثة تنصيرية أمريكية . وكان منصرو هذه البعثة يأتون للتسوق . وكانوا كثيرًا ما يستفزونه هو وزملاءه الآخرين الذين يعملون فى البقالة بعد أن علموا إنهم مسلمون وذلك بطرح أسئلة عليهم تشوه صورة الإسلام . وقال ديدات إن الفرج جاءه بعد عثوره على كتاب « إظهار الحق » باللغة الإنجليزية وهو كتاب أعد لمساعدة مسلمى الهند فى الرد على النصارى وساعده الكتاب فى معرفة الكتاب المقدس وما فيه من تناقضات .

---

(١) « أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة » (إشعياء ٢٩: ١٢) . ترجمة دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط (١٩٨٧م) .

حفظ الأدلة سلاح للدفاع عن الدين

وفى المحاضرة نبه ديدات إلى تقصير المسلمين فى أداء واجب الدفاع عن دينهم ضد اليهود والنصارى فالمسلم عندما يواجه بادعاء من قبل يهودى أو نصرانى لا يطالبه بالبرهان ، مخالفًا بذلك التوجيه الربانى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . وإنما يصمت أو قد يرد بما كتبه المسلمون أنفسهم ، ولكنه لا يعمد للاستدلال بما ورد فى كتب المدعى نفسه . وقد بين فضيلته أن معرفة الأدلة ونشرها يعتبر ذا أهمية بالغة امتثالًا للتوجيه النبوى : « بلغوا عنى ولو آية » . لأن الآية هى السلاح المعين فى الدفاع عن الدين ، فبدون معرفة الأدلة وحفظها عن ظهر قلب يتعذر الدفاع مهما علت درجة المدافع العلمية أو كبرت عمامته ، لذلك كان فضيلته مهتمًا وبشكل تلقائى بهذا الأمر وحتى قبل أن يعرف مضمون التوجيه النبوى ، فكان مغرمًا بحفظ الأدلة عن ظهر قلب وبالذات من الكتاب المقدس للتسلح بها فى الدفاع بها عن الدين حتى – أصدقاءه لقبوه يومًا بلقب « ألف وثمانمائة وثمانية عشر » من كثرة ما كان يردد ويتحدث عن نص (سفر التثنية ١٨ : ١٨) فى الكتاب المقدس يشير إلى نبينا محمد ﷺ ويحمل نفس الرقم . وذكر فضيلته أنه يحفظ كثيرًا من الأدلة عن ظهر قلب بلغات مختلفة مثل السواحلية والأندونيسية والنيجيرية والأسبانية والعبرية والزولوية بالإضافة إلى العربية للاستعانة بها عند اللزوم للدخول إلى قلب المتكلمين بهذه اللغات وإقناعهم .

مدرسة للدعاة تخلف ديدات

وجوابًا عن سؤال آخر يدعو إلى قيام فضيلته بإنشاء مدرسة لإعداد الدعاة تخلفه فى الرد على اليهود والنصارى الذين عكروا فى هذه الأيام حياة المسلمين ، طلب ديدات أن يكف الآخرون عن ممارسة أقدم لعبة عرفها الإنسان وهى تحميل المسئولية للغير بدلًا من أن يتحملوها بأنفسهم ؛ إذ يروى الكتاب المقدس أن آدم عليه السلام برر أكله من الشجرة التى نهى عن الكل منها بأنه ما كان ليفعل ذلك لو أن الله لم يرسل إليه حواء التى زينت له ذلك ، ودعا إلى أن يتحمل كل فرد مسئوليته وأن يبدأ بالعمل حسب قدراته . واعتذر عن عدم قدرته على الاستجابة لتلك الدعوة وأنه يكفيه أن قام بكتابة تسعة عشر كتابًا يمكن لكل واحد منها أن يكون مادة دراسية فى مجال الدعوة . واستعرض عناوين تلك الكتب

التى منها : « ما اسمه؟ » . « خمسون ألف خطأ فى الكتاب المقدس » ، « المسيح فى الإسلام » ، « هل الكتاب المقدس كلام الله؟ » ، « من حرك الحجر؟ » ، « ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ » ، « محمد الخليفة الطبيعى للمسيح » ، « محمد الأعظم » ، « العرب وإسرائيل » ، « القرآن معجزة المعجزات » ، « المسلم فى الصلاة » ، « محمد نبى الإسلام » ، « الطريق إلى القرآن » ن « الصلاة » ، « النبى هو الأول » .

تشويه مفهوم الأصولية

وتعليقًا على سؤال ثالث يتذمر فيه سائله من كثرة استخدام وسائل الإعلام الغربية لكلمة « الأصولية » للإشارة إلى المسلمين وكيفية العمل لجعلها تكف عن ذلك ، قال ديدات أن كلمة أصولية تعنى التمسك القوى بالتعاليم الأصولية للدين والعقيدة وهى بذلك تعتبر كلمة جميلة ، فنحن نؤمن بإله واحد ولا نساوم على ذلك ، ونعتقد أن نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء ولا نتزحزح عن ذلك ، ونصلى خمس مرات فى اليوم ولا نساوم على ذلك . هذه هى الأصولية . فالجزائرى والإيرانى والسعودى وأى شخص آخر يتمسك بتعاليم الإسلام بثبات فهو أصولى ، وإننا كلنا أصوليون لأننا نتمسك بمبادئنا ولا نساوم عليها ولا نناقش فيها ، ولكن الغربيين شوهوا الكلمة بإعطائها معنى مغايرًا ، يتضمن أن الأصولى إنسان متخلف ومتعصب وغير منطقى وإرهابى ، مثلما فعلوا بكلمات أخرى فأطلقوا اسم « ابن الحب » على ابن الزنى واسم « المرح » على « اللواطى ! » وقال ديدات أن تشويه وسائل الإعلام الغربية لمفهوم الأصولية ينبغى أن ينظر إليه على أنه فرصة وهبها الله لنا لنستفيد منها فى الصحافة ، إلا أننا لا نستفيد منها ، إننا لكى نستفيد منها يجب أن نكتب للصحافة المرة تلو الأخرى وبلا ملل ودون انتظار المختصين مثل أحمد ديدات أو ابن باز أو عبد الله نصيف للقيام بالرد لأن الرد مهمة كل مسلم .

ويقول ديدات أن تجربته تشير إلى أن اليهود والنصارى عمومًا مهتمون بالإسلام ولكنهم مغسولو الأدمغة ومبرمجون نحو اتجاهات معينة وأن واجب المسلمين هو العمل على إعادة برمجة هؤلاء وذلك بمجادلتهم وإقناعهم بالحجة والبرهان .

❁❁❁



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب من كتب الداعية الأستاذ أحمد ديدات من سلسلة الشيقة والمفيدة فى موضوع مقارنة الأديان والذى يقوم فيه بمحاورة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ومن خلال كتبهم التى يعترفون بها مجيبًا على سؤال طالما حير علماء اللاهوت وأرق مضجعهم وهو « من حرك الحجر » (مرقس ١٦ : ٣) والإجابة المنطقية على هذا السؤال واضحة إلا أنها ستكون ضد معتقداتهم فلذلك أصبحت الإجابة عن هذا السؤال مشكلة من مشاكل المسيحية . وأهمية هذا السؤال والإجابة عليه أنها فيصل فى واحدة من أهم المعتقدات المسيحية وهى موت المسيح على الصليب لافتداء خطايا البشر فإذا كان هناك من حرك الحجر بعيدًا عن باب المقبرة ومن حل الأكفان لإخراج المسيح والعناية به بعد ما حل به من الإرهاق الجسدى الشديد بعد رفعه وربطه بالسيور الجلدية على الصليب وذلك دون أن يموت فإن مسألة التكفير هذه تفقد الأساس الذى تقوم عليه . ومن المفهوم منطقيًا أن الأجسام المنبعثة من الموت إن كان هناك موت لا تحتاج إلى حل الأكفان أو إزالة الحجر من باب المقبرة .

ولإدراك أهمية هذا السؤال يجب أن نعود قليلًا مع الأحداث حيث تحكى الأناجيل أن عيسى عليه السلام وضع على الصليب الساعة السادسة (تقابل فى وقتنا الحالى ١٢ ظهرًا) وأنزل على الصليب الساعة التاسعة (تقابل فى الوقت الحالى الساعة الثالثة) وبذلك يكون ما مكثه على الصليب هو ثلاث ساعات وهذه المدة غير كافية للموت على الصليب وعندما ذهب يوسف الاريماتى وهو أحد تلاميذ يسوع السريين المخلصين مع أحد الجنود الرومانيين (قائد مائة) والذى كان متعاطفًا مع يسوع - وكان قد قال « حقًا كان

هذاالإنسان ابن الله) (مرقس ١٥: ٣٩) - إلى الحاكم الرومانى بيلاطس لأخذ الجسد « فتعجب بيلاطس أنه مات هكذا سريعًا فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان فقد مات » (مرقس ١٥: ٤٤) . ومع ذلك فقد سمح ليوسف الأريماتى بأخذ الجسد دون أن يتأكد من الموت لأنه كان متعاطفًا مع عيسى عليه السلام, فقد أرسلت إليه زوجته تقول « إياك وذلك البار فإنى تألمت اليوم كثيرًا فى حلم من أجله » (متى ٢٧: ١٩) لكن اليهود ابتزوه وهددوه قائلين « إن أطلقت هذا فلست بمحبًا للقيصر . كل من يجعل نفسه ملكًا يقاوم قيصر » (يوحنا ١٩: ١٢) وتحت تأثير هذا الابتزاز والتهديد « أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلًا إنى برئ من دم هذا البار » (متى ٢٧: ٢٤)

لذلك فلا عجب أن يستجيب بيلاطس ليوسف الأريمانى ويصرح بإنزال الجسد بعد ثلاث ساعات فقط من بداية الصلب .

وعند إنزاله من على الصليب قام أحد الجنود الرومان بغزه بالرمح للتأكد من الوفاة و « للوقت خرج دم وماء » (يوحنا ١٩: ٣٤) وخرج دم وماء فورًا عند إنزاله من على الصليب دليل على أنه كان حيًا بل قد أفادت فى تنشيط دورته الدموية .

وتؤكد لنا دائرة معارف الإنجيل تحت مادة « الصليب » بالعمود رقم ٩٦٠ أن « يسوع كان حيًا عندما وجه إليه الرمح » وهذا أيضًا يؤكده قول يوحنا بخروج الدم والماء فورًا عند غزه بالرمح .

ويقول الدكتور وب بريموز أخصائى التخدير بمستشفى جلاسكو الملكى من واقع خبرته فى تقرير نشرته مجلة ثنكر داى جست (مختارات المفكرين) العدد الشتوى لسنة ١٩٤٩ « كان الماء ناتجًا عن الإرهاق العصبى الواقع على الأوعية الدموية » .

وقد شك اليهود فى أن المسيح قد أنزل من على الصليب دون أن يموت لذلك ذهبوا فى اليوم التالى إلى الحاكم الرومانى بيلاطس « وفى الغد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال . . . . . فأمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا . . . . . فتكون الضلالة الأخيرة أشد من الأول » (متى ٢٧» ٢ - ٦٤)

وكان بيلاطس قد فاض به الكيل منهم فقال لهم « عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون » (متى ٢٧ – ٦٥)

وبعد إنزاله قام تلميذه السرى المخلص يوسف الأريماتى مع تلميذه السرى الآخر نيقوديموس بتغسيله وتطييبه وتكفينه ودفنه فى المقبرة التى يملكها يوسف الأريماتى نفسه كما ذكر ذلك بالأناجيل ثم بعد ذلك كله « وهو (يوسف الأريماتى) دحرج حجرًا على باب القبر » (مرقس ١٥: ٤٦) كانت مريم المجدلية قريبة منهما كل هذا الوقت . ومن المنطقى أنهم شاهدوا آثار الحياة على الجسد المغشى عليه لكنهم أتموا مهمتهم فى سكون للتمويه على اليهود الذين كانوا يتربصون به لقتله .

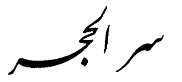
ومن العجيب أنه لم يأت أى كلام بالأناجيل على أفواه هذين الحواريين الذين عاصرا المسيح فى أحرج وأدق اللحظات . بل إن بولس الرسول يتهمهم أنهم كانا يتبعان « يسوعًا آخر وإنجيلًا آخر » (٢ كورنتوش ١١:٤) .

مما يدل على أنه كانت بينه وبينهم خلافات أساسية فى العقيدة بل ومن العجيب أيضًا أن نرى القديس بولس نفسه يقول فى الكتاب المقدس « الذى فى أيام حسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقائد أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه »

والآن مع من دحرج الحجر للأستاذ أحمد ديدات

المختار الإسلامى

❁❁❁



من حرك الحجر؟

« من حرك الحجر؟ » أو « من دحرج الحجر؟ » (مرقس ١٦: ٣)

سؤال أزعج رجال اللاهوت منذ ألفى سنة مضت, فقد حاول مستر فرانك موريسون وهو عالم بارز من علماء اللاهوت أن يزيل هذا الشبح من أمام الديانة النصرانية فألف كتابًا بهذا العنوان وفيما بين سنة ١٩٣٠، ١٩٧٥.

أصدر منه إحدى عشرة طبعة وخلال ١٩٢ صفحة وهى كل صفحات الكتاب فشل فى الإجابة عن هذا السؤال وفى صفحة ٨٩ من الكتاب قال (لذلك فقد تركنا مع مشكلة القبر الفارغ دون حل) .

ثم شرع يقدم ستة افتراضات محتملة للحل، ولقد كان قريبًا جدًا من الإمساك برأس الحقيقة فى افتراضه الأول « أن يوسف الأريماتى أخذ سرًا الجسد إلى مكان أكثر ملاءمة للراحة » .

وبعد هذا الاعتراف بأن يوسف ربما هو نفسه الذى أخذ الجسد لأسباب خاصة إلى مكان آخر – وهو افتراض له وزنه وجدير بالاعتبار – سرعان ما عاد أدراجه واستبعد هذا الاحتمال لأسباب ركيكة .

وعندما تستطرد فى قراءة هذا الكتاب عزيزى القارئ فإننى واثق أنك سوف تجد الإجابة الشافية عن هذا السؤال .

ودعنا نبدأ مع المشكلة من أولها .

لقد كان ذلك فى يوم الأحد صباحًا تبعًا للإنجيل أول أيام الأسبوع عندما ذهبت مريم المجدلية إلى مقبرة يسوع (يوحنا ٢٠: ١) والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن : **لماذا ذهبت إلى المقبرة؟**

ويجيب كتاب الأناجيل بأنها ذهبت لتمسح بالزيت جسد يسوع والكلمة العبرية

« مسح » وهى تعنى يدهن أو يدلك هى نفسها الكلمة العربية « مسح » ومنها اشتقت كلمة المسيح باللغة العربية والمسيا باللغة العبرية والتى ترجمت إلى كلمة خريستوس باللغة الإغريقية وهى أصل كلمة كريست الإنجليزية .

والسؤال الثانى هو هل اليهود يدلكون أجساد موتاهم بعد ثلاث أيام من الدفن؟
الإجابة لا .

– **السؤال الثالث** هل المسلمون يدلكون أجساد موتاهم بعد ثلاث أيام من الدفن؟
– الإجابة لا .

السؤال الرابع هل المسيحيون يدلكون أجساد موتاهم بعد ثلاثة أيام من الدفن؟
– الإجابة لا .

ومن المعلومات الشائعة المعروفة أن الجسد الميت يبدأ فى التيبس والتصلب خلال ثلاث ساعات من الوفاة ويعزى التخشب الموتى إلى تحطم خلايا الجسد . وبعد ثلاثة أيام تبدأ الجثة فى التحلل والتعفن فإذا قمنا بتدليك الجثة فى هذه الحالة فإنها تتفتت إلى قطع .

السؤال الخامس هل من المنطق أن تأتى مريم المجدلية لتدليك جسم متعفن بعد ثلاثة أيام؟

– والإجابة ليس من المعقول إلا إذا اعترفنا بأنها كانت تبحث عن يسوع الحى وليس يسوع الميت . ويمكنك أن تكتشف هذه الحقيقة بنفسك عندما تحلل ردود أفعالها تجاه يسوع عندما اكتشفت فى آخر الأمر أنه متنكر فى زى بستانى . أنت ترى أنها أبصرت علامات الحياة فى الجسد الرخو عندما أنزل من على الصليب إنها كانت المرأة الوحيدة بجانب الأريماتى ونيقوديموس اللذين قاما بعمل الشعائر الدينية الأخيرة على جسد يسوع . ونيقوديموس هذا تجاهله كلية كتاب الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا مع أنه من التلاميذ المختارين للمسيح ولم يذكر فى الثلاث الأناجيل الأولى ولو بكلمة واحدة . يقول د . هيج سكونفليد أحد قادة الفكر اللاهوتى المسيحى « من الصعب أن نتجنب الإشارة إلى أن عدم ذكر الثلاثة الأناجيل الأولى لهذا الحوارى السرى للمسيح كان عن قصد » . وعندما وصلت مريم المجدلية إلى المقبرة وجدت أن الحجر دحرج

بعيدًا والأكفان ملفوفة فى صرة وموضوعة داخل المقبرة والسؤال الذى يبدوا الآن .

السؤال السادس لماذا كان الحجر بعيدًا عن مكانه ولماذا كانت الأكفان محلولة؟

والإجابة لأنه من المستحيل بالنسبة لجسم مادى محسوس أن يخرج والحجر يسد باب القبر والجسم الطبيعى لا يمكن أن يخرج والأكفان تلفه . أما بالنسبة للجسم المبعوث من الموت فليس هناك ضرورة لتحريك الحجر أو إزالة الأكفان . فالحوائط الحجرية لا تمثل للأرواح سجنًا ولا القضبان الحديدية قفصًا .

وبينما مريم المجدلية المسكينة المهمومة تفحص القبر كان يسوع يراقبها عن قرب ، ليس من السماء ولكن من الأرض اليابسة التى نعيش عليها . ومما هو جدير بالذكر أن المقبرة كانت مملوكة لتلميذه السرى يوسف الأريماتى والذى كان يهوديًا غنيًا وله نفوذ والذى كان من الغنى بحيث يستطيع أن يتحمل تكاليف نحت غرفة كبيرة داخل صخرة ليجعل منها مقبرة كانت أبعادها كما ذكر جيم يشوب أحد علماء اللاهوت المسيحى المشهورين خمسة أقدام فى العرض وسبعة أقدام فى الارتفاع وخمسة عشر قدمًا فى الطول وحول هذه المقبرة توجد حديقة خضروات خاصة بهذا الحوارى السرى للمسيح . ومن الصعب علينا أن نتوقع أن يهوديًا أو أى إنسان يمكن أن يزرع مثل هذه الحديقة على بعد خمسة أميال من المدينة لكى ترعى فيها الأغنام والماعز . بكل تأكيد فقد زود هذا المزارع عمال الحديقة بكل ما يلزمهم للمحافظة عليها وربما كان يمتلك بيتًا ريفيًا داخل المزرعة ليقضى فيه هو وأسرته عطلة نهاية الأسبوع . كان عيسى يراقب تلميذته التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين ثم تقدم إليها فوجدها تبكى فسألها : « يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين » (يوحنا ٢٠: ١٥)

السؤال السابع ألم يكن يعرف؟ ولماذا يسأل مثل هذا السؤال الذى يبدوا ساذجًا؟

الجواب : كان يعلم لماذا تبكى وكان يعلم عمن كانت تبحث ولم يكن يسأل سؤالًا ساذجًا . ولكن كان يريد أن يعرفها الحقيقة بالتدريج . كان يعلم أنها تبحث عنه فى المقبرة ولم تجده لذلك فهى تبكى لشعورها بالإحباط . وكان يعلم أيضًا أنها لم تستطع أن تتعرف عليه من خلال تنكره . وبالرغم من الظروف القاسية التى مر بها فقد كان لا

يزال قادرًا على أن يسألها فى ملاطفة « يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ » (يوحنا ٢٠: ١٥)

« فظنت تلك أنه البستانى فقالت له » (يوحنا ٢٠: ١٥)

السؤال الثامن لماذا ظنت أنه البستانى؟ هل الأجسام المنبعثة من الموت تكون على صورة بستانى؟

الإجابة : هل تستطيع أن تتخيل يوم البعث؟ وأنك أيها القارئ العزيز ستبعث فى صورة بستانى وكذلك والداك وأبناؤك سيكونون فى هيئة جنايينية وسوف تقع زوجتك المحبوبة فى حيرة لكى تتعرف عليك من بين كل هؤلاء الجنايينية، هل هذا معقول؟ لا فإن الجسم المبعوث سيكون هو أنت نفسك . والكل سوف يتعرف عليك . ستكون أنت على هيئتك بدون أن تمويه . ودعك من السن أو الحالة التى مت عليها ولكن كل شخص سوف يستطيع التعرف على الآخر إذن لماذا ظنت مريم أن يسوع هو البستانى .

الإجابة : لأن يسوع كان متنكرًا فى زى بستانى .

السؤال التاسع : ولماذا كان متنكرًا فى زى بستانى .

والإجابة : لأنه كان خائفًا من اليهود .

السؤال العاشر : ولماذا كان خائفًا من اليهود؟

الإجابة : لأنه لم يمت ولم يبعث . لو كان مات وبعث لم يكن هناك أى سبب للخوف لماذا؟ لأن الأجسام المبعوثة لا يمكن أن تموت مرة أخرى . من قال هذا؟ الإنجيل قال هذا . « كما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة » (العبرانيين ٩: ٢٧)

وحقيقة أن الأشخاص المبعوثين من الموت لا يموتون مرة أخرى قد أكدها المسيح بما أعلنه بخصوص البعث .

فقد جاء علماء اليهود إلى المسيح بأحجبة وألغاز قائلين أن هناك امرأة كان لها سبعة أزواج على التوالى . كلما مات زوج تزوجت بآخر حتى صار لها سبعة أزواج من الأموات « فعند البعث لمن سوف تكون من بين هؤلاء السبعة . لأنهم جميعًا قد تزوجوها » (متى ٢٢: ٢٨)

وقد رد عليهم يسوع برد حاسم مفحم لأن سؤالهم كان محاولة أخرى من محاولاتهم العديدة للإيقاع به . وبدلًا من أن يتمكنوا من إرباكه فقد ادخر لنا أوضح آية في الإنجيل لبيان حقيقة الروح المبعوثة . « لن يستطيعوا أن يموتوا أكثر من ذلك لأنهم مثل الملائكة . وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة » (لوقا ٢٠: ٣٦)

لن يستطيعوا أن يموتوا أكثر من ذلك . لن يكونوا قابلين للموت لن يكونوا معرضين للموت مرة أخرى . لن يكون هناك جوع ولا عطش ولا تعب ولا أخطار جسدية لأن الجسد المبعوث سيكون ملائكيًا روحيًا . سوف يصبحون مخلوقات روحية ، سوف يصبحون أرواحًا .

مريم المجدلية لم تكن تبحث عن روح . لقد تحدثت إلى يسوع المتنكر وهى تظن أنه البستانى :

« يا سيد إن كنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه » (يوحنا ٢٠: ١٥)

إنها تبحث عن يسوع وليس عن الجثة . وهى تسأل أين وضعته؟ ولم تسأل أين دفنته؟ « وأنا آخذه » (يوحنا ٢٠: ١٥)

السؤال الحادى عشر : ماذا كانت تريد أن تصنع بجثة متعفنة؟ ولماذا تأخذها؟

الإجابة : هل كانت تريد أن تضعه عندها تحت السرير؟! مستحيل . هل كانت تريد أن تحنطه؟! غير معقول . هل كانت تريد أن تأخذه لتدفنه؟ إذا كان الأمر كذلك فمن الذى يحفر لها القبر؟ لا إنها كانت تريد أن تأخذه للعناية به .

السؤال الثانى عشر : كيف يمكن لها وحدها أن تحمل جسدًا ميتًا؟

الإجابة : إنها لم تقصد ميتًا أو جثة متعفنة . كانت تبحث عن عيسى الحى . لم تكن امرأة أمريكية خارقة تستطيع أن تحمل جثة وزنها ١٦٠ رطلًا بسهولة وملفوفة بأكفان مع مزيج مر وأعواد طيب حوالى ١٠٠ رطل أخرى (يوحنا ١٩: ٣٩)

فيكون المجموع حوالى ٢٦٠ رطلًا . هذه اليهودية الضئيلة الجسم ليس من المتوقع أن تحمل هذا الطراد المتحلل كأنه حزمة من القش, وإن استطاعت أن تحمله كيف تدفنه بمفردها هل كانت ستلقيه فى أى حفرة كحفنة من النفايات . فإن قيامها بالحفر والدفن أمر مستبعد تمامًا .

كانت تبحث عن يسوع الحى الذى تستطيع أن تأخذه من يده وتذهب به إلى المنزل للراحة ليسترخى ويستعيد قوته « فقل لى أين وضعته وأنا آخذه » .

إن المدى الذى ذهب إليه يسوع فى ملاطفة هذه المرأة ذهب بعيدًا . وخلال الحوار بين يسوع ومريم لم تشك أنها كانت تتحدث مع المعلم نفسه . لم تنجح فى التعرف على يسوع من خلال هذا التنكر . لابد أنه كان يضحك فى سره . لم يستطيع أن يكبت الأمر أكثر من ذلك وقال لها « يا مريم » كلمة واحدة ولكنها كانت كافية ، كلمة واحدة استطاعت أن تفعل ما لم تفعله الكلمات الكثيرة السابقة . فقد مكنت مريم من التعرف على يسوع ، فلكل واحد طريقته الخاصة والمميزة فى مناداة المقربين منه والعزيزين لديه . لم يكن مجرد الصوت ولكن الطريقة التى ناداها بها جعلت مريم تلبى النداء « يا سيدى » « يا سيدى » وتقدمت إلى الأمام لتمسك بمعلمها الروحى لتقدم له احترامها وتوقيرها .

المسلمون حينما يقابلون علماءهم أو الأكبر منهم سنًا أو الصالحين منهم فإنهم يسلمون عليهم باليد اليمنى ممسكين راحة اليد وبإعزاز يقبلون ظهر اليد . والفرنسيون يقبلون الخدود لإظهار الاحترام والعرب يقبلون الكتف . ومريم اليهودية رغبت فى ذلك كما يفعل المسلم فى الظروف المشابهة . وعندما همت مريم فى أن تفعل ذلك تأخر عيسى إلى الخلف خطوة أو اثنتين قائلًا : « لا تلمسينى » (يوحنا ٢٠: ١٧)

السؤال الثالث عشر : لماذا قال لها لا تلمسينى؟ هل هو تيار كهربائى أو دينامو إذا لمسته فسوف تصعق؟

الإجابة : لا لا تلمسينى لأن ذلك سوف يؤلمه فبالرغم من أنه لم يبد أى علاقة على أنه مجروح أو يتألم إلا أنه ربما كان لا يزال يعانى جسديًا من الإرهاق والألم . ربما كان يسبب له ألمًا إذا سمح له أن تلمسه فى حب وانفعال هل تستطيع أن تقدم سببًا آخر لقوله : « لا تلمسينى »؟

واستطرد عيسى « لأنى لم أصعد بعد إلى أبى » (يوحنا ٢٠: ١٧)

السؤال الرابع عشر : هل هى عمياء؟

ألم تستطع أن ترى أن الرجل الذى تحدثت إليه كل هذا الوقت موجود أمامها؟ هل

هناك أى معنى لقول عيسى أنه لم يذهب بعد عندما يكون واقفًا أمامها؟

الإجابة : الذى قاله عيسى بكلمات أخرى أنه لم يبعث من الموت لأنه فى المصطلحات والتعبيرات اليهودية عبارة « لأنى لم أصعد بعد إلى أبى » تعنى أنى لم أمت بعد .

إنه لمن الحقائق التاريخية المحزنة حقًا أنه بالرغم من كون الإنجيل المسيحى هو كتاب شرقى مملوء بالاستعارات والتشبيهات الشرقية مثل « دع الموتى يدفنون موتاهم » (متى ٨: ٢٢)

أو مقل « لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون » (متى ١٣: ١٣) فإن كان مفسرو الإنجيل جاءوا من الغرب . فالعالم الغربى ينظر إلى كتاب يهودى كتبه اليهود نقلًا عن مستمعين من اليهود من منظار أغريقى وغربى . الكتاب الشرقى يجب أن يقرأ ويفهم من خلال القراءة والفهم الشرقى . عند ذلك تحل كل المشكلات .

الصعوبة ليست فقط فى فهم المعانى الصحيحة للمصطلحات اليهودية ولكن المسيحية قد برمجت على أن المسيحيين من كل أصل ومن كل لغة عليهم أن يفهموا الأحداث بطريقة مخالفة ومعارضة لمضامينهم اللغوية وسأعطى الأمثلة على ذلك فى الدرس الثالث تحت عنوان « انبعاث أو انتعاش؟ » فى هذا الكتاب وسأبذل كل جهدى فى الإجابة على هذه المشكلة ولماذا لم تخف مريم المجدلية عندما تعرفت على يسوع المتخفى وقد كانت معه فى المقبرة بمفردها بينما انزعج واضطرب عشرة رجال شجعان هم حواريو يسوع عندما دخل عليهم فى الغرفة العلوية وتعرفوا عليه بعد موته المزعوم .

إجابة بسيطة :

بالنسبة للسؤال الأصلى لهذه الدراسة « من حرك الحجر؟ » فإن الإجابة فى غاية البساطة وطبيعية جدًا لدرجة أن الإنسان فى حيرة كيف أن هذه المشكلة قد أعجزت علماء اللاهوت المسيحيين .

إجابة السؤال هى : « من دحرج الحجر إلى باب القبر » هو نفسه الذى دحرج الحجر عن باب القبر « وهو (يوسف الأروماتى) دحرج حجرًا على باب القبر » (مرقس ١٥: ٤٦) .

والقديس مرقس هنا ينقل عن القديس متى كلمة بكلمة الذى قال فى الإصحاح ٢٧ الآية ٦٠ ما يلى : « وهو (يوسف الأريمانى) دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى » فإذا كان هذا الرجل استطاع أن يحرك الحجر بمفرده إلى باب القبر كما شهد بذلك متى ومرقس . وأنا أضيف إلى ذلك تلميذ يسوع السرى المخلص نيقوديموس . إنه يوسف الأريمانى ونيقوديموس النصيران القويان ليسوع واللذان لم يتركا سيدهما فى أحرج المواقف عندما كان فى أكثر الأوقات حاجة إليهما . لقد قاما بدفن المسيح حسب الشعائر اليهودية وقاما بتغسيله وتكفينه بعد أن طيبوه بأعواد الصبر والمر ووضعوا الحجر خلف المقبرة بصفة مؤقتة ثم بعد ذلك كانوا هم الأصدقاء الحقيقيين الذين أخذوا سيدهم المصاب والذى كان فى غيبوبة بعد أن حل الظلام فى نفس يوم الجمعة مساء إلى مكان مجاور مباشرة وأكثر ملاءمة للعلاج . وبناء حتى على الحكايات التى أوردها الإنجيل فإن عيسى كان حيًا عندما أنزل من على الصليب . لقد هرب من الموت بمعجزة كما تنبأ هو من قبل . (اطلب نسختك المجانية من كتاب « ما هى معجزة يونان (يونس) . من مركزنا بجنوب أفريقيا كذلك هناك تفاصيل عن الصلب المزعوم فى كتاب آخر لنا بعنوان صلب المسيح خدعة أم تاريخ[1]؟

وعندما تتعلم الدرس الأول من كتاب ما هى معجزة يونان (يونس) عليك أن تحفظ الآيات التالية لأنها الدرس الثانى .

« قال لها يسوع ، يا امرأة لماذا تبكين ، من تطلبين ، فظنت تلك أنه البستانى ، فقالت له يا سيدى إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه ، فقال لها يسوع يا مريم ، فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم . قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يوحنا ٢٠: ١٥ -١٧)

❁❁❁

---

(١) قامت دار المختار الإسلامى بنشر هذا الكتاب تحت عنوان « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

الختام

المسلم الذى يقرأ هذا الكتيب والكتيبات الأخرى فى نفس الموضوعات ربما يسأل « هل نحن المسلمين فى حاجة إلى استعمال الإنجيل للحصول منه على الحقيقة الإلهية الإيمانية .

والإجابة بكل تأكيد لا, فالعقيدة الإسلامية واضحة جلية فى توضيح الأمور التالية :

١- الخطيئة شخصية يتحملها مرتكبها ولا تورث .

٢- عقيدة التثليث عقيدة وضعية من صنع البشر .

٣- المسيح ليس إلها .

٤- الله لم يلد ذكورًا ولا إناثًا .

٥- المسيح لم يقتل ولم يصلب .

كل هذه العقائد مشروحة بإسهاب بأوضح العبارات فى القرآن الكريم . لماذا إذا يلجأ المسلم إلى الكتب المقدسة المسيحية لإثبات هذه الموضوعات .

والإجابة على ذلك لأننا نتعامل مع عقول برمجت عند الصغر على تقبل المعتقدات دون تفكير . واليوم المسيحى يتلمس طريقه إلى الحقيقة . إنه الآن يسأل أسئلة لم يكن يجرؤ على أن يتفوه بها منذ قرون قليلة مثل :

١- هل عيسى هو الله .

٢- ما هى معجزة يونان (يونس) .

٣- هل الإنجيل كلمة الله .

٤- من حرك الحجر .

٥- هل كان يسوع دجالًا .

وهذه الأسئلة مأخوذة من المجلة المسيحية بلان تروث (الحقيقة المبسطة) عدد أبريل سنة ٧٧.

إن من الواجب على المسلمين أن يأخذوا بيد إخوانهم المسيحيين (أهل الكتاب) كما وصفهم القرآن الكريم فى أكثر من موضع، أن يحرروهم من الأغلال التى تعيق تفكيرهم منذ ألفى سنة . ونحن مأمورون بذلك لقول الله تعالى :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]

وفى هذه الدراسة وفى غيرها استخدمنا الإنجيل كتاب المسيحيين واستخدمنا منطق الأحداث لتفنيد إدعاءاتهم .

ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى هذا الأسلوب فى محاورة وإقناع خلقه . فالقرآن الكريم يأمر المسلمين أن يطلبوا من اليهود والنصارى أن يقدموا دليلهم على ادعاءاتهم الوهمية بأنهم هم الناجون وحدهم يوم القيامة مهما فعلوا .

فيقول سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١١]

لقد قام المسيحيون بنشر الإنجيل إلى أكثر من ألف لغة وأذاعوه فى أركان الدنيا الأربعة . مرهبين أمم العالم ليقبلوا « دم الحمل الوديع » المسيح مات من أجل خطايا البشر، المسيح هو مخلص البشرية الوحيد . وكل ذلك معارض للتعاليم القرآنية الواضحة .

يجب أن تحرر المسيحى من تصوراته الخاطئة وليست هناك طريقة أفضل من استخدام كتبه وأدلته ومنطقه فى تفنيد إدعاءاته ولمزيد من المناقشة حول هذه النقطة أرجو أن تطلب من مكتبة الشريط الإسلامى وعنوانها :

ISLAMIC TAPE LIBRARY
318 SAYANI Centse, 165 Grey street Durban
Why comps aratine Religion شريط

لماذا مقارنة الأديان؟ للشيخ أحمد ديدات

والله نسأل التوفيق وحسن السداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد النبى الأمي وعلى آله ومن اتبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين ..

أما بعد .. فهذه رسالة جليلة فى مقارنة الأديان عن المسيح ومنزلته الحقيقية وتنقسم إلى قسمين :

الأول : بقلم أحمد ديدات وقد جمعه بتصرف من ثلاثة من مؤلفاته الشهيرة التى قمت بترجمتها إلى العربية .

وسميته : القول الحق فى المسيح (عليه السلام)

والثانى : بقلم الأستاذ محمد بنا بعنوان : (أكثرية أساقفة إنجلترا الإنجليكانيين[1] يبرءون من الكفر (الشرك) ويعتبرون يسوع (عيسى عليه السلام) رسولًا فقط » .

وعنوانه فى الإنجليزية

(MORE THAN HALF OF ENGLAND'S ANGLICAN BISHOPS ABSOLVE THE MAELVES FROM BLASPHEMY AND REGARD JESUS - AS ONLY A MESSENGER)

وقد سميته اختصارًا :« **أكثرية أساقفة كنيسة إنكلترا يرفضون ألوهية المسيح** » .

وأسأل الله أن يوفقنا ويهدينا وإياكم إلى سواء السبيل .

محمد مختار

١٢ ربيع الآخر سنة ١٤١٢ هـ الموافق
٢٠ أكتوبر سنة ١٩٩١ بعد المسيح.

---

(١) (الإنجليكانيون) جمع (الأنجليكانى) وهو أحد أتباع الكنيسة الإنجليزية .. المورد ١٩٩٠.

القول الحق في المسيح

ترجمة

محمد مختار

القول الحق فى المسيح

التجسيم والتشبيه :

إن البطولة وعبادة الأبطال متأصلة فى نفس الإنسان فإنه لو لم يعبد الله فسوف يعبد ما سواه من شيء . فالعبادة ضرورية له وماذا أفضل من رجل وسيم أو امرأة جميلة من نفس نوعه؟ إن مذهب التجسيم والتشبيه (Anthropomor phism)[١] الذى يتصور فيه الإنسان أن الله مثله هو مذهب تقليدى . وهو مذهب حديث كما أنه قديم أيضًا . (وهناك من) البشر من يعتقد أن الله مثله وأنه على صورته . ألم يخبرنا الكتاب المقدس المسيحى فى أول إصحاح من أول أسفاره :

« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (التكوين ١: ٢٦)

لقد أساء المسيحيون فهم كلمة « صورتنا » بالإضافة إلى ضمير المتكلم « فى فعل « نعمل » فى الفقرة السابقة المقتبسة من الكتاب المقدس . فالمسيحيون يذهبون إلى أن « ضمير المتكلم » فى فعل « نعمل » يقتضى ضمنًا وجود اتحاد أقانيم[٢] الآب والابن والروح القدس « فيما يسمونه بالثالوث المقدس .

إنه يتعذر عليهم إدراك أن ثمة نوعين من الجمع فى اللغة العبرية (اللغة التى كتبت بها أصلًا نصوص العهد القديم) كما هو الحال بالنسبة إلى اللغة العربية . فهناك جمع للعدد

---

(١) (Anthropomor phism) (خلع الصفات البشرية على الله) المورد (١٩٩٠) . وجاء أن معناها أو تصور أو تمثيل الإله بأن له شكلًا أو خصائص أو صفات الإنسان « قاموس تشمبرز للقرن العشرين . طبعة الهند (١٩٧٣) .

(٢) (الأقنوم) : (وهو) الجوهر, والشخص, والأصل . وجمعه أقانيم واصطلاحًا : (عند أفلاطون) : أحد مبادئ العالم الثلاثة الأولى وهى الواجد, والعقل, والنفس الكلية . والأقنوم (فى اللاهوت المسيحى) أحد الأقانيم الثلاثة وهى : الآب, والابن, والروح القدس (المعجم الوسيط) وجاء أن معناه : الجوهر أو الوجود الشخصى الحقيقى أو كنه كل من الأجزاء الثلاثة من الثالوث . قاموس تشيمبرز للقرن العشرين . طبعة الهند (١٩٧٣) .

بالإضافة إلى جمع للإجلال والاحترام . ولتسأل أى يهودى يجيد اللغة العبرية كم عدد الآلهة فى « ضمير المتكلم » فى فعل « نعمل » بلغته العبرية - حيث ورد فى أول إصحاح من توارته, وسوف يؤكد لك بدون أى تردد ما قلناه .

ابن الله الوحيد؟ (١)

ماذا يحاول المسيحيون تأكيده عندما يقولون : « إن عيسى ابن الله الوحيد المولود » وإنه « مولود غير مخلوق »؟

أنهم يعلمون جيدًا من واقع كتبهم المقدسة التى يقولون إن الله أنزلها إليهم (؟!) أن لله أبناء (بمعنى الرسل والأنبياء فى اللسان العبرى) لا حصر لهم :

« آدم ابن الله » . لوقا ٣: ٣٨

« إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهم حسنات . . .

« وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا . . .» (التكوين ٦: ٢. ٤)

« . . . إسرائيل ابنى البكر » (الخروج ٤: ٢٢)

« .. لأنى (أى الله) صرت لإسرائيل أبا وإفرايم(٢) هو بكرى) (إرميا ٣١: ٩) .

---

(١) تجيب دائرة المعارف البريطانية عن هذا السؤال الذى تجعل منه عنوان جانبى تحت مادة . بقولها : « لا تروى الأناجيل أنه (أى عيسى ﷺ) استعمل هذا اللقب (أى لقب ابن الله) لنفسه فى كلمات مسهبة (مفصلة) برغم من أن أقوال مثل (متى ١١: ٢٧) تقترب من ذلك . ويوجد بعض الحالات حيث يبدو أن الأناجيل تردد صدى (معنى) الإشارات الأكثر تعميمًا عن البنوة الإلهية فى العهد القديم بمعنى « مفضل من (بنى) إسرائيل » (Prerogative of Israel) أو بمعنى « المؤمن الحقيقى » (True beliver) راجع دائرة المعارف البريطانية . (م١٣ - ص ٢١) (طبعة ١٩٦٤) أما عن الفقرة المستشهد بها أعلاه فهى ما ينسب إلى المسيح من قوله : « كل شيء دفع إلى من أبى . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » . (متى ١١: ٢٧) فلا تعدو . إن صحت - أن تكون قد استعملت هنا على المجاز, مثلها فى ذلك مثل استعمالات المسيح الأخرى التى يقولها فيها « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم » . ومن هنا نجد أنه لم يقصر استعمال تعبير « الأبوة الإلهية » لنفسه . ومن ثم نجد أن التعبير تعدى الاستعمال الشخصى لغيره . إذن فالمسيح لم يفرد لنفسه ولم يفرد وحده بهذا اللقب كما ترى من نفس استعماله اللغوى وتعبيره الشخصى .

(٢) إفرايم هو سيدنا إبراهيم ﷺ .

« قال لى (الرب) أنت (داود) ابنى . أنا اليوم ولدتك (المزامير ٢: ٧) . « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله « (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ١٤) .

إذن وفقًا لسجلات أهل الكتاب فإن كل إنسان صالح يتبع مشيئة وطريقة الله هو « ابن الله » حسب لغة اليهود . فهو تعبير أو مصطلح وصفى مجازى شاع استعماله فى ما بين اليهود . والمسيحى يوافق على هذا الكلام ولكنه يجادل بأن : « الله أبو الجميع مجازًا . أما عيسى فهو ابن الله « المولود » وليس ابن الله « المخلوق » .

ولده يعنى أنجبه

ولن يجرؤ مسيحى مهما كان علمه أو منزلته أن يفسر لك المقصود من قوله « مولود غير مخلوق » . حين يسأل عن ذلك ولكن أحد المبشرين المسيحيين « المنصرين » الأمريكيين قال : « إنها تعنى أن الله أنجبه » Good Sired him) ولكنه على الرغم من ذلك يزعم أنه كان يفسر للسائل معناها ولكنه لا يؤمن شخصيًا أن الله أنجب ولدًا حقًا . . . .

وإذا كان المسيحى « الواعى » يقول أن تلك الكلمات لا تعنى حرفيًا ما تقوله . إذن فلماذا يصر المسيحيون على قولها وترديدها؟

وجه الاعتراض :

إن المسلم يعترض بشدة على كلمة « مولود » لأن الولادة فعل من الأفعال الحيوانية, يخص وظائف الغريزة الجنسية الدنيا للحيوان فكيف نعزو لله مثل هذه الصفة الوضيعة؟

ولعل من المناسب أن نذكر أن هذه الكلمة الخبيثة المهلكة « مولود » التى دست فى النص بخزى قد طرحت الآن دون تكلف أو تمسك بالرسميات من النسخة « الأكثر دقة » من الكتاب المقدس والمعروفة « بالنسخة القياسية المنقحة » (R.S.V.)

المعضلة المسيحية :

وفى محاولات لإثبات أن المسيح هو الله وهداية الناس إلى هذا الكفر يستعمل « جوش ماكدويل » خريج كلية « ويتون » ومعهد تالبوت اللاهوتى والمبشر المسيحى (المنصر) الشهير والممثل المسافر للحملة العالمية للتنصير من أجل المسيح, يستعمل كلمات قاسية وأساليب غير مهذبة . فيقول فى الفصل السابع من كتاب له بعنوان « دليل يتطلب إثباتًا » (Evidence the Demandsa Verdict) وقد ترجم إلى العربية تحت عنوان : « برهان يتطلب قرارًا »

(أ) « إما أن عيسى هو الله وإما أنه كذاب » .

(ب) (إما أن عيسى هو الله وإما أنه مجنون » .

(جـ) « إما أن عيسى هو الله وإما أنه دجال » .

تلك هى كلمات . . . كلمات مختارة من الأدب المسيحى إنك ستوافقنى على أنها كلمات بارعة جدًا .

فالمسلم لا يمكن أن يرمى المسيح عيسى عليه السلام بالكذب أو الجنون أو الدجل . ماذا بقى إذن؟ إنه الكفر فعلًا فى أعلى درجاته .

فالمسيحى يظن أنه يجب عليه أن يختار من بين إحدى هذه الآراء المتطرفة السخيفة . ولم يخطر على باله أن هناك بديلًا لهذه المسألة الظنية المسيحية .

البديل المعقول :

أليس من الممكن أن عيسى كان ببساطة نبيًا كما أكد بنفسه مثل الأنبياء الآخرين الكثيرين الذين جاءوا من قبله؟ بل وأحد أعظمهم - صانع المعجزات والمعلم الدينى والهادى العظيم . المسيح؟

لماذا القول فقط : إما أنه الله وإما أنه مجنون؟ هل « الجنون » نقيض « الألوهية » حسب المفهوم المسيحى؟ ما هى الكلمة المناقضة فى معناها لكلمة « الله »؟ هلا تفضل أحد المسيحيين العقلاء والأذكياء بالإجابة .

القول الحق فى المسيح :

لقد شهد بطرس تلميذ المسيح, والملقب « بالهمزة », والتى يفترض أن المسيح بنى عليها بيعته, شهادة حق حينما قال :

« أيها الإسرائيليون اسمعوا » هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات, صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضًا « تعلمون » . (أعمال الرسل ٢: ٢٢) .

فبطرس هنا يخاطب بنى إسرائيل والناس من ورائهم مشيرًا بأن المسيح عيسى ما هو إلا رجل قد تأكد لبنى إسرائيل إنه مرسل إليهم من عند الله مؤيدًا بقوات وآيات من عند الله أجراها الله بإذنه على يديه .

وقد جاء القرآن الكريم شاهدًا ومصدقًا لما بين يديه من الكتب ومكملًا لها ومهيمنًا عليها . فلا عجب أن تتفق شهادة القرآن التى هى شهادة الله سبحانه وتعالى الذى أنزل التوراة والإنجيل من قبل وأنزل الفرقان » .

يقول الله تبارك وتعالى فى آية واحدة معجزة تعرض لنا بصراحة منزلة المسيح الحقيقية :

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ . (النساء : ١٧١) .

الاستجواب :

إن الله تبارك وتعالى سوف يسأل عيسى (عليه السلام) عن الغلو الدينى المضلل لأتباعه المزعومين الذين عبدوه وأمه . وتصور الآيات المذكورة أدناه هذا المشهد يوم القيامة .

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي

وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ (المائدة ١١٦ - ١١٩)[(١)(٢)]

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ (مريم : ٣٤ - ٣٦).

❁❁❁

---

(١) إن علم الساعة (أى وقت يوم القيامة) من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا الخالق وحده لا يشاركه فى علمه هذا أحد, لا مَلَك مقرب ولا نبى مرسل. فالله سبحانه وتعالى هو وحده علام الغيوب. وهذا ما جاء به القرآن مصدقًا لما أخبر به الرسل من قبله فها هو إنجيل متى - يخبرنا بأن المسيح ﷺ قال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده». (متى ٢٣: ٣٦)

(٢) قارن الآيات السابقة (المائدة ١١٦ - ١١٨) بما جاء بإنجيل متى من قول عيسى (ﷺ): «٣٢ فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضًا به قدام أبى الذى فى السموات. ٣٣ - ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبى الذى فى السموات (متى ١٠: ٣٢، ٣٣).

أكثرية أساقفة انجلترا يرفضون ألوهية المسيح

محمد بنا

ترجمة

محمد مختار

أكثر من نصف أساقفة انجلترا الأنجليكيين يبرؤن من الكفر (الشرك) ويعتبرون عيسى (عليه السلام) رسولاً فقط

إن « البذرة » الاعتقادية التى زرعها الإسلام منذ أربعمائة وألف (١٤٠٠) عام مضى بخصوص رسولية يسوع عيسى (عليه السلام), قد بدأت الآن تجنى ثمارها بطيئًا ولكن يقينًا فى هذا القرن العشرين . لقد دعا الإسلام بلا هوادة ضد عقيدة ألوهية المسيح (عليه السلام) - عند النصارى - وذلك منذ مجئ محمد رسول الله ﷺ, ومنذ التنزيل اللاحق لكتاب الله الأخير - القرآن الكريم .

وأخيرًا تم التصديق على وجهة النظر الإسلامية :

إن ما نراه اليوم من تقبل قسيسين بارزين لوجهة النظر الإسلامية فيما يتعلق بمكانة المسيح (عيسى عليه السلام) الحقيقية هو بالفعل جزاء وفاقًا على جهود لا تكل و (نتيجة) الدعوة الإيجابية العاقلة لعلماء علم الكلام (Theologians) المسلمين وعلماء واسعى المعرفة فى مقارنة الأديان على مر العصور .

إن رفض أكثر من نصف أساقفة إنكلترا الإنجليكيين لألوهية عيسى (عليه السلام) هو بمثابة وميض نور فى نهاية سرداب مظلم طال التماس النصارى المحزن فيه طريق (الهداية) لأكثر من عشرين قرنًا من الزمان .

دراسة صادمة للعالم المسيحى :

نشرت صحيفة (الديلى نيوز) الصادرة بتاريخ ٨٤/٦/٢٥ تحت عنوان : « دراسة

مصدمة حول آراء الأساقفة الإنجليكيين » - إن أكثر من نصف أساقفة إنكلترا الإنجليكيين يقولون : « إنه لا يلزم النصارى أن يعتقدوا أن المسيح عيسى هو الله » . لقد تم استفتاء ٣١ من ٣٩ من أساقفة انكلترا فأنكر معظمهم - ضمن أشياء أخرى - ألوهية عيسى (عليه السلام) وقيامته من الموت . وهم بذلك يهددون عقيدتين من أكثر العقائد أساسية في المسيحية . ويعزون هذه التصورات العتيقة إلى انعدام الدقة في الكتاب المقدس .

(عيسى عليه السلام) ليس إلهًا ولكنه « المعتمد السامي الإلهي » :

وتذكر الصحيفة أيضًا أن ١٩ من ٣١ أسقفًا أجريت معهم المقابلة يوافقون على : « لأنه من الكافي اعتبار عيسى « المعتمد السامي الإلهي » (God's Supreme Agent).

والآن لا يحتاج المرء إلى درجة دراسية علمية في اللغة لكي يفهم أن ذلك يعني أنه « رسول الله » .

ومنذ زمن بعيد والإسلام يجاهد باستمرار لإنقاذ النصارى من ارتكاب أعظم الجرم وأشنع الكفر بالله القديم بنسبتهم الألوهية للمسيح عيسى (عليه السلام) . إنا ندرك أن الآراء والأحكام المسبقة وغير المحققة التحقيق الواجب تستغرق زمنًا طويلًا لكي تتلاشى .

وعلى الرغم من ذلك فواجب النصارى أن يفرحوا لأن أغلبية أساقفة إنكلترا الإنجليكيين البارزين أصدروا مرسومًا يزيل النقطة الوحيدة ذات الاختلاف الحقيقي بين الإسلام والمسيحية .

الأسقف جنكنز ينتقد بشدة عقائد مسيحية أساسية :

في مقابلة بالبرنامج الديني « كريدو » بمحطة تليفزيون لندن لنهاية الأسبوع (London's Weekend Television) وجه أسقف درهام المعين حديثًا - القس البروفيسور ديفيد جنكنز - الذي يحتل المركز الرابع ضمن ترتيب أعلى الأساقفة في كنيسة انكلترا - وجه هجومه على القاعدة المهتزة والأساس المتزعزع الذين يرتكز عليهما بناء النصرانية بأكمله .

لقد انتقد الأسقف بشدة أكثر العقائد المسيحية أساسية والخاصة بألوهية عيسى وقيامته من الموت وأوضح أن بعض الأحداث خلال بعثة (إرسالية) عيسى المبكرة : « لم تكن حقيقية على وجه الدقة ولكنها كانت قد أضيفت إلى قصة عيسى بواسطة النصارى الأوائل من أجل التعبير عن إيمانهم به كمسيًا » (أى مسيح فادى) - (الديلى ميل الصادرة فى لندن ص ١٢, ٨٤/٧/١٥) - وهذا يتفق بكل تأكيد مع وجهة النظر الإسلامية تجاه التلاعب والتحريف الذى أجرى فى الكتاب المقدس .

الجدل اللاهوتى يجتاح بريطانيا :

حقًا إن آراء الأسقف جنكنز الصريحة والشجاعة حول التصورات المسيحية المحمية من المنافسة (والمناقشة) (Jealousy - guarded Christian Coneepts) قد أحدثت فجأة معركة لاهوتية فى بريطانيا . فقد صرحت صحيفة « الجارديان » الصادرة فى لندن بتاريخ ٨٤/٧/١٣: « إنه على الرغم من التوسل والاحتجاج فإن كبير قساوسة « يورك » استضاف حفل رسامة (تعيين) البروفيسور - ديفيد جنكنز » كأسقف لدرهام » .

إن رسم « الأسقف المتشكك » والمنكر لعقائد مسيحية أساسية أسقفًا, رغم معارضة رجال الكنيسة وروادها, هو مؤشر واضح إلى أن الحقيقة مهما كانت غير مستساغة فإنه لا يمكن كتمانها إلى الأبد .

استحثاث النصارى على الاقتداء بأساقفة إنجلترا :

نناشد النصارى بعاطفة صادقة : أنهم إذا وجدوا أنه لا سبيل لهم إلى تاييد وجهة النظر الإسلامية فى عيسى (عليه السلام), فليقتدوا على الأقل بأساقفتهم الإنجليكيين بإنكلترا وليأخذوا تذكرة من الأسقف ديفيد جنكنز - الذى يعتبر أحد أكثر علماء الكتاب المقدس بروزا ضمن قيادة كنيسة إنجلترا, وهو أستاذ اللاهوت والدراسات الدينية بجامعة ليدز .

إنه فى ضوء حقيقة أن أكثر من نصف أساقفة إنكلترا الإنجليكيين يؤمنون أن المسيح

عيسى (ﷺ) لم يكن إلهًا, (نتساءل) لماذا إذن يجرجر القساوسة المحليون وأتباعهم أرجلهم تجاه طريق الخلاص الوحيد الذى يعرضه الإسلام؟

وختامًا نود أن نحيلكم إلى كلمات المسيح عيسى (ﷺ) - « المعتمد السامى الإلهى » حينما قال :

« وهذه هى الحياة الأبدية . أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

(إنجيل يوحنا ١٧: ٣)

إن الرسالة التى ألقى على عاتقنا تبليغها ها نحن قد بلغناها, سواء قبلتموها ونلتم الخلاص, أو رفضتموها وأخذتم بالحسرة .

محمد بنا

❁❁❁

نص المقال الذى نشرته صحيفة الديلى نيوز الصادرة فى جنوب أفريقيا

دراسة صادمة حول آراء الأساقفة الإنجليكيين

لندن : أكثر من نصف أساقفة إنجلترا الإنجليكيين يقولون إن النصارى ليسوا ملزمين بالإيمان بأن المسيح عيسى هو الله, وهذا وفقًا لدراسة نشرت اليوم .

إن استفتاء (٣١) أسقفًا من أساقفة انكلترا الـ (٣٩) يظهر أن كثيرًا منهم يعتقدون أن معجزات المسيح والولادة العذرية (لمريم) وقيامة المسيح من الموت ربما لم تحدث بالضبط كما هو موصوف فى الكتاب المقدس .

وأصر (١١) أسقفًا فقط على أن النصارى يجب أن يعتبروا أن المسيح هو الله وهو إنسان أيضًا, بينما قال (١٩) أسقفًا أنه من الكافى اعتبار عيسى « المعتمد السامى الإلهى » . ورفض أسقف واحد إعطاء رأى محدد .

أجرى استطلاع بواسطة البرنامج الدينى الأسبوعى لمحطة تليفزيون لندن لنهاية الأسبوع (London's Weekend Television) المعروف باسم كريدو (Creedo), وفيه تسبب البروفيسور ديفيد جنكنز المعين كأسقف مقبل لدرهام, بشمال شرق إنجلترا فى غضب شعبى فى أبريل (نيسان) بتصريحه عن شكوكه فى عقائد مسيحية أساسية . قال البروفيسور جنكنز أنه لا يعتقد أن الولادة العذرية وقيامة (المسيح) من الموت أحداث تاريخية (أى حقيقية) .

وقد طالب (١١) قسًا كبيرًا تأجيل رسامته (أى تعيين البروفيسور جنكنز) المحدد لها تاريخيًا يوم ٦ يوليو (تموز) إلى ما بعد اجتماع المجمع العام لكنيسة انجلترا فى أواخر يوليو (تموز) . وفى نفس الاستطلاع صرح (١٥) أسقفًا أن المعجزات (المذكورة) فى العهد الجديد هى عبارة عن إضافات لاحقة لقصة عيسى عليه السلام .

وقال أغلبية الأساقفة إن عيسى رجع من الموت إما بالجسد والدم وإما بالروح فى شكل بشرى . ولكن (٩) أساقفة قالوا إن القيامة من الموت كانت سلسلة من التجارب (أو المشاعر) بعد وفاة عيسى أقنعت أتباعه أنه كان حيًا وسطهم .

Sapa - Ap « الديلى نيوز » ٨٤/٦/٢٥

❁❁❁


حوار
مع مبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

التبشير اتخذ فى هذا العصر سمة السرعة والجدية فقد شهد هذا العصر أكبر تحرك للعمليات التبشيرية وأوجد له كافة الوسائل الممكنة والإمكانات المتاحة .

ويجول المبشرون فى شتى بقاع الأرض وإن كانت القارة السمراء تحظى بالنصيب الأكبر من هؤلاء المبشرين فهم يركزون جهدهم وطاقاتهم فى تلك القارة لأسباب أجملها فى الآتى :

١- الجهل بالدين وانتشار الأمية بين الناس وبعدهم عن الإسلام واللغة العربية .

٢- الفقر المدقع الشديد الذى يؤدى إلى الموت جوعًا أو العيش كالحيوانات على أوراق الأشجار فلا يجد الطفل الصغير بدًا من اللجوء إلى هذه القلوب (اللئيمة) التى تمد له يديها ؛ فى إحداها الخبز وفى الأخرى الصليب مما يؤدى إلى تعهدهم للطفل منذ الصبا .

وأنا أرجع المشكلة فى أساسها إلى الدول الإسلامية التى نسيت تلك البلاد فكان يكفى هؤلاء الناس أن يلقوا إليهم ما يرمونه فى سلة المهملات من الطعام حتى يحموهم من خطر التنصير .

وبذلك يجب على العالم الإسلامى وبالذات الدول الغنية فيه ما يلى للتخلص من خطر التنصير :

١- إمداد تلك الدول المعونات الغذائية والاقتصادية وإرسال زكاة المال إليهم وذبائح الحج وغيرها لكى تتخلص من حالة الفقر المدقع التى تقع فيها البلاد وبذلك نقضى على أمضى سلاح فى يد المبشرين .

٢- يجب على الدول الإسلامية إرسال العلماء لتلك الدول للدعوة إلى الله وتعليم المسلمين أمور دينهم حتى ينجوا من مصايد المبشرين .

وبذلك يمكن التقليل من حدة التبشير بقدر الإمكان والله ولى التوفيق ، والله من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل ، وسلام على المرسلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

علي عثمان

❁❁❁

من ديدات إلى المسلمين جميعًا

أيها المسلمون . . .

إن المسيحيين يطرقون أبوابنا ، إن العمى فقط هم الذين لا يستطيعون الرؤية .

لقد كان فى الكويت عائلة غربية مسيحية واحدة فقط من حوالى خمسين عامًا أما الآن فيوجد (٣٥) كنيسة فى هذا البلد الصغير .

ويدعى أهل الجيهوفا وهم من أصل أمريكى أن أصل بلادهم نيجريا هذا البلد الإسلامى .

وفى أندونيسيا وهى أكبر بلاد العالم الإسلامى من حيث تعداد السكان يوجد أكثر من ٦٠٠٠ مبشر مسيحى يعملون فى دأب وهم ليسوا قساوسة ولكنهم صليبيون وهدفهم نشر الدين المسيحى ، ولهؤلاء المبشرين أسلوبهم الخاص وقانونهم الخاص الذى لا يخضع للحكومة الأندونيسية ولديهم السفن المتجولة التى تنتقل بين الجزر الكثيرة التى تتألف منها أندونيسيا وتزيد عن ٢٠٠٠ جزيرة والتى لا توجد فيها موانئ أو مراسى للسفن وهم يدعون سكان تلك الجزر إلى اللهو والمرح على متن سفنهم وهناك يدعونهم إلى مذهبهم وفى عمليتهم المعروفة (بالقتل الشامل) يهدفون إلى جعل أندونيسيا بلدًا مسيحيًا كاملًا فى نهاية هذا القرن (عام ٢٠٠٠) ومن خلال ما يزيد عن ٦٠,٠٠٠ مبشر يجوبون الأرض فى جميع أنحاء العالم يعمل أكثر من نصفهم فى أفريقيا ، وأفريقيا هى القارة المسلمة الوحيدة اليوم الأكثر تعرضًا للغزو من هؤلاء الصليبيين الجدد الذين يهدفون إلى جعلها قارة مسيحية بنهاية القرن أيضًا .

فسلاحنا وسيفنا ودرعنا فى هذه المعركة الإيمانية يتمثل فى القرآن ، لقد حفظناه لقرون لنكسب الثواب فقط ، ولكن الآن يجب علينا أن نستعين به فى ميدان المعركة لمواجهة التبشير والمبشرين .

أحمد ديدات

التبشير والمبشرون

التبشير!

التبشير من البشرى والبشارة واصطلاحًا يستخدم مصطلح التبشير على تلك الحملة التى تولتها الصليبية فيما يسمى (بتعليم الدين المسيحى ونشره) .

نشأته : لقد تأخرت نشأة التبشير عن نشأة الاستشراق ولكنها صاحبته وتعاونت معه وكانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثًا فى أحوال الغزاة الذين وصلوا إلى قلب أوربا ومن قبلها الأندلس ثم الحروب الصليبية خدمة لها وتبصيرًا وتوجيهًا ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك ويلتقى هنا التبشير مع فشل الحروب الصليبية تنفيذًا لوصية قائد الحملة الثامنة (لويس التاسع) حيث نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية كما سيأتى فى تصريحات المبشرين ووقوف هذه العقيدة فى وجه أى زحف حربى .

تثير تلك العقيدة الصافية النقية فى قلوب معتنقيها روح الجهاد فى سبيل الله ما يتصدى إلى أى غزو عسكرى أو سياسى لتلك البلاد وبذلك تقف تلك البلاد الإسلامية فى وجه الغزو الخارجى لها .

ولقد استفاد المبشرون من أخطاء الحروب الصليبية وأحكموا خططهم لكى يتمكنوا من احتواء المسلمين والسيطرة عليهم إما بتحويلهم عن دينهم ، أو ببث الأخطار الخبيثة المضادة بينهم وإشاعة روح الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد وبين الدولة والأخرى مما يؤدى فى النهاية إلى تفريق الشمل وتفريق الكلمة وبذلك تتمكن تلك البلاد الصليبية من تنفيذ مخططاتها العدوانية والسيطرة على المقدرات الإسلامية والعربية أمة وشعبًا وثروة وتاريخًا وحضارة وفكرًا . إنها تهدف إلى الاستيلاء على كل ما هو إسلامى وتدمير كل مظهر إسلامى حتى يستطيعوا أن يعيشوا هم أنفسهم فى أمان ولقد يبدو ذلك واضحًا ويفهم ذلك من تصريحاتهم التى ستأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى .

مراحل التبشير :

المرحلة الأولى
تنصير المسلمين

يقول المبشر رايد موضحًا تلك الفكرة الساذجة التى بنى عليها التبشير آماله وهى تنصير المسلمين وتحويلهم عن دينهم وتشويه معتقداتهم وإبعادهم عن الطريق المستقيم يقول المبشر رايد Rid (أننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح) . ثم يستطرد قائلًا : ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة أنا لا أحب المسلم لذاته (لشخصه كمسلم) ولا لأنه أخ فى الإنسانية ولولا أنى أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده » .

ويقول مبشر آخر : جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تمثل خطرًا للمسيحية .

ويقول آخر : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة .

هدفهم الوحيد تنصير المسلمين ولا يتمكنون إلا من الفقراء وضعاف العقول وقليلى الحظ من العلم أما من يستطيع أن يقف فى سبيلهم بالحجة والبرهان فيعجزهم ويردهم خائبين كما سيتضح لنا من الحوار فى آخر هذا الكتاب بين المبشر والمسلم الذى أعجز المبشر ورده على عقبيه خاسرًا غير رابح .

ولقد صدق القرآن لكريم عندما قال : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢٠] .

فهم لا يقبلون كما صور القرآن إلا أن نكون فى الكفر سواء وندخل فى ملتهم بل إنهم أخبث من ذلك وأدهى فهذا زعيم المبشرين المبشر الزعيم زويمر يقول لتلاميذه[١] إننا لا نريد أن ندخل المسلمين فى النصرانية فإن فى هذا عزًا لهم ولكن نريد أن نجعلهم

---

(١) للأسف إن هذا المؤتمر الذى أصدر فيه هذا التصريح كان فى القاهرة فى عام ١٩١٧.

مذبذبين فنخرجهم من الإسلام ولا يدخلون النصرانية لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أى لا مسلمين ولا حتى نصارى بل أضل سبيلًا هذا هو هدفهم ، وهذا هو مقصودهم وستأتى تصريحاتهم فيما بعد إن شاء الله تعالى وإذا استعرضنا سويًا مع بعضنا تاريخ بداية هذه المرحلة التبشيرية وهى إدخال المسلمين فى النصرانية فنجد أنها بدأت بعد انتهاء الحروب الصليبية التى استمرت حوالى اثنى عشر قرنًا من الزمان وبعد أن يئس الصليبيون ، أو نستطيع أن نقول الصهيونية العالمية المتخفية فى الصليبية بعد أن عجزت عن السيطرة على بلاد الإسلام بدأت فى حيلة أخرى وهى تنصير المسلمين وإبعادهم عن هذا الدين الذى له أثر سحرى فى قلوب متبعيه فكلمة حى على الجهاد أو وا إسلاماه جعلت القلوب تتجمع والصفوف تتوحد وتقوم بمطاردة الصليبيين حتى قضوا عليهم وأذاقوهم بسيوف العزيز الرحيم مر العذاب .

إنه الإسلام الذى إن اتبع وطبق لسد جميع الطرق على المبشرين والصليبيين وغيرهم من جنود إبليس أجمعين الذين يمكرون ويكيدون للإسلام والمسلمين ولكنهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٠] .

وتحديد هذه المرحلة ليس بالشيء المستيقن ولكن من المعتقد أنه تم انعقاد أول مؤتمر للتبشير فى القاهرة عام ١٩٠٦ (بلد الأزهر) وقد تم الاتفاق فى هذه المرحلة على الجهود التبشيرية بضعة ملايين وجند للقيام بها مئات الأشخاص (المعدين علميًا ومعنويًا وماديًا) وكانت حصيلة هذه المرحلة حوالى عشرين مسلمًا تنصر أغلبهم بسبب الفقر ومن اللقطاء .

ولقد ازدادت الحركات التبشيرية فى السنوات الأخيرة بصورة مروعة ومذهلة لم يسبق لها مثيل, ويقدر عدد المبشرين الذين يجولون فى العالم الآن حوالى ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨ ألفًا من الكاثوليك و ٨٢ ألفًا من البروتستانت ومن بين هؤلاء وأولئك أكثر من ٦٠٠٠ مبشر كاثوليكى و ٢٢٠٠٠ بروتستنتى أمريكى .

ويتوقع علماء الإحصاء السكانى أن يشكل المسيحيون فى آسيا وأفريقيا وأمريكا

اللاتينية عام ٢٠٠٠ ثلاثة أخماس مسيحيى العالم فى حين أنهم يشكلون الآن ٤٧٪ فقط من سكان العالم .

ولقد أجريت إحصاءات غربية تؤكد أنه تم تنصير خمسة ملايين مسلم فى أندونيسيا (أكبر دولة إسلامية يبلغ عدد السكان المسلمين حوالى ١٥٥ مليون مسلم) .

ويقول البعض أنه تنصر عشرة ملايين, فإن حوالى أكثر من ٦٠٠٠٠ مبشر مزودين بالمؤن والمال والعتاد والسفن يجولون فى أندونيسيا وفى المياه الأندونيسية هدفهم تنصير المسلمين ويهدفون إلى تحويل المسلمين عن دينهم حتى عام ألفين أى جعل أندونيسيا كلها دولة نصرانية .

كذلك الحال بالنسبة لنيجيريا فإن المبشرين يجولون بها بغرض تحويلها إلى دولة نصرانية كاملة خلال عام ألفين ونيجيريا بها ٦٠ مليون مسلم وأكبر دولة إسلامية فى أفريقيا .

المرحلة الثانية: الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه

وبدأت هذه المرحلة نتيجة ليأس المبشرين من تحويل المسلمين عن دينهم (بالذات فى الدول العربية) فتحولوا إلى ذبذبة المسلمين عن دينهم وتشويه فكرهم ومعتقداتهم الأصلية بفكر علمانى أو مسيحى يبعدهم عن دينهم وبذلك يتركونهم على دينهم الأسمى وهم ليسوا على الإسلام (منهجًا وعقيدة)، وهذا يعتبر نجاحًا لهم، لتذبذب المسلمين عن دينهم، فإذا ما تم لهم ذلك فإنه لا يوجد دين كى يحارب عنه المسلمون فى مواجهة الغزو الخارجى، ولا توجد عقيدة تتراص خلفها الجيوش الإسلامية لمواجهة هذا الخطر الكامن فى الصهيونية والصليبية العالمية وبذلك يوجد جيل من الرجال لا مسلمين ولا نصارى ؛ لا دين لهم ولا أخلاق ولا قيم، فهم يعيشون من أجل متاعهم ويضحون بكل شيء من أجل حياتهم وخاملون إذا ما استغاث بهم دينهم وقال وإسلاماه! واقرآناه! فإنه لن يجد القلوب المؤمنة الصادقة المخلصة التى تقف متراصة حاملة السيف والسلاح شعارها النصر أو الشهادة الحياة الكريمة فى ظلال الإسلام، إنه لا يوجد هذا الجيل الذى قضى عليه المبشرون أو بإيجاد جيل بديل له من أنصاف المسلمين واللامسلمين .

ومن أمثلة ذلك ما قاله المبشر كروفورد فى مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م (أن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شقا من المدنية النصرانية ويدخلون فى ارتقائهم الاجتماعى, وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد يتولد فيها عن غير قصد منها . . .) وبذلك اطمأن أعداء الدين على أحوال المسلمين اليوم, فإنه لا خوف منهم لأنهم أصبحوا بلا دين وأجبن من أن يرفعوا حاجبهم فى وجه عدوهم لأنهم ابتعدوا عن القرآن الذى يوحدهم ويجمع شملهم

ويوحد كلمتهم فى مواجهة أعداء الدين والكافرين.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣]

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠] .

ولقد قال زعيم المبشرين زويمر « لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تنجح فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية, لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم, فعندما تذبذب مسلمًا وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحًا أيها المبشر المسيحى ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيًا » .

إن إبليس اللعين (زويمر) يخطب فى الكافرين بهذه الكلمات التى (أرى من وجهة نظرى) أنها أصبحت حقيقة واضحة ساطعة أمام الجميع وأمام من لا يرى الشمس فى وضح النهار وفى كبد السماء.

إن هذه الحقيقة المرة على كل مسلم أصيل عنده عمق إيمانى ومتمسك بسنة المصطفى وبالقرآن الكريم منهجًا ودستورًا أصبحت تلك الحقيقة المرة واقعًا يعاش فقد أصبح حال المسلمين ومعظمهم أشباه بالنصارى وليسوا من المسلمين فى شيء, فلا يعرفون من المصحف إلا رسمه, ولا من الدين إلا اسمه ويمسى محمد وأحمد والدين منه براء فلقد جرى جمع غفير من المسلمين وراء الغرب واستوردوا حضارتهم ورضعوا أفكارهم حتى أنهم أصبحوا أخطر من الغرب على الإسلام أمثال طه حسين ولويس عوض (الصليبى) وقاسم أمين ورفاعة الطهطاوى وعلى عبد الرازق وغيرهم أصبحوا جرثومة فى جسد المجتمع المسلم يجب استئصال شأفتهم كليًا وبتر هذا الجزء الفاسد بكل فكره وإنتاجه الأدبى حتى يسلم المجتمع من هذا الوباء والداء العضال الذى ينخر فى جسده وعظمه.

ولكن بصفة عامة فقد تحول بعض المسلمين إلى لا مسلمين وأصبحوا مخنثين مقلدين للغرب فى كل شيء فى الموضة, فى الفاحشة, فى المجون, ولكنهم لا يقلدونهم فيما وصلوا إليه من علم, وقد صدق رسولنا عندما قال لنا « لتتبعن سنن من كان قبلكم

شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم » قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال : « فمن » .. رواه البخارى . لقد أصبحت اليوم الموضة تصدر فى باريس فى المساء تكون عند بنات حواء فى القاهرة, بل أصبحوا أكثر جرمًا منهم والعياذ بالله رب العالمين, ولقد أعلنها المبشر زويمر (الأب الروحى للمبشرين) واضحة صريحة وضوح الشمس فى مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م فقال موجهًا حديثه لتلاميذه من المبشرين : أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق وإن كان ليخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه أننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة :

١- إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .

٢- أو رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزّت عليه لقمة العيش .

٣- وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية فإن فى هذا هداية لهم وتكريمًا وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله وبالتالى « لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها, وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية, وهذا ما قمتم به فى الأعوام المائة السابقة خير قيام, وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعًا كل التهنئة, لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم (التعليم العلمانى) فى الممالك الإسلامية (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

ونشرنا فى تلك الربوع كما من التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء

أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الإسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد, إنكم أعددتم شبابًا فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقًا لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه فى دنياه إلا إلى الشهوات, وإذا جمع المال فللشهوات, وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا فى أداء رسالتكم فقد استحققتم بفضل جهادكم المبارك بركات الرب » .

هذه الخطبة أو الوصية أو الموعظة من مبشر خبير ورئيس التبشير (زويمر اللعين) بمثابة شهادة تقدير على الجهود التى بذلها المبشرون فى زعزعة إيمان المسلمين وإخراجهم من دينهم سواء دخلوا فى المسيحية أم لم يدخلوا فيها المهم هو إخراج المسلم من دينه ولا يهم فى أى دين يدخل بعدئذ, المهم هو انحراف المسلم عن الصراط المستقيم وزيفه وضلاله وغرقه فى بحر الظلمات .

ولقد اعترف زويمر بالرغم مما يصد للتبشير من إمكانات عالية بالعجز عن التنصير فى قوله (أقركم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسيحيين حقيقيين) .

وتركيز زويمر على المهمة المركزة الأساسية للتنصير وهى :

١- إخراج المسلم من الإسلام وذبذبته كما عبر عنه نص زويمر وإن حاول ستر ذلك بأن تنصير المسلمين شرف لهم (ولا يريده لهم) .

٢- اعترافهم بالسيطرة على التعليم (التعليم العلمانى اللادينى) فى جميع الممالك الإسلامية .

ولقد كان التعليم سببًا فى اعتناق المسلمين العقيدة النصرانية وبعدهم عن دينهم بدونِ قصد منهم فهم يدرسون المفاهيم العلمانية اللادينية التى تهدم الدين والأخلاق بدون أن يدروا بذلك وسيظهر ذلك فى نهاية هذا البحث إن شاء الله تعالى .

المرحلة الثالثة: الإبعاد عن الإسلام

ويمكن التعبير عنها بمصطلح أدق وهو التغيير الاجتماعى أو التغريب أو التحديث .

وهذه المرحلة هى مرحلة متداخلة مع المرحلة السابقة أحس فيها القائمون على التخطيط أن الإخراج عن الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير لأنه يستوى فى حس المسلم أن يقال له إنك صرت نصرانيًا أو يقال له إنك صرت مرتدًا (لا يقبلها المسلم حتى وإن كان من أنصار الغرب) .

ومن ثم كانت زحزحة الإسلام بدلًا من الإبعاد عنه ليتزحزح المسلم إلى الالتزام النصفى أو الربعى فبدلًا من أن يقيم الصلوات جميعًا فلا بأس أن يكتفى بالجمعة وبدلًا من أن يصوم التطوع تدريبًا وبعدًا عن الشهوات فلا بأس أن يكتفى برمضان أو بجزء من رمضان .

وبدلًا من أن يأخذ ثقافته وفكره من النبع الإسلامى الصافى الأصيل فلا بأس من أن يصير مودرن ويقبل آراء الفلاسفة والمستشرقين والمزيفين للحقائق بدلًا من أخذ الفكر الإسلامى من منابعه الأصيلة .

ولا بأس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطى نصف جسمها بدلًا من جسمها كله وتتدرج فى ذلك حتى تمشى لابسة ملابس عارية لا توارى منها إلا عورتها المغلظة فقط .

ثم لا بأس أن تدفع بغطاء الرأس إلى نصف رأسها، ثم لا بأس بعد ذلك أن تكشف جزءًا من الساق أو جزءًا من الذراع أو جزءًا من الصدر ولا بأس إن غادرت بلادها أو فى بلادها (كما يحدث الآن) أن تلقى خلفها بزيها المتخلف لتبدو كالأوروبيات بل أصبحت المرأة أفظع وأقذر من الأوربيات، بل إن الأوربيات بكفرهن لا يرقين إلى الوصول إلى بعض النساء المسلمات فى تبرجهن وفجورهن وخنثهن .

هذا التدرج الذى سبق توضيحه مع المرأة مرسوم فى شتى مجالات الحياة حتى أنه يتم تدريج المسلمين وإبعادهم عن دينهم شيئًا فشيئًا حتى يبتعدوا بالكلية عنه؟ فى التعليم، فى الإعلام، فى السياسة، فى الحكم ... إلخ

إنهم لا يستعجلون النتائج، إنها الطريقة الإنجليزية المعروفة بالطريقة الباردة البطيئة ولكنها أكيدة المفعول .

ولقد نجحت هذه الطريقة البطيئة الأكيدة المفعول فى بعض الدول الإسلامية ووصلت إلى الذروة فأنجبت جيلًا لا يعرف عن دينه شيئًا ولا صلة له بالله إلا من رحم ربى .

إنهم كإبليس بل أشد سبيلًا يأتون للمسلم من جميع الجهات ولا ييأسون فيقولون له اترك كذا وكف عن فعل كذا فإذا ترك المسلم هذا الفعل اليوم يأتيه المبشر أو الصليبى غدًا ويطلب منه ترك شيء آخر حتى تنقضى عرى الإسلام عروة عروة حتى لا يبقى من الإسلام شيئًا إلا ونقض .

قال ﷺ : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها .. فأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة » . (رواه بن حبان) .

سلاحنا الوحيد فى مواجهة هذا الخطر الداهم المفزع المروع المسمى بالتبشير هو :

القرآن وحمل السيف فى سبيل الله لمواجهة هذا الخطر الداهم إنها مقولة مصيرية بين الإيمان والإلحاد، بين الإسلام وقوى الطغيان، بين العدل والجور، بين النور والظلام، بين الحق والضلال، فلا ينفع ولا يجدى فى هذه المعركة إلا السيف والقرآن يتعانقان حتى يقيم السيف ما ترك من القرآن ويسود الإسلام العالم أجمع ويعود المسلمون إلى مرشدهم لمواجهة هذا الخطر الكامن فى الصليبية والصهيونية العالمية .

خططهم لتدمير الإسلام

لقد صرح قادة المبشرين وأشهرهم عن مقولاتهم وخطط توضح الحقد الدفين على هذا الدين العظيم وتكشف اللثام عن خططهم فى محاربة الإسلام والقرآن قبل محاربة المسلمين, فإذا ما انتصروا وقضوا على القرآن فى قلوب المسلمين فسوف يقف المسلمون وحدهم بدون القرآن لا حول لهم ولا قوة لأنهم يقفون فى الميدان بغير القرآن .

ولقد كانت خطواتهم مرتبة متزنة متدرجة منها .

أولاً : القضاء على الحكم الإسلامى :

بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية التى كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام إلا أن أعداء الإسلام كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر .

كانت فرصتهم الذهبية التى مهدوا لها طوال قرن ونصف حتى سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا خاسرة فى الحرب العالمية الأولى .

ولقد دخلت الجيوش الإنجليزية واليونانية والإيطالية والفرنسية أراضى الدولة العثمانية وسيطرت على جميع أراضيها ومنها العاصمة إستانبول .

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

أ- إلغاء الخلاقة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أموال .

ب- أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

جـ- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام (وحدث بتغيير لغة الكتابة إلى الإنجليزية بدل العربية وبنزع الحجاب وإلغاء الخلافة وإدخال التعاليم العلمانية) .

فنفذ كمال أتاتورك الرجل الصنم هذه الشروط, ويجب أن أسجل موقفًا لأتاتورك بأنه ليس مسلمًا ولكنه كان يهوديًا يتبع جماعة الاتحاد والترقى التركية التابعة ليهود الدونمة التى شكلت قبل سقوط الخلافة, وكان هدفها القضاء على الخلافة ولقد تمكنت هذه الجماعة من تحقيق أهدافها .

ولما وقف كرزون وزير خارجية إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى يستعرض ما جرى مع تركيا احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على كرزون واستغربوا كيف اعترفت إنكلترا باستقلال تركيا التى يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب .

فأجاب كرزون لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين الإسلام والخلافة فصفق النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة[1] .

ثانيا القضاء على القرآن ومحوه :

١- يقول المبشر غلادستون : ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوربا فى أن تسيطر على الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان .

٢- يقول المبشر وليم هيفورد بايكراف .

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة وبعيدًا عن محمد وكتابه) .

---

(١) أحب أن أثبت هنا فى كلمة تقدير لحاكم جليل ظلمه كثير من الناس وهو السلطان عبد الحميد الثانى الذى أسقط عام ١٩١٠ وألغيت الخلافة عام ١٩٢٤، لقد كان رجلًا مسلمًا بمعنى الكلمة, ولقد أثبتت الوثائق السرية التى كشفت فيما بعد معنى ذلك وأنه حاكم رشيد جمع بين التفكير الصحيح وتقدير الأمور وحسن التصرف يملك دهاء شديدًا عوضه عن ضعف دولته تركيا, فقد كان يصرف أمور الدولة بدهائه وذكائه الفذ بالرغم من ضعف ومرض تركيا فى فترة حكمه, والمشهد المشرف الذى أود تسجيله كبصمة شرف لهذا العبقرى الفذ هو موقفه من الصحفى الصهيونى هرتزل زعيم الصهيونية عندما ذهب له عدة مرات يراوده فى السماح لليهود باتخاذ فلسطين وطنًا لهم, وقد أهدى له نصف مليون جنيه ذهبًا مقابل أن يوافق على ذلك فاعترض عليه وبصق فى وجهه وقال إن فلسطين أخذناها بالدم (أيام صلاح الدين) ولن نفقدها إلا بالدم .

٣- ويقول المبشر تكلى (يجب أن يستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضى عليه تمامًا, يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديدًا وأن الجديد فيه ليس صحيحًا .

ثالثًا تدمير أخلاق المسلمين :

يقول باكتول (أن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى العالم الآن بنفس السرعة التى نشروها بها سابقًا بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم .

ويقول المبشر صموئيل زويمر (فى كتاب الغارة على العالم الإسلامى) .

أن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية ميزتين ؛ ميزة هدم وميزة, بناء أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه ولو برفعه إلى الإلحاد, أما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه .

ومن أهم الأسباب لهدم الدين والأخلاق والقيم النبيلة السامية هى نشر التعليم العلمانى اللادينى فى البلاد الإسلامية فيقول المبشر تكلى (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى لأن كثيرًا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية وتعلموا اللغات الأجنبية .

ويقول زويمر (ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل التحاقهم بها ، هذه المدارس هى التى تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب .

ويقول المبشر حبيب لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين وانحصر فى طقوس محددة وقد تم معظم هذا التطور تدريجيًا عن غير وعى وانتباه وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ولم يعد من الممكن الرجوع فيه لكن نجاح هذا التطوير يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى وعلى الشباب منهم خاصة كل ذلك كانت نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى .

رابعًا القضاء على وحدة المسلمين :

يقول المبشر لورانس براون (إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا؟ ولأمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له, أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير - يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة وبلا تأثير .

يقول ارنولد توينبى (أن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ) .

خامسًا تشكيك المسلمين فى دينهم :

يقول كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين .

(إن المسلمين يدعون فى الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية فى البشر فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية .

سادسًا إبقاء العرب ضعفاء :

يقول مورو بيرجو : (لقد ثبت تاريخيًا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فليدمر العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام .

سابعًا إنشاء ديكتاتوريات سياسية فى العالم الإسلامى :

يقول المستشرق سميث : (إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل النظم الديمقراطية فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها .

ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا (إن الخطر لا يزال موجودًا فى أفكار المقهورين الذين اتبعتهم النكبات التى أنزلناها بهم لكنها لم تثبط من عزائمهم .

كلمة أخيرة

تجربة ناجحة للمترجم :

أخبرنى صديق لى يقطن فى لندن يدعى عبد الرحمن أنه قام بزيارته قسيس هناك وحاول أن يكلمه عن المسيحية فقال له صديقى هذا .

هل تؤمن بالإنجيل كله قال نعم فقام فأحضر كوب به خل (خل وليس سما, ولكن ليظهر عدم إيمان المسيحيين وتكذيبهم لإنجيلهم)

وقال له اشرب

قال القسيس ما هذا

قال سم؟

قال لماذا؟

قال ألم يوجد بالإنجيل آية المؤمنين بأن من يشرب السم من المؤمنين لا يضره .

فقال القسيس على التو بدون تردد أو تريث أنا لا أؤمن بهذه الآية من الإنجيل .

فقال له أى نوع من السم تحب

فقال أنا لا أؤمن بهذه الآية من الإنجيل وخرج من مجلسه هاربًا .

هكذا أخى المسلم يمكنك أن تطبق هذا الاختبار مع أى مسيحى يتشدق بكلمات الإيمان ويقول أنه مؤمن وخاصة القساوسة والمبشرين, وبذلك يمكنك أخى المسلم إذا ما حفظت هذه الآيات . أن تقى نفسك من شر المبشرين وتدفع أذاهم وتكون هذه الآيات عونًا لك على طردهم .

وكما أكد الشيخ ديدات إنهم لن يأتوا لك بالمرة بعد إجراء هذا الامتحان العسير لهم ولن يفكروا فى طرق بابك مرة أخرى .

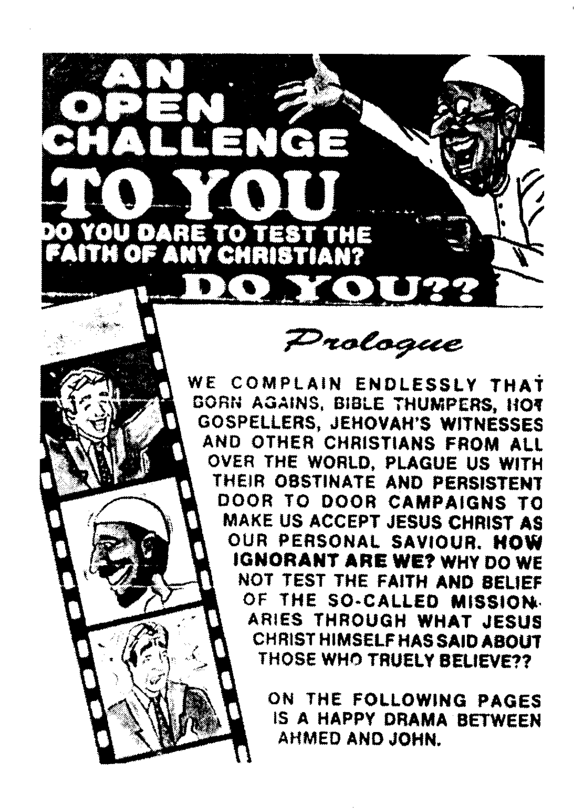
والله ولى التوفيق ، ، ،

أحمد ديدات يجرى حوارًا مفتوحًا بين جون وأحمد يحاول فيها المبشرّ تغيير دين المسلم

(نحن نعانى بلا نهاية من أولئك الذين ولدوا مرة أخرى والإنجيليين المتحمّسين وشهود جيهوفا ومسيحيين آخرين من كل الملل والطوائف من جميع أنحاء العالم يزعجوننا بعنادهم المستمر الدائب من الباب إلى الباب ليحملوننا على القبول بيسوع المسيح كمخلّص شخصى .

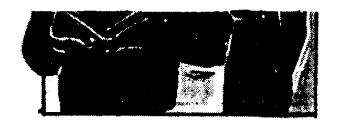
يا لغفلتنا! لماذا لا نختبر إيمانهم وعقيدتهم من خلال ما قاله المسيح نفسه - فى الإنجيل - عن أولئك الذين يؤمنون حقًا .

.. وفى الصفحات التالية دراما ساخرة بين أحمد وجون





(٨)



(٩)

الفصل الأول





(٢)



(١٠)



(١١)



(١٢)



(١٣)


هيا ياسيد جون .. إقرأ هذه .. هيا
إنجيل مرقس إصحاح ١٦ الآية ١٧ (وهذه علامة الذين يؤمنون بي . بإسمي يطردون الشياطين، سوف يتكلمون بلغات جديدة) الآية ١٨ (سوف يقبضون على الثعابين . وإذا تناولوا أي شيء سام لن يضرهم)

(٦)


يكفي هذا ياسيد جون والآن إخبرني هل أنت أحد هؤلاء المؤمنين
نعم .. نعم ! أنا .. أنا .. كذلك

(٧)


والآن ياسيد جون هل أنت على إستعداد للمضي قدماً في تنفيذ الاختبار ؟ هل أنت مستعد ؟ سوف أطلب من زوجتي تجهيز كوب من عصير الفراولة الممزوج بالصودا الكاوية ، هل أنت على استعداد لكي تشربه كتابك المقدس يقول : "أولئك الذين يؤمنون" هل تستطيع أن تفعل ؟
?!?
. حسناً .. حسناً .. أنا .. أنا

(٨)


هيا ياسيد جون . ألم يقل يسوع "هذه علامة الذين يؤمنون" .. هل قال ذلك أم لا ؟ هل أنت مؤمن أم لا ياسيد جون ؟
حسناً .. نعم .. نعم .. لكن .. لكن

(٩)


لاتقل لكن .. لكن .. إذا أردت يمكنني أن أقدم لك مواد سامة أخرى مثل مبيد حشرى أو زيت مغلى قاتل ، ويمكنك أن تختار ما تشاء
كما تعلم .. فإن هذه الأشياء لشديدى الإيمان
ألم تدعى منذ قليل أنك مملوء بالروح القدس ، ألم تكن مستعداً أن تضحى بحياتك من أجل المسيح
حسناً .. لابد أن أعترف ياسيد أحمد أعتقد أنه ليس لدى الإيمان الكافى

(١٠)

(١١)


وبالرغم من ذلك .. فأنت تريد منى أن أشاركك إيمانك .. كيف يمكنك أن تشارك أو تعطى ماليس عندك ، كيف يمكنك أن تعطينى مالم تستطع أن تعطيه لنفسك
معذرة ياسيد أحمد .. سأعود إليك فى وقت آخر
هاها .. عد ياسيد جون عندما يكون لديك الإيمان الكافى .. وأرجو أن تخبرنى مقدماً عن أى السموم تفضل لكى أجهزها لك ؟

(١٢)

(١٣)



الفصل الثانى

لم يكن هناك فصل ثان, فهؤلاء المبشرون لن يعودوا ليطرقوا أبواب المسلمين الواعين الذين يعرفون كيف يردون .. لماذا لا تجرب ذلك مع من يطرق بابك ليغير دينك .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

أحمد ديدات

❁❁❁

فهرس المحتويات

رقم الإيداع ٨٥٧٤ / ٩١